المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الخامس من المجلد الخامس والسبعين

١ ديسمبر سنة ١٩٢٩ — ٣٠ جمادى الثانية سنة ١٣٤٨

المجمع المصري للثقافة العلمية

تخطُّ هذه الكلمات وهزة الطرب تبعث في اليراعة رعشة الحياة ، وبسمة التفاؤل تفتح امام البصيرة كوة الخيال تتطلَّ منها على مستقبل العلم في هذا القطر السعيد فتلفيه زاهياً زاهراً يعيد الى الذهن عهد الازدهار العلمي والفني في الاسكندرية حاضرة البطالسة، وعصر مدرسة الحكمة في بغداد عاصمة العباسيين، ومطلع النهضة العلمية الاوربية في القرن التاسع عشر. ذلك ان عزيمة طائفة من علماء هذا القطر والمشتغلين بنشر العلم فيه قد صحت على تأليف مجمع علمي يدعى «المجمع المصري للثقافة العلمية» تلخص اغراضهُ فيما يأتي نقلاً عن دستوره :

اولاً : نشر الثقافة العلمية باللغة العربية — ثانياً : ترقية اللغة العربية بكتابة المباحث العلمية بها ونشرها — ثالثاً : انشاء رابطة للمشتغلين بالعلم من أبناء اللغة العربية في كل الاقطار

والطريقة التي ينوي ان يجري عليها لتحقيق اغراضه تشتمل على ما يأتي :

اولاً — عقد مؤتمر سنوي لالقاء الخطب العلمية وتلخيصها ونشرها تم طبعها كاملة في مجموعة توزع وتباع . ثانياً — القاء خطب علمية دورية . ثالثاً — عدم تعرضه للسياسة والدين

وغني عن البيان ان العربية لغة المجمع والقاهرة عاصمة المملكة المصرية مركزه

فغرض المجمع كما تقدم رفع مستوى الادراك العلمي في البلاد العربية اللسان وخدمة اللغة العربية عن طريق نشر العلم بها بالخطب الدورية تلقى وتذاع وبالحض على اتخاذ طريقة البحث العلمي اساساً للتفكير وبيان الفوائد الجمة التي تنشأ عنها في ميادين الكشف العلمي والارتقاء الاجتماعي . فاللغة العربية غاية ووسيلة في آن واحد . ولكن المجمع يريدها

حية مطواعة تؤاتي كتابها وقارئيها. لذلك لن يحجم اعضاؤه عن احياء كلام العرب المهجور اذا كان هذا الاحياء وافياً بالغرض. ولا عن التعريب اذا كان التعريب لا مندوحة عنهُ ابقاء على الصلة بتيارات الفكر العلمي في الغرب. ولكنهم سيحتفظون كلَّ الاحتفاظ بحلتها العربية وبروحها التي تميز بها عن سائر اللغات. وكون المجمع هيئة علمية لا لغوية لا يحول دون اتصال اعضائه بالهيئات اللغوية المختلفة للاخذ بما تسنهُ من قواعد وتقترحهُ من الفاظ

وقد ابعد منشؤوهُ الموضوعات الأدبية وما اليها عن دائرة مباحثه ولم يختاروا للانضمام الى هيئة مجلسه الا العلماء والمشتغلين بالمباحث العلمية ونشرها لأن انطواء غرض المجمع على اغراض متنوعة يجعل تحقيقها كلها بعيد المنال. ولأن المذاهب الأدبية وما اليها تقوم على الذوق الخاص والنزعة الخاصة وهذا قد يفضي الى عدم اجتماع الكلمة في دور التكوّن. اما الآراء العلمية فتقوم في الغالب على حقائق تقاس وتحصى وتوزن ويستطاع اعادة قياسها واحصائها ووزنها حتى يتفق المختلفون عليها. ولا ريب في ان اجتماع الكلمة بين اعضاء مجمع وليد يرمي الى تحقيق غرض بعيد المنال لا مندوحة عنهُ للنجاح

وفيما يلي اسماء الاعلام الذين تفضلوا فأجازوه بانضمامهم الى مجلسه حتى كتابة هذه السطور

الدكتور علي بك ابراهيم — عميد كلية الطب المصرية ووكيل الجامعة المصرية — رئيس المجمع لسنة ١٩٣٠

الدكتور محمد شاهين باشا: وكيل الداخلية لشؤون الصحة
الدكتور فارس نمر
الدكتور خليل عبد الخالق — استاذ الطفيليات بكلية الطب المصرية
الدكتور علي مصطفى مشرفة — استاذ الرياضة التطبيقية بالجامعة المصرية
حسن بك صادق — دكتور في الفلسفة ووكيل مصلحة المناجم والمقاجر
الدكتور محمد شرف: الجراح بمستشفى الملك بالقاهرة
الدكتور عبد العزيز احمد: مدير مدرسة الهندسة سابقاً ووكيل عام مصلحة الميكانيكا والكهرباء بوزارة الاشغال

الدكتور كامل منصور — مدرس الحيوان بالجامعة المصرية
الدكتور محمد رضا مدور — الفلكي المقيم بمرصد حلوان
الدكتور جورجي صبحي — استاذ اللغة القبطية بالجامعة المصرية
الاستاذ اسماعيل مظهر — صاحب مجلة الصور
الدكتور علي حسن — الاستاذ المساعد لعلم وظائف الاعضاء بكلية الطب
الاستاذ سلامه موسى — صاحب المجلة الجديدة ومحررها
الدكتور شحاشيري
الدكتور احمد زكي ابو شادي — بكتيريولوجي بمصلحة الصحة العمومية
الاستاذ فؤاد صروف — محرر مجلة المقتطف — سكرتير عام دائم
الاستاذ كامل كيلاني — سكرتير مساعد

ومما يفاخر به المقتطف ان كانت داره مندوة عقد فيها الذين فكروا في انشاء هذا المجمع اجتماعاتهم فكان تأسيسهُ فيها اعظم جزاء له على اربع وخمسين سنة قضاها في ميدان الثقافة العلمية يجاهد في سبيل نشرها وتمكين اصولها في العقول. وانهُ لمن اكبر بواعث غبطتنا ان لا نختم هذه السنة الا ونحن نرفُّ الى العالم العربي هذا النبأ السارَّ

« المحرر »

السرطان والاشعة الكونية

مذهب علي جري

في تعليل أصل السرطان وزيادة انتشاره

السرطان

﴿ زيادة انتشاره ﴾ لا يزال العلم يخبط خبط عشواء في امر السرطان فانهُ يجهل سببهُ البعيد ولا يعرف دواء يشفي منهُ . ولكن الامر الذي لا شبهة فيه ان انتشار السرطان بين الناس آخذ في الازدياد وان الوفيات به تتكاثر تكاثراً مطرداً . فقد بلغ عدد الوفيات بانكلترا وويلس سنة ١٩٢٢ نحو ٤٩٠ الفاً منهم نحو ٤٧ الفاً ماتوا بالسرطان . ويقدَّر عدد قتلاهُ باميركا سنويًّا بنحو مائة الف نسمة . ويؤخذ من الاحصاءات الرسمية في انكلترا ان عدد الوفيات به سنة ١٨٩١ كان ٦٩٢ في المليون فصار ٨٤٤ سنة ١٩٠٢ و ١٢٢٩ سنة ١٩٢٢ فكانهُ زاد نصفين في ٣٠ سنة وبعض هذه الزيادة نتج عن زيادة التدقيق في معرفة المرض الذي سبَّب الوفاة ومن ان متوسط عمر الانسان قد زاد فزاد عدد الذين يتعرضون لهُ لانهُ من امراض الكهولة والشيخوخة . ولكن لا شبهة في ان زيادة الوفيات به ناتجة عن زيادة انتشاره . وقد قال لورد مويلهام الجراح الانكليزي الذائع الصيت ورئيس كلية الجراحين بلندن ان المصابين به الذين يطلبون المعالجة اكثرهم تتسع لهُ الوسائل المعدة لذلك

﴿ تكوُّن نواميه ﴾ من الامور المعروفة عن السرطان كيفية تولده . فكل عضو من اعضاء الجسم مؤلف من دقائق صغيرة خاصة به تسمى خلايا . وبها يعمل كل عضو عملهُ الخاص به فالغدد اللعابية مؤلفة من دقائق او خلايا تفرز اللعاب . والقلب مؤلف من خلايا عضلية تنقبض وتتمدد فتدفع الدم في الشرايين . والدقائق المؤلف منها جسم الانسان متصل بعضها ببعض بالياف دقيقة هي خلايا مثلها ولكنها خلايا مستطيلة . ودقائق العضو الواحد تنمو معاً مواظبة على عملها كانها افراد شعب جمهوري دقيق الانتظام يعمل كل فرد منهم لخير المجموع . حتى اذا اصابت عضواً آفةٌ من الآفات وقتلت بعض دقائقه — كجرح — احتست الدقائق التي حولها بناء او توليد دقائق اخرى بدلاً منها حول الجرح حتى يلتئم . ولكن نموّ الدقائق مقيد في كل الاحوال فلا يتجاوز حدًّا محدوداً فينمو الانسان من طفولته الى ان يبلغ اشدَّهُ وهذا النموّ مقيَّد في مدته ومقداره ومداه . ولا تعلم ماهية هذا القيد الذي يقيِّد الخلايا ولكنهُ امر واقع لا شبهة فيه

ولكن بعض هذه الخلايا او الدقائق ينشز فيكسر القيود التي تقيده ويتخطاها ويجعل ينمو نمواً طليقاً فاذا وقع ذلك في الجلد تحت دقيقة من دقائقه حيث لا داعي لنموها وانقسمت الى اثنين وكل واحدة منها تنمو وتنقسم الى اثنتين وارثة هذا الميل من أمها فتصير الدقائق اربعاً . وكل واحدة تنمو وتنقسم وهلم جرًّا. ومتى حدث هذا النمو والانقسام احدى عشرة مرة صارت الدقيقة الواحدة اكثر من الفي دقيقة ومتى كثرت احدثت ورماً هو السرطان او طليعته . على ان هذا الورم اذا ظل محصوراً في مكانه فلا خطر منه ولا خوف اذ يسهل استئصاله بمبضع الجرّاح فاذا لم يستأصل فقد تنفصل منه بعض خلاياه وتجري في الدم الى اعضاء الجسم المختلفة حتى تصل الى عضو يعوق سيرها فتقف وتجعل تنمو فيه وتتكاثر فتكوّن فيه نمواً سرطانياً . وينمو السرطان رويداً رويداً الى ان يصيب عضواً من الأعضاء الحيوية فيمنعه عن القيام بأعماله فيموت المصاب به

﴿ الأقوال في سببها ﴾ ما السبب الذي يحمل بعض الخلايا على كسر القيود التي تقيد بها في نموّها فتتكاثر في النسجة جسم قد ادركه الهرم والشيخوخة الى ان تصبح نمواً سرطانياً ؟ هذا سرّ لم يكشف العلم عنه حتى الساعة وقد تضاربت فيه الأقوال والآراء . فمن العلماء فريق يذهب الى ان بعض العادات الغذائية تسببه وفريق آخر يقول بأنه التهيج المتوالي في نسيج من الأنسجة ويلقي اللوم على الامساك في احداثه سرطان المعدة بتهيج انسجة المعدة تهيجاً متوالياً . وآخرون يقولون ان الصراصير منشأه لأن دوداً يعيش فيها ينتقل منها الى بعض الأطعمة فيؤكل معها فينمو بعض الأنسجة ويحدث فيها تهيجاً مستمراً ينشأ عنه السرطان . وانقسم الباحثون الى فريقين ففريق يقول ان المرض مكروبي وأن هناك مكروبات خاصة تحدثه مع أنها على صغرها لا ترى بالمكرسكوب وتمر في ادق المرشحات مسلماً على انها لا تحدثه الا اذا وجد معها عامل آخر. اما ما هو هذا العامل فلا يعرف الآن . والفريق الآخر يقول بأن السرطان مرض غير مكروبي وان خلايا الجسم في دور تكونها تتأثر بانسحاب هرمون من الدم له عليها القوة والسيطرة فتنفك من قيودها وتنمو كما تقدم . ويقولون انه لو كان مكروبيًّا لأصاب جميع الناس على اختلاف اعمارهم صغاراً او كباراً ولتابع دستور كوخ الخاص بالعدوى المكروبية ولكنه في الواقع لا يصيب عادة الا المتقدمين في السن

﴿ طرق علاجه ﴾ اما الوسائل المتبعة في معالجته فاثنتان (الأولى) مبضع الجرّاح وهو يفيد اذا كشف عن الورم السرطاني في بدايته. فقد اثبت احد الجرّاحين انه شفى نصف الحوادث التي عالج السرطان فيها بزعمه . ولكن النمو السرطاني في بدايته لا يؤلم فيتعذر الانتباه

له قبل استفحال امره وخصوصاً اذا كان في احد الأعضاء الداخلية. ومتى بلغ هذه الدرجة يكون قد انفصل عنهُ خلايا يرجَّح انها تحدث نوامي سرطانية في اعضاء واانسجة اخرى في الجسم . فاذا استؤصل النموّ الأصلي فكيف نكتشف عن النوامي الأخرى التي في دور التكوّن ؟

والطريقة (الثانية) هي استعمال اشعاع الراديوم وأشعة اكس في اتلاف الخلايا السرطانية من غير اتلاف الخلايا الحيّة الطبيعية في النسيج الذي يحيط بالنموّ السرطاني . والقارىء لا شكّ يعرف ان الاشعاع مظهر من مظاهر الانحلال في جواهر المادة اذ يتحول عنصر الى آخر في صفاته الطبيعية والكماوية فيتحول الراديوم الى رصاص مثلاً . وفي اثناء هذا الانحلال والتحول يطلق العنصر اشعة . وهذه الأشعة قد تكون ذرّات مادية دقيقة تنطلق من الجسم المشعّ كاشعة ألفا وبيتا المنطلقة من عنصر الراديوم . وقد تكون حركة موجية في الأثير كاشعة غمّا التي تنطلق من الراديوم كذلك. اما اشعة ألفا فلا فائدة منها للجرّاح . وأما اشعة بيتا فقد تفيد في بعض الأحوال . اما اشعة « غمّا » فهي معتمد الأطباء في العلاج فيستعملها الجرّاح بادخال ابرة معدنية في النمو السرطاني وداخل الابرة يضع احد مركبات الراديوم . وتكون جوانبها كثيفة تمنع خروج اشعة ألفا وبيتا منها ولكنها لا تمنع خروج اشعة غمّا فتتصل بخلايا النمو السرطاني حولها . اما كيف تفعل هذه الأشعة بالخلايا السرطانية فالرأي الراجح انها تطلق الكهارب من بعض الجواهر في الخلايا السرطانية فتتحلل وتتلف ولكنها لا تفعل ذلك بالخلايا الطبيعية لأنها في رأي بعض العلماء اثبت بناء من الخلايا السرطانية غير الطبيعية

الاشعة الكونية

يعلم قراء المقتطف ما هي الاشعة الكونية فقد بسطناها لهم في مقالات سابقة واتينا على طريقة الكشف عنها وما يقولهُ فيها اهم الكاشفين عنها روبرت ميليكن الاميركي . والى القارىء خلاصة موجزة مما يرتبط منها بهذا البحث [1]

مهما يكون النور ساطعاً وسواء كان نور الشمس او نور مصباح فان ورقة رقيقة تحجبهُ ومنذ عهد غير بعيد (١٨٩٥) كشف عن النور المسمّى باشعة اكس او اشعة رنتجن وثبت انهُ اقوى نفوذاً من نور الشمس وانهُ ينفذ مواد كثيرة لا ينفذها نور الشمس فنستطيع ان نرى به عظام الانسان لانهُ ينفذ اللحم ولا ينفذ العظام . والرصاص من اشهر المواد التي لا تنفذها هذه الاشعة بسهولة فان لوحاً منهُ بُخنهُ سنتمتر ونصف سنتمتر يحجبها . وعليه ترى المشتغلين بالراديوم واشعة اكس يلبسون في ايديهم كفوفاً من الرصاص ويضعون على

(١) راجع مقتطف فبراير ١٩٢٦ ص ١٦٣ ومقتطف مارس ١٩٢٧ ص ٣١١ ومقتطف مارس ١٩٢٨ صفحة ٣١٦ ومقتطف يوليو ١٩٢٨ صفحة ٢

اجسادهم اغطية من الرصاص ويضعون الراديوم في انابيب كثيفة مبطنة بالرصاص لان الاشعة اكس ولبعض الاشعة التي تنطلق من الراديوم فعلاً قويًّا يميت الخلايا اذا اشتدَّ فعلهُ وقد مات اكثر من عالم واصر متأثراً بفعل الراديوم واشعته

وقد ثبت حديثاً لجمهور من الباحثين انهُ تصل الى الارض من الفضاء اشعة اشدُّ نفوذاً من اشعة اكس لانها تنفذ في لوح من الرصاص سمكهُ نحو ١٧ قدماً اي انها تفوق اشعة اكس نحو ٤٠٠ ضعف في قوة نفوذها . واشترك في الكشف عن هذه الاشعة الاستاذ غوكل وهس السويسريان والاستاذ كولهرستر الالماني والاستاذ ملكن الاميركي وساعدوهُ. الاَّ انها نسبت الى الاخير وتعرف باسمهِ كما تعرف اشعة اكس باسم رنتجن لانهُ اثبت وجودها وقاس قوة نفوذها قياساً علميًّا وابان ان مصدرها من الفضاء خارج جوّ الارض بل خارج المجرة والها رسل تبيَّ بان عمل التكوين جار الآن في السدم التي تصدر منها وهذا التكوين انما هو تكوين العناصر من موادها الاساسية. فعل ذلك بسلسلة من التجارب العلمية البديعة نحسب مثالاً ينسج على منوالهِ في البحث العلمي

السرطان والاشعة الكونية

يذهب الاستاذ ملكن الى ان قوة الاشعة الكونية التي تصل الى الارض تبلغ عشر القوة التي تصلها من النجوم نوراً وحرارة . وهذه القوة الضئيلة لا ينتظر ان يكون لها اثر ما في الكائنات الحية على سطح الارض . ولكن لنفرض ان هذه القوة زادت اضعافاً وصار لها اثر فعال في تكاثر الخلايا الحية ونموّها . فالمرجح ان حادثاً من هذا القبيل يزيل كل انواع السرطانية من الاحياء التي تصاب بها . لاننا لا نعلم سبباً يمنع هذه الاشعة الشديدة الاختراق للاجسام المنتشرة في كل انحاء الفضاء من ان تفعل فعل اشعة غما او اشعة اكس التي يستعملها الجراح في العلاج الموضعي . لا بل يرجح العلماء ان اشعة اضعف من اشعة غما او اكس تفعل فعل هذه في اتلاف الخلايا السرطانية التاشزة اذا استرَّ فعلها . فيصح السرطان حينئذٍ اثراً بعد عين ولا نقع على ذكره الاَّ في مدوَّنات الامس النابر

ولنفرض كذلك ان الاشعة الكونية التي تصل الارض كانت في العصور الغابرة اقوى جدًّا منها اليوم فينتج عن ذلك ان فعلها يجعل خلايا الجسم تنمو نموًّا طبيعيًّا وتتكاثر تكاثراً طبيعيًّا فلا تنشز واحدة منها ولا تكسر قيود نموها كما يحدث في النوامي الخبيثة . فالمرجح اذاً ان السرطان لم يكن معروفاً حينئذٍ

ولكن لما كنا قد فرضنا ان قوة الاشعة الكونية الواصلة الى الارض في العصور الغابرة اعظم منها الآن ، وجب علينا ان نفرض كذلك حادثاً كونيًّا قد حدث فاضعفها. فاذا نتج عن ذلك في نشوء الاحياء ! وهل كان هذا التغير يؤثر في انقسام الخلايا ونموها ؟

من المبادئ العلمية المقرّرة ان الكائن الحيّ يتجه دائماً الى التحول تحولا تقتضيه بيئته . فاذا تغيّرت احوال البيئة — كما يحدث في الطبيعة — وجب على الكائن الحيّ ان يتحول طبقاً لتحولها او ينقرض. ومذهب النشوء العضوي انما هو قائم على هذا المبدإ الخطير. لذلك اذا كانت الاشعة التي كان لها هذا الاثر الكبير في نموّ الخلايا وتكاثرها قد اخذت في الضعف فلا مندوحة عن ان يظهر اثر ذلك في مظاهر النمو « الحلوي » . ولقد ثبت ان لاشعة اكس وهي شبيهة بعض الشبه باشعة غما اثراً في احداث تغير في الكائن الحيّ عما لها من الفعل في مادة الوراثة فيه كما ثبت للاستاذ مولر في معالجة سلالات متعاقبة من ذباب « الدروسوفيلا » باشعة اكس فاحدث فيها تغيراً في صفاتها الوراثية من قبيل التحول الفجائي

فلا يبعد عن العقل الذهاب الى ان ضعف هذه الاشعة الكونية الواصلة الينا اذ قيست بما كانت عليه قبلاً كان السبب في ظهور السرطان وازدياد انتشاره لان الزمن لم يتسع بعد للاجسام الحية حتى تتحول طبقاً لمقتضيات الاحوال الجديدة

فاذا صح هذا المذهب في تعليل اصل السرطان وسببه تمكنا من ان نعلّل به زيادة انتشاره المروّع في العصر الحديث ونجاح العلاج باشعة غما لان الجراحين يحاولون ان يعيدوا بها الى الجسم حالته الطبيعية بتعريض النمو السرطاني للاشعة القوية التي كان الجسم كلّه معرضاً لها في العصور الغابرة

ندلي بهذا الرأي ونحن نعلم انهُ على امكان رجحانه ليس لهُ سند علمي يستند اليه . اننا لا نستطيع ان نثبت الآن من حدوث هذا التغيّر في ضعف الاشعة الكونية الواصلة الينا . ولكن في نظامنا الشمسي وسيره في الفضاء ما قد يعلّل حدوث تغير من هذا القبيل

فلقد اثبت ملكن ومساعدوهُ ان الأشعة الكونية لا تأتينا من كل انحاء الفضاء على السواء . بل هي في نواحي السدم العظيمة اقوى منها في نواحي الفضاء الأخرى . لأن في هذه السدم تنفصل كهارب الجواهر عن بروتوناتها بفعل الحرارة العظيمة ثم تعود الى اتحاد في بعض الطبقات فينشأ عن انحلالها وتحولها تولّد هذه الأشعة القوية التي تخترق الاجسام

وفي الوقت نفسه يحدثنا علماء الفلك ان نظامنا الشمسي سائر سيراً سريعاً الى ناحية معينة في الفضاء في جوار الكوكب المعروف بالشياق . افلا يجوز ان يكون نظامنا الشمسي في سيره قد اخترق منطقة من المناطق التي تكثر فيها الأشعة الكونية وانا آخذون الآن في الخروج منها وهذا يعلل ضعف هذه الأشعة وبضعفها يعلل نشوء السرطان وازديادهُ . اذا كان ذلك فأمامنا امد مديد يكثر فيه السرطان رغم وسائل الطبية العاجزة ازاء الاشعة الكونية . وقد يكون من حظنا ان نخترق منطقة اخرى واسعة النطاق فيها الأشعة الكونية قوية تجوهر الأجسام وتمنع عنها النوامي السرطانية . اي هذين الطريقين امامنا ؟ من يدري!

الحضارة القديمة في العالم الجديد

« مصر » القارة الاميركية

كتابتها — علمها — مبانيها — نقوشها — تاريخها

لقد اطلق الكتاب على بلاد المايا في غواتيمالا باميركا المتوسطة وما يجاورها من البلدان كيوكاتان وجنوب المكسيك وسلفادور وهندوراس لقب « مصر » القارة الاميركية لما عثر عليه العلماء من وجوه الشبه بين عمارة المايا وكتابتهم وعمارة المصريين وكتابتهم. وازداد هذا اللقب تمكناً وتأيداً لما ثبت للباحثين ان حضارة المايا هي اقدم الحضارات الاميركية الراقية ومصدر الثقافة التي امتدت عناصرها الى البلدان المجاورة ولان اتصالها اعلام تقاس بها مراحل الحضارات الاميركية القديمة وتؤرخ كملات المصريين القدماء ومدافنهم

واذا نظرنا الى الاحوال التي نشأت فيها امة « المايا » وجدنا ان منشآتها العمرانية تضاهي اوفى المنشآت العمرانية في ارقى الامم القديمة . فاقليم البلاد التي نشأت فيها حارٌّ يضعف القوى ويخمد النشاط وهو في الوقت نفسه يؤاتي الزرع مما جعل الزراعة هناك نزاعاً دائماً بين الانسان والطبيعة في غاباتها وحراجها الغضة التي كانت تخصب الارض وجودة الاقليم تسطو على المناطق التي يزرعها الانسان وتكسوها . ومع ذلك نشأ في تلك البلاد وفي ذلك الاقليم حضارة راقية من ارقى الحضارات القديمة مع انها لم تتصل — على ما نعلم — بالعالم القديم

وشعب المايا هو الشعب الوحيد الذي استنبط في اميركا طريقة للكتابة واستعملها في تدوين مدوناته وهذه الطريقة الكتابية الهيروغليفية تحسب اعظم مآتي اميركا العقلية في العصور الغابرة. اما العلماء فلم يفوزوا حتى الآن بحلّ كلّ هذه الرموز الهيروغليفية ولكنهم عزوا فيها حلوه منها على اركان التاريخ « المايا » واصول تقويمهم وعلومهم الفلكية والرياضية . وقد تكون الباقي منها منطوياً على وصف الحوادث العظيمة التي حدثت لهم اما الرموز نفسها فرسوم للاشياء او للافكار فيها ظلٌّ من الاثر الصوتي ولكن ليس لها البتة

اما تاريخ هذه الكتابة ومنشئها فتتغلغل في القدم تحيط به سحب الريبة والخرافة . ولم

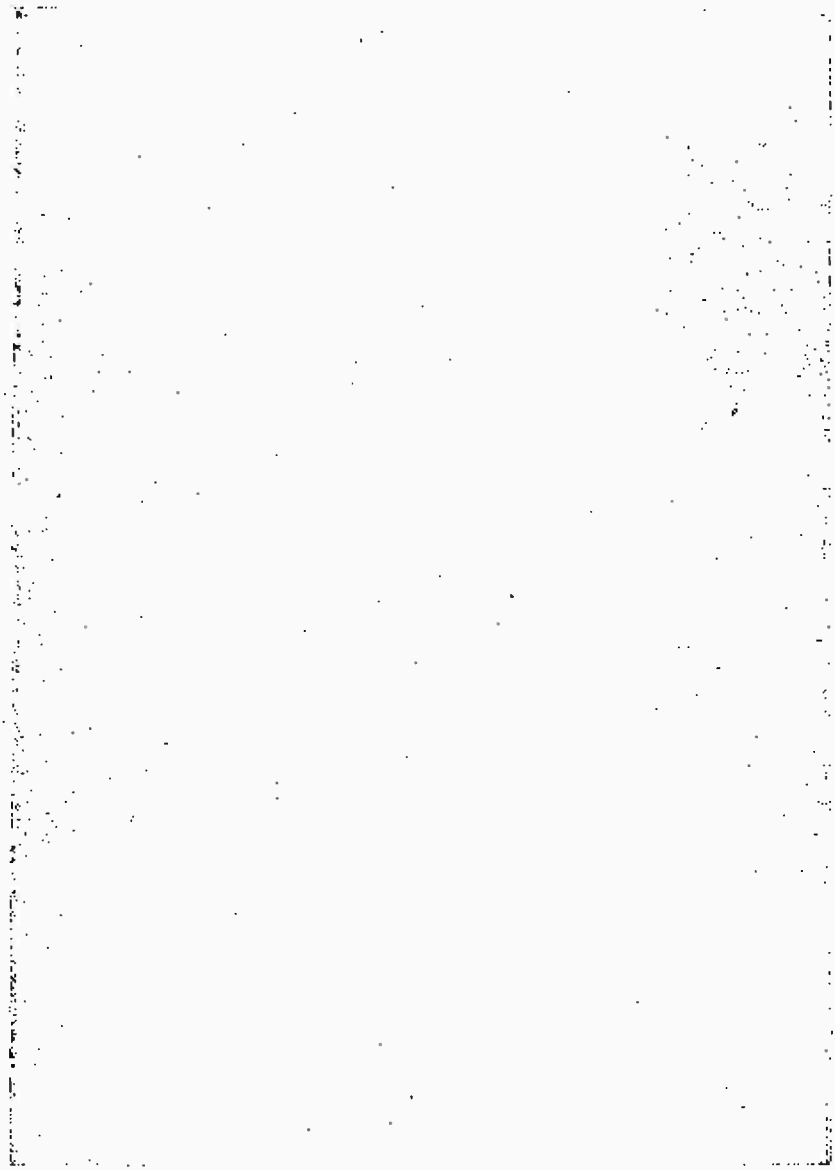

السم الهيروغيني في كوبن

رسم خيالي لهذا السم الذي عثر الباحثون على أقاصيه

يعثر حتى الآن على اثر يحتوي على اسم المستنبط او تاريخ الاستنباط او غير ذلك من دقائق الموضوع . ومع ان اقدم المدوّنات المؤرخة يرجع تاريخها الى سنة ٩٦ قبل المسيح نجد في آثار الاتقان البادية في الاشارات الهيروغليفية دليلاً مقنعاً على انها ليست بنت ساعتها وان قروناً انقضت عليها قبلما بلغت هذه الدرجة في الاتقان . وما في هذه الاشارات من الخطوط المنحنية يدل على انها كانت ترسم على سطح مستوٍ ملس قبل استنباط فن النحت في الحجر الذي مكّن اصحابها بعدئذٍ من نقشها في الحجر الصلب لحفظها مقاومة لاياب الدهر

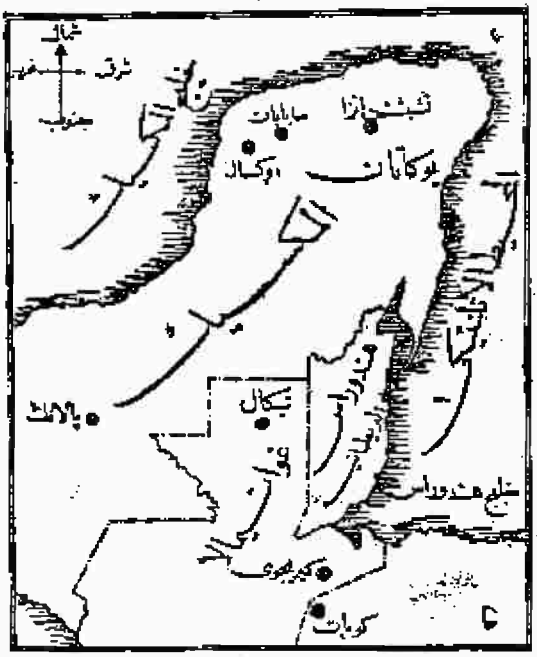

خريطة البلاد التي نشأت فيها حضارة « المايا » وازدهرت

وعلاوة على هذه الكتابات المنقوشة في الصخور كان لشعب « المايا » كتب مكتوبة بالطريقة الهيروغليفية . وقد تلف منها معظم الكتب التي كانت تحتوي على كل علوم المايا وحكمهم اتلفها الاسبان حين افتتحوا البلاد وحكموها . فقد كتب مطران لَندا يقول : ولقد جمعت اربعة آلاف من هذه الكتب والتصاوير الشريرة وحرقتها كلها في الميدان العام ببلدة تيكال رغم حزن الوطنيين وبكائهم . على ان الوطنيين في حزنهم وبكائهم على فقد هذه الكنوز العقلية الثمينة لا يبلغون شأو العلماء في هذا العصر الذي لا يرون بين ايديهم الا ثلاثة من هذه الكتب يحاولون ان يستخرجوا منها اصول حضارة المايا وما آثرها

والكتب الثلاثة التي لم تعبث بها ايدي الاسبان محفوظة الآن في خزائن اوربا وهي في الغالب تدور على جداول فلكية ورياضية وبعض التهاويل السحرية . والظاهر ان احتفاظ هذه المعارف في طبقة كهنة « المايا » كان الباعث على اتلاف الكتب التي دونت فيها لان الكهنة الاسبان كانوا ينظرون الى كهنة المايا نظرهم الى الشياطين فحملوا القواد على الفتك بهم واتلاف كتبهم

معارفهم الفلكية والرياضية

وقبلما نلمّ بتاريخ « المايا » لننظر نظرة عجلى في معارفهم الفلكية والرياضية لان الباحثين مجمعون على ان عملهم في هذه الناحية من نواحي الثقافة لا يفوقه عمل اية امة اخرى في اقليم كاقليمهم وبيئة كبيئتهم . فهو كاستنباطهم للكتابة الهيروغليفية اعظم ما آتى العقلية في اميركا القديمة

﴿ التقويم ﴾ كل تقويم يجب ان يبنى على قياس دقيق لطول السنة. وهذا القياس عمل صعب ان لم يكن متعذراً في امة لا تملك ادوات فلكية دقيقة . فالسنة على ما نعلم يتعذر تقسيمها الى عدد كامل من الايام والشهور لانها مؤلفة من ٣٦٥ر٢٤٢٢ يوماً او ١٢ شهراً قريباً و٣٧ في المائة من الشهر كلٌّ منها مؤلف من ٢٩ يوماً و٥٣ في المائة من اليوم . وهذه الكسور في الايام والشهور كانت ولا تزال العقبة الكأداء في سبيل واضعي التقاويم على اختلافها. فالسنة حسب التقويم اليولياني الذي كان مستعملاً في جنوب اوربا الى سنة ١٥٣٢ وفي شمال اوربا الى سنة ١٧٠٠ وفي روسيا الى بعد الحرب كانت اطول من السنة الحقيقية ١٢ دقيقة فكانت النتيجة انهُ لما عزمت روسيا ان تجري على التقويم الجريجوري كان الخطأ في اليولياني قد بلغ نحو اسبوعين. على ان امة « المايا » تمكنت من غير ادوات الرصد ان تضع تقويماً من نحو التي سنة لا يبلغ الخطأ فيه اكثر من يوم في ٢١٤٨ سنة . اما التقويم الذي تجري عليه اليوم فلا يفوق تقويم المايا كثيراً . فالخطأ فيه يبلغ يوماً واحداً في ٣٣٢٣ سنة . كذلك تمكن علماء المايا ان يضعوا تقويماً قريباً لا يزيد فيه الخطأ عن يوم واحد في ٣٠٠ سنة

﴿ علم الهيئة ﴾ وعلاوة على ذلك تمكن رصّد « المايا » من ان يعرفوا مدى دوران الزهرة والمرجح انهم قرروا مدى دوران المريخ ويحتمل انهم عرفوا مدى دورة المشتري وزحل وعطارد . وبنوا على دورة الزهرة تقويماً كانوا يستعملونهُ في ضبط التقويم الشمسي والتقويم القمري . فقد كانوا يعرفون مثلاً ان ثماني سنوات شمسية تعادل تقريباً خمس سنوات من سني الزهرة وان ٦٥ سنة من سني الزهرة تعادل مائة سنة واربع سنوات من سني الشمس . وكانوا يستعملون التقاويم الثلاثة لتقدير ازمنة طويلة وقد وُجد ما يدل على انهم تنبأوا بحدوث حوادث فلكية تمتد الى اكثر من ٣٤ الف سنة . وكانوا يتنبأون بالكسوف

﴿ الصفر ﴾ اما الجداول الرياضية التي وضعوها فكان يلزم لها قبل وضعها استنباط فكرة « الصفر » وهذا الاستنباط من مفاخر حضارة « المايا » . فالصفر امر تعودناهُ في الجداول الحسابية الآن حتى اصبحنا نراهُ غير ذي خطر تقول عنهُ انهُ رمز للعدم. ولكن لولا هذا الرمز لتعذر القيام بالعمليات الحسابية قياماً سريعاً ولما تمهدت الطريقة للحساب العشري ولظلت العلوم الرياضية حبيسة ذيولها على الارض . فالصفر هو الذي مكّننا من ترتيب الارقام حتى يكون لكل رقم منها قيمة خاصة بحسب الرتبة التي يكون فيها . ومع ذلك لم يستنبط الصفر الاّ في القرن السادس او السابع بعد المسيح استنبطهُ الهنود ونقلهُ العرب الى اوربا فانتشر في بلدانها. على ان امة المايا استنبطتهُ على حدة قبلما استنبطهُ الهنود بالف سنة

ادوار تاريخهم

اما وقد المنا بشيء من مآتي المايا الحسية فلنتجه الآن الى تاريخهم : واول ما يجب ذكرهُ في هذا الصدد ان الاثريين الاميركيين لا يعترفون بوجود علاقة ما بين شعب المايا وشعوب العالم القديم. فالفروق الكبيرة في الجنس واللغة واركان الثقافة تفوق وجوه الشبه السطحي في قيمتها. فالمايا كانوا لغة ودماً من هنود اميركا وحضارتهم اميركية خالصة

﴿ جاهليتهم ﴾ اما اصل المايا فموضوع لا طيل الوقوف عليهِ لانهُ لا يهمنا الآن سواء هجروا الى اميركا الوسطى من الشمال او من الجنوب او من الغرب او نشأوا ونموا في البلاد التي ازدهرت فيها حضارتهم. والمرجح ان سيرهم على طريق العمران بدأ الوفاً من السنين قبل المسيح حين تمكنوا هم او على ما يرجح حين تمكن سكان مرتفعات المكسيك المجاورة لهم من تدجين نوع من العشب المكسيكي البري فاستنبطوا منهُ الذرة . فلما علم الناس اصول الزراعة استقرّت حياتهم ورفهت معيشتهم واتسعت امامهم ساعات الراحة والفراغ وزاد عدد السكان فتمكنوا من العناية باعمال الحضارة واتقانها . وبعدما استنبطوا الذرة تمكنوا من ان يضيفوا الى حاصلاتهم الزراعية الفاصولياء والكوسى والفلفل والقطن والتبغ والكاكاو والاناناس ثم دجنوا النحل وبعد ذلك استنبطوا صناعة الخزف

ومعرفة العلماء بتاريخ المايا من نشأته الى قاعة العصر المسيحي مبنية على الظن اكثر من بنائها على التحقيق العلمي الراسخ . ولكن الحضارة العالية التي ازدهرت في القرون التي تلت ولادة المسيح تقتضي نشوءاً بطيئاً سابقاً لها مستغرقاً قروناً كثيرة ففي هذه المدة السابقة لازدهار الحضارة استنبطت الرموز الهيروغليفية ووضعت اصول الفنون المختلفة ورصدت الاجرام السموية ارصاداً بنيت عليها فيما بعد التقاويم المختلفة

﴿ الامبراطورية القديمة ﴾ ويصحُّ ان يقال ان تاريخ المايا يبدأ سنة ١٧٦ بعد المسيح وهو التاريخ المدوّن لأول كلام خرافيّ . اما عهد الامبراطورية القديمة فاستمرَّ الى سنة ٦٠٠ بعد المسيح وتاريخهُ مبني في الأكثر على التواريخ المنقوشة في الانصاب الحجرية . وهو منقسم الى ثلاثة اقسام الأول يمتدُّ الى سنة ٣٥٧ ب . م . والمتوسط الى سنة ٤٥٥ ب.م والثالث وهو عصر الازدهار او العصر الذهبي الى سنة ٦٠٠ ب.م. وفي هذه الحقبة بنى ابناء هذا الشعب النشيط عشرات من المدن العظيمة ومئات من القرى الصغيرة

وأقدم المدن العظيمة التي شادوها مدينة تيكال في غواتيمالا حيث شاد « المايا » اعلى بناء شيد في اميركا الوسطى في العصور الغابرة فبلغ علوهُ مع هرمه ١٧٥ قدماً . اما مدينة

كوبان في شمال هندوراس فكانت على ما يرجح اعظم المدن في عهد الامبراطورية القديمة . فالسلم الهيروغليفي العظيم (انظر الصورة) كان قبلما دمّره زلزال شديد اثاب تلك البلاد من اعظم اعمال البناء التي قام بها سكان اميركا الاصليون . فقد كان مؤلفاً من تسعين درجة عرض كل منها ١٢٥ قدماً وعمقها ٢٥ قدماً وكانت وجوه هذه الدرجات كلها وما اقيم على جانبيها من الانصاب مغطاة بالنقوش الهيروغليفية يتألف منها كتابة فيها ٢٥٠٠ رمز والمرجح ان هذا السلّم بني سنة ٥٠٠ ق . م. والعمارة في سائر مدن المايا على نمط العمارة في كوبان . فكانت اكثر المباني مجتمعة حول مركز المدينة ومرتفعة على تلال من التراب كأنّ كلاً منها الأكروبليس في اثينا . على ان المباني بوجهٍ عام ضخمة ساذجة وخالية من اي اثر عظيم للفن. والمرجح ان دوافع التعبير الفني في نفوس المايا ظهرت آثارها فيما نقشوهُ من الانصاب والمذابح والتماثيل لتزيين مبانيهم بها

اما المدينة التي تمثل حضارة العصر المتوسط من الامبراطورية القديمة فهي مدينة بالانك وهي اطلال مشهورة الآن في جنوب المكسيك . في هذه المنطقة لم يجد حذقة الصنّاع حجراً موافقاً للنقش والحفر فاستعملوا نوعاً من المصيص الجيري الكثير في تلك المنطقة. وفي القوالب التي اخرجوها بلغوا غايات بعيدة من الدقة والجمال. فالنقوش البارزة في بالانك التي افرغت على هذه الطريقة هي من اروع الآثار الفنية التي خلفوها

وبلغ المايا ذروة حضارتهم حوالي سنة ٥٢٠ ق . م . وفاقوا بذلك اعلى مابلغتهُ حضارة التوتونيين في اوربا في ذلك العصر . وقد عثر الاثريون حتى الآن على اطلال سبع عشرة مدينة في الاكام المنتشرة في شمال غواتيمالا والبلاد التي تجاورها . ومما لاريب فيهِ ان العلوم والفنون كانت مزدهرة ومستوى معيشة السكان عالياً . واعظم مدينة نشأت حينئذٍ كانت مدينة كيريجوى بغواتيمالا . ففي اطلالها عثر على اكبر آثار المايا الفنية وابدعها. والانصاب التي وجدت فيها ممتازة بحجمها وبراعة جمالها ويستدل منها ان نصباً منها كان يقام كل خمس سنوات والقصد منهُ ان يكون جزءاً من تقويم عام خالد على الدهور

﴿ الامبراطورية الجديدة ﴾ ولسبب ما لم يكتشفهُ الباحثون اخذت مدن غواتيمالا تقفر من اهلها حوالي سنة ٦٠٠ ب .م. ويسند بعض العلماء ذلك الى تفشي الحمى الصفراء ويقول آخرون ان حرباً اهلية طاحنة نشبت بين طوائف السكان فبادوا فيها ويقول غيرهم ان تغيراً فجائياً في الاقليم والتربة جعل البلاد جدباء لا تكفي لاخراج القوت الكافي

وعلى كلٍّ لم يعثر الباحثون على آثار مدينة من مدنهم ظلت مأهولة بعد مطلع القرن السابع المسيحي. وتاريخ القرون الثلاثة التالية محجّب بحُجُب الجهل والراجح ان شعب المايا

رأس حجري منقوش في دور ديكل
ببوكاتان يكاد يكون مماثلا على وجه

عمود من الحجر الجيري على الطريق
في مدينة الأشك ببوكاتان

الدور العلوي لمعبد في سايبل ببوكاتان
وعمارته مثل حسن على عمارة شعب المايا في دور الامبراطورية

منتطف دسمبر ١٩٢٩

أمام صفحة ٤٩٧

كان في فترة تحول وانتقال . ولكن لما انتصف القرن العاشر المسيحي كانت آثار حضارتهم قد انتقلت شمالاً الى يوكاتان فجددوها هناك وظلت زاهية زاهرة الى اواسط القرن الخامس عشر . فنشأت في يوكاتان مدن جديدة أروع جمالاً وابدع فناً وبناء من مدن غواتيمالا وهندوراس . ومما امتازت به حضارة « الامبراطورية الجديدة » عن الحضارة مع ان ميزة « الامبراطورية القديمة » كان فن النقش

وأشهر المدن الفخمة التي نشأت مايابان وأوكمال وتشيتشن ايتزا . نشأت المدينتان الأوليان في القرن العاشر م. ولكن الثالثة اقدم منهما والمرجح أن الناس نزلوا فيها اولاً في القرن السادس فهي اقدم مدن اميركا الآن . وكانت هذه المدن الثلاث في مطلع القرن الحادي عشر مراكز ثلاث قبائل كبيرة كلٌّ منها يحكم عليها طبقة من الأشراف فاتفق هؤلاء على التحالف فيما بينهم وتأليف حكومة عامة تدير شؤون المدن الثلاث فظلت هذه الحكومة المشتركة قرنين متواليين فبسط الأمن رواقهُ في عهدها وعمَّ الرخاء وازدهرت الفنون وبنيت الهياكل والاهرامات وغيرها من المباني العظيمة . هذا العصر في تاريخ المايا (١٠٠٠ — ١٢٠٠ ب.م.) معروف بالعصر الذهبي الجديد . اما الآن فانك لا تقع حيث كانت مدينة مايابان الا على آكام مهجورة وأطلال خربة . وأما اطلال تشتشن ايتزا وأوكمال فترتفع بما فيها الحجرية فوق اشجار الأدغال التي سطت عليها . واليها اتجه العلماء والسيّاح اولاً . فهي احرى الآثار الأميركية بالزيارة والدرس

﴿ الحرب الاهلية ﴾ وسبب هذا الخراب ان عقارب الغيرة دبّت في صدور الاشراف الحاكمين في هذه المدن الثلاث حوالي سنة ١١٩٠ بعد ما قضوا نحو قرنين يؤيدون الحكومة العامة التي مهدت السبيل لعصر الذهبي الجديد فنشبت بينهم حرب اهلية طاحنة . والظاهر ان الحرب شبت أولاً بين مدينتي مايابان وتشتشن ايتزا فعمد اشراف مايابان الى عمل غيّر وجه حضارة المايا . ذلك انهم استجدوا بقبائل التولتك في وادي المكسيك الى الشمال الغربي منهم . وهذه القبائل كانت على جانب عظيم من الحضارة والراجح ان انبساط نفوذ التولتك في شمال يوكاتان هو الذي اثار غيرة المايا في الجنوب فكانت السبب الحقيقي في نشوب الحرب الاهلية . ولكن مهما يكن الأمر فان ممثل تشيتشن ايتزا في الحكومة العامة دسّ ضدّ زميله ممثل مايابان فنشبت الحرب الأهلية واستعان اشراف مايابان بجنود التولتك على اشراف تشيتشن ايتزا وفتحوها عنوة . وكانت هذه الحرب فاتحة لسيطرة دولة التولتك في يوكاتان التي دامت الى اواسط القرن الخامس عشر

على ان مدينة اكمال بقيت ملتزمة جانب الحياد مترفعة عن خوض معامع النزاع بين

المدينتين ولم تأخذ بفنون التولتك واسلوب عمارتهم كما فعلت مايابان الا في بناء ساحة الرقص. واما مدينة تشيتشن ايتزا فشيدت فيها المباني الفخمة على الاسلوب التولتكي والاسلوب المتأثر به.

ولما بلغت القائمون بدولة التولتك ان اصبحوا متجبرين مستبدين بالرعية فاندفع الوطنيون في اواسط القرن الخامس عشر الى رفع علم الثورة عليهم بزعامة مدينة اكسمال فذبحوا كل ابناء الاسرة الحاكمة في مايابان ودمروا المدينة فلم يبق منها اليوم الا كوم من الحجارة مائلة على قمم الآكام. وكان سقوط مايابان نهاية حضارة المايا. والظاهر ان البلاد مزقتها بعد ذلك حرب اهلية طاحنة فهجرت مدينتا اكسمال وتشيتشن ايتزا ولم تبن مدن اخرى تقوم مقامهما. وفشا الجوع والمرض وجاءت على اثر ذلك طليعة الفاتحين الاسبان.

اما اليوم فهود المايا يقطنون شبه جزيرة يوكاتان وجواتيمالا ويقدر عددهم بثلاثمائة الف. وهم جنس راق من صنوف اميركا اقوياء الاجسام اذكياء العقول في نفوسهم شعلة الاستقلال وفي عزائمهم الاجتهاد وحب العمل وفي عاداتهم النظافة من الادران. واكثرهم لا يتكلم الا لسان المايا على ان اصحاب المزارع منها يتكلمون اللغة الاسبانية كذلك. وقد كان انقراض الاشراف والكهنة وحرق كتبهم مؤذناً بضياع معالم حكمتهم وعلمهم وصناعتهم ونسيان آثارها فلم يبق الا اطلال فخمة في الادغال تحدث بعظمتهم الماضية وعزمهم الغابر

صورة ترسيم «هيكل الخرزة» في مدينة تشيتشن ايتزا

المامة تاريخية ساذجة

عصر ابي بكر الصديق

للكتور احمد فريد رفاعي

— ٢ —

الردة بر تقة الاسلام

لعلك تطالبني الآن بالتحدث اليك في الردة من حيث كونها بوتقة صهر بها الاسلام وخرج منها قويًّا مذاعاً ، ونال من بعدها نجاحاً مؤزراً . وانت تعلم ان الردة في جملتها امتناع فريق من العرب كبير عن اداء فريضة الزكاة باعتبارها نوعاً من الاتاوة وفاتهم انها نوع من المعونة والرحمة والعطف من غنيهم لفقيرهم ومن قويهم لضعيفهم. وتعلم ان تيار الردة كان قويًّا وجباراً في قوته حتى كاد يكتسح الاسلام اكتساحاً لولا انه دين الله ولولا ان نهد لمرتدين مثل ابي بكر فرماهم بشجعان العرب وفرسان الهزاهز وابطال المواقع امثال خالد بن الوليد ووجهه قتال طليحة بن خويلد الأسدي ومالك بن نويرة وعكرمة بن ابي جهل وقد وجه به الى مسيلمة الكذاب باليمامة ، وشرحبيل بن حسنة ووجهته مسيلمة وقضاعة ، والمهاجر بن أبي أمية لمعاونة الابناء على قتال الأسود العنسي بصنعاء ، وحذيفة بن محصن وقد بعث به الى عمان ، وعرفجة بن هرثمة الى أهل مهرة ، وسويد بن مقرن ووجهته الى تهامة ، والعلاء بن الحضرمي وبعثه الى البحرين ، وطريفة ابن حاجز ومهمته بني سليم ، وعمرو بن العاص لقيادة الجند الى قضاعة ، وخالد بن سعيد وقد وجهه الى الشام

تعلم هذا وتعلم من الطبري وغير الطبري النصوص التي كتبها ابو بكر لامير كل بعث وجماعة المرتدين في كل قطر وقد هالك طبعاً ان ترى ان الفتنة قد التهبت في كل صقع من بلاد العرب ، وهالك طبعاً انه الى جانب هذا الارتداد الحزبي ارتداد اوسع نطاقاً وابلغ خطراً ... هو ادعاء النبوة عند الكثيرين ممن يصح ان اتحدث في أمرهم معك تفكهة ودعابة بيد اني الآن اود ان اتحدث اليك في شيء جزئي هو الآخر ولكن له معناه وله فلسفته وله درسه وله تهذيبه . . . . . ذلك الشيء هو انفاذ ابي بكر الصديق لجيش

اسامة بن زيد ، واعتقد انك ستوافقني بعد وقوفنا على ذلك الشيء الجزئي معاً وسنؤمن معاً بضرورة نجاح اصحاب هذه الدعوة الاسلامية لما لهم من مميزات خلقية من عزمة جذاء ، وهمة شماء ، وارادة وعضاء

ابو بكر واسامة بعهد نبيه

اجل سأحدثك عن اسامة وبطولة اسامة وهو لم يزل بعد في طراوة اهابه وعنفوان شبابه ، وهو جدير باعجابك وتقديرك لانك معجب بنابليون وبطولة نابليون وهو لم يزل بعد كاسامة في طراوة اهابه وعنفوان شبابه . . . ولكنني اعتم جبك للنصوص التاريخية لأن رسميات ذلك العصر وما هو شبيه بالرسميات في ذلك العصر مما يقع من قلبك الكبير موقع التقدير والاجلال . . . . . ولست في حاجة الى ان اذكرك أن نية رسول الله نفسه كانت منصرفة الى ان يبعث باسامة وجيش اسامة لتأديب بعض القضاة والخارجين . ولست في حاجة لان اقول لك ان المنية قد عاجلت الرسول دون انفاذ هذه البعثة وان ارتداد المسلمين والدهول الذي استولى على المؤمنين بوفاة نبي المسلمين لم يحولا بعد عما ستحدثك به النصوص والرسميات ، والمصادر الشبيهة بالرسميات . . . .

يحدثنا الطبري عن شيخته عن عاصم بن عدى انهُ قد نادى منادي أبي بكر من بعد الغد من متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتم بعث اسامة ألاَّ يبقين بالمدينة احد من جند اسامة الا خرج . . . ويحدثنا بان ابا بكر قد خطب هذا الجند بما ستجده في اخبار السنة الحادية عشرة . . . . . ثم يحدثنا الطبري بان الحسن بن ابي الحسن البصري قد قال ما نصهُ : « ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بعثاً على أهل المدينة ومن حولهم وفيهم عمر بن الخطاب وأمر عليهم أسامة بن زيد ، فلم يجاوز بهم آخر الخندق حتى قبض رسول الله صلعم ، فوقف أسامة بالناس ثم قال لعمر : ارجع الى خليفة رسول الله فاستأذنهُ يأذن لي ان ارجع بالناس ، فان معي وجوه الناس وحدهم ، ولا آمن على خليفة رسول الله ، وثقل رسول الله ، واثقال المسلمين أن يتخطفهم المشركون . . . . ! وقالت الانصار فإن ابى إلاَّ ان يمضي فابلغهُ عنا واطلب اليهِ إن يولي أمرنا رجلاً أقدم سناً من أسامة . . . . ! فخرج عمر بأمر اسامة ، وأتى ابا بكر فأخبره بما قال أسامة . فقال ابو بكر : لو خطفتني الكلاب والذئاب لم ارد قضاء قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فان الانصار أمروني أن ابلغك انهم يطلبون اليك أن تولي أمرهم رجلاً أقدم سناً من أسامة ، فوثب أبو بكر وكان جالساً ، فأخذ بلحية عمر فقال له ثكلتك

امُّك وعدمتك يا ابن الخطاب ، استعمله رسول الله صلعم وتأمرني أن انزعه . . . . . ! فخرج عمر الى الناس فقال يا ما صنعت فقال : امضوا ثكلتكم أمهاتكم ما لقيت في سبيلكم من خليفة رسول الله . . ! ثم خرج أبو بكر حتى أتاهم وشيعهم وهو ماش ، وأسامة راكب ، وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر ، فقال له اسامة يا خليفة رسول الله والله لتركبن أو لأنزلن ، فقال والله لا تنزل ووالله لا أركب ، وما عليَّ أن أغبر قدميَّ في سبيل الله ساعة . . . . . ! إنَّ للغازي في كل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له وسبعمائة درجة ترفع له ، وترفع عنه سبعمائة خطيئة . . . . . حتى اذا انتهى قال ان رأيت ان تعينني بعمر فافعل ، فأذن له ثم قال : يا أيها الناس قفوا اوصيكم بعشر فاحفظوها عني ، لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لأكلة ، وسوف تمرّون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فاذا اكلتم شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها . وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رءوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف خفقا : اندفعوا باسم الله . . . . . اه »

***

وإنك بلا ريب ستوجّه نظري ياصاح الى قوة ارادة ابي بكر المثلة في قوله « لو خطفتني الكلاب والذئاب لم أردَّ قضاء قضى به رسول الله » ، وستشير اليَّ بما في تصميم ابي بكر على إمرة أسامة من احترام ارادة الرسول ، وستذكرني بأدبه في مشيته ، وايمانه في خطوته ، وأدبه مع قادته . . . . . ستوجه نظري الى ذلك كله مما يجب عليَّ ان اذكره واتدبره واما انا فاري في عنقي بعد ان فهمت ما ترمي اليه من تبيان رسوخ ابي بكر واستصغاره للخطب وتقديره للكفايات واحترامه لحقوق الامير وهو الخليفة دونهُ في استئذانه في النزول له عن احد جنوده ورجاله كعمر بن الخطاب — أمَّا انا فاري من قبلي ان أوجّه نظرك — سيما في ايامنا هذه وجيلنا الراهن وحروبنا الحاضرة الى ما تضمنتهُ وصيتهُ لجنده من ضروب الانسانية وآداب المقاتلة . . . . . اليس كذلك ؟

ولكنك تريد ان تحدثني عن الردة وما فيها من حروب ووقائع انتهت بتوطيد الاسلام ، وتطهير الاسلام ، في تلك البوتقة الحامية الضرام . . . . واما انا فأريد من ناحيتي ان احدثك عن الوجه الثاني من الردة . . . وجه البطولة الكاذب في النبي الكاذب

الانبياء الكذبة

افهم جيداً ان المجال لا يسمح بالتحدث عنهم جميعاً من مسيلمة بن حبيب رعيلة بن كعب المعروف بالاسود العنسي وطليحة بن خويلد الاسدي وسجاح بنت الحارث بن سويد التميمية وغير هؤلاء من مرتزقة الرسالة وصناع النبوة . . . . افهم هذا ولكني افهم ان وجه ثبات الايمان ، ووجه اعجاز القرآن ، ووجه نجاح رسالة نبي عدنان ، انما كان في ظهور هؤلاء وانما كان في تزييف هؤلاء وفشل هؤلاء . . . .

ولعلك تذكر خلاصة ما قرأته في شبابك في المظان التاريخية العربية عن رغوة هؤلاء وزبد هؤلاء . . وانها كانت الى زوال وعفاء ، وانها ذهبت جفاء وكتب لها الفناء . . .

ولعلك تذكر من قرآن سجاح قولها : «أعدوا الركاب ، واستعدوا للهاب ، ثم اغيروا على الرباب ، فليس دونهم حجاب »

ثم لعلك تذكر من قرآن مسيلمة : « والمبذرات زرعاً ، والحاصدات حصداً ، والذاريات قمحاً ، والطاحنات طحنا ، والعاجنات عجنا ، والخابزات خبزاً ، والثاردات ثرداً ، واللاقمات لقماً ، اهالة وسمنا . . . لقد فضلتم على اهل الوبر ، وما سبقكم أهل المدر ، رمحكم فأمنعوه والمعز فآووه ، والباغي فناوئوه . . . . ثم قوله : الفيل ما الفيل وما الفيل ، وما ادراك ما الفيل ، له ذنب وبيل ، وخرطوم طويل . . . ثم لعلك قرأت في حيوان الجاحظ عند كلامه في الضفدع قوله : ولا أدري ما هيج مسيلمة على ذكرها وفيم ساء رأيه فيها حتى جعل بزعمه فيما نزل عليه من قرآنه : يا ضفدع بنت ضفدعين ، نقي ما تنقين ، نصفك في الماء ونصفك في الطين ، لا الماء تكدرين ، ولا الشارب تمنعين . . . »

ثم لعلك الى جانب هذا كله تذكر قول مسيلمة لسجاح . « وهل أكل قومي وقومك العرب ؟ قالت نعم . . . فتزوجها واقامت معهُ ايماً ثلاثة ثم أفلت راجعة الى قومها . . . لا من رسالتها ولا من جهادها ولا من بلائها بل من زواجها ان كان الزواج جهاداً ومن بنائها إن كان البناء بلاءاً . . . . فسأل قومها نبيهم ذات المعجزات والآيات عن وحيها الجديد ، وأمرها الجديد ، فقالت : إني وجدته على الحق فاتبعته وتزوجني . . . . ! فما ثارت لهم ثائرة ، ولا نفرت بهم نافرة ، ولا تولتهم الحزية الخافرة ، وإنما الذي هالهم وافزعهم والذي اسهدهم وابكتهم انها تزوجت من غير صداق ، فردوها اليه لانه قبيح بمن كان في مكانتها من النبوة ومرتبتها من الرسالة ان تتزوج بلا صداق . . . . . سألته الصداق فدعا مؤذنها شبث ابن ربعي الرياحي فأمره ان يؤذن في الناس . . . « إنهُ حط عن الناس صلاتين مما أتى به محمد : صلاة العشاء الآخرة وصلاة الفجر . . . . ! »

ثم لعلك تذكر الى جانب هذا ، اجتثاث اصول هؤلاء . ولكنك لا تزال تذكر معي في حسرة وأسىً ما نجم عن امثال هذه العبقرية الممرحة المرجاء ، والبطولة الزائفة الكسلاء ، وهذه الاصولة الخاطئة العشواء . . . . من بدع بالغات ، واحاديث هي في نظرك ونظرنا من الكاذبات . . . . ولعلك ان كنت لا تزال تذكر قولنا لك في تيارات المبالغات والمناقصات ، ان نذكر هنا امثال تلك الاحاديث الشرهة النزعة بها كتب الادب والسير امثال ما لصقوه به من الاقوال عن الفواكه وما الى الفواكه من الحلوى وغيرها وان تقارنها بما كان يكرهه صحابة هذا العصر من الاتجاه الى الاحاديث ورواية الاحاديث إلا في أمر حازب وموقف حاسم وعظة بالغة ثم تقارنها بما كان عليه القوم من تقشف في كل شيء من ملبس ومأكل ومشرب . . . ولكن النبوة التي من «الماس الكاذب» لها بريقها وسرابها ، وحتلها وسخفها ، ولكن المسلم الذي من «الماس الكاذب» ليس له من اسلامه إلا الاسم واللقب ، والاصل والحسب ، أما العمل والايمان ، وإما الاخلاص والعرفان . . . . فهذه هو منها براء ، وهذه هو بعيد عنها بعد الارض عن السماء

ولكنك مع هذا كله مازلت تريدني وأنا في مقام الردة ، وتجديد الاسلام بعد حروب الردة ، وا كتساح الايمان الصحيح للنبوة الكاذبة ، تريدني ان اثبت لك بعد ما قرأت من قرآن عصر الردة كلمة الجاحظ التاريخية الخالدة في هذا الباب . . . .

قول الجاحظ

قال الجاحظ : « بعث الله محمداً صلعم أكثر ما كانت العرب شاعراً وخطيباً ، وأحكم ما كانت لغةً ، وأشدَّ ما كانت عدّة ، فدعاها أقصاها وأدناها الى توحيد الله وتصديق رسالته ، فدعاهم بالحجة ، فلما قطع العذر ، وأزال الشبهة ، وصار الذي يمنعهم من الاقرار الهوى والحمية ، دون الجهل والحيرة ، حملهم على حظهم بالسيف ، فنصبلهم الحرب ، ونصبوا له ، وقتل من عليهم واعلامهم وبني اعمامهم ، وهو في ذلك يحتج عليهم بالقرآن ، ويدعوهم صباحاً ومساء الى ان يعارضوه إن كان كاذباً بسورة واحدة ، أو بآيات يسيرة ، فكلما ازداد تحدياً لهم وتقريعاً لعجزهم عنها ، تكشف من نقصهم ما كان مستوراً ، وظهر منه ما كان خفيًّا ، فحين لم يجدوا حيلة ولا حجة ، قالوا له أنت تعرف من اخبار الامم ما لا نعرف ، فلذلك يمكنك مالا يمكننا ، قال فهاتوها مُفْتَرَيات ، فلم يَرُمْ ذلك خطيب ، ولا طمع فيه شاعر ، ولو طمع فيه لتكلفه ، ولو تكلفه لظهر ذلك ، ولو ظهر لوجد من يستجيد ويحاكم عليه ويكابر فيه ويزعم أنه عارضٌ وقابلٌ وناقض ، فدلَّ ذلك العاقلَ على عجز القوم مع كثرة كلامهم

واستجابة لفهم ، وسهولة ذلك عليهم ، وكثرة شعرائهم وكثرة من هجاه منهم ، وعارض شعراء اصحابه وخطباء أمته ، لأن سورة واحدة وآيات يسيرة كانت أنقض لقوله ، وأفسد لأمره وأبلغ في تكذيبه ، وأسرع في تفريق اتباعه ، من بذل النفوس ، والخروج من الأوطان ، وإنفاق الأموال ، وهذا من جليل التدبير الذي لا يخفى على من هو دون قريش ، والعرب في الرأي والعقل بطبقات ، وهم القصيد العجيب ، والرجز الفاخر ، والخطب الطوال البليغة ، والقصار الموجزة ، وهم الاسجاع ، والمزدوج ، والملفظ المنثور ، ثم تحدّى به أقصاهم بعد أن أظهر عجز أدناهم . فمحالٌ أكرمك الله أن يجتمع هؤلاء كلهم على الغلط في الأمر الظاهر ، والخطإ المكشوف البيّن ، مع التقريع بالنقص ، والتوقيف على العجز ، وهم أشدُّ الخلق أنفة ، وأكثرهم مفاخرة ، والكلام سيد عملهم ، وقد احتاجوا اليه ، والحاجة تبعث على الحيلة في الأمر الغامض ، فكيف بالظاهر الجليل المنفعة ؟ وكما أنهُ محالٌ ان يطيقوا ثلاثاً وعشرين سنة على الغلط في الامر الجليل المنفعة ، فكذلك محالٌ ان يتركوه وهم يعرفونه ، ويجدون السبيل اليه ، وهم يبذلون اكثر منه . . . اه . »

على رسلك يا صاح فقد حدثتنا عن الردة وأنبياء عصر الردة ، وحدثتنا عن علاقة ابي بكر في الردة ، وكان من المنتظر ان تحدثنا قبل ذلك بحديث السقيفة لأن السقيفة كانت مبدأ حياة ابي بكر . ولكني احيبك في غير تعقيب على كلامك او اتمام لحجتك او نقض لأقوالك ان المؤرخين قد جروا مجراك بيد اني احب لك المنطق اكثر من جريك على ارسان العادة وأحكام العادة ، ولعلك لا تزال تذكر من مراجعاتك في كل التاريخ ان شيئاً كثيراً من نبوة الأدعياء قد افرخت جرثومتها والنبي صلعم لا يزال على قيد الحياة ، وان ارتداد العرب الذي تم انفجاره بعد وفاته مباشرة لا بد وان يكون لقي نفوساً ممدة له ، وتربة موائية لحمله وتناده . وأنت تدرس الفكرة في تطورها وأنت تحفل بهذا النوع من الدراسة لاسيما وقد لاحظت ان ابا بكر اصرَّ على امرة أسامة بن زيد في حربه ضد المشركين وان أسامة بن زيد ما نصبه في القيادة الا رسول الله ، وقد لاحظت ان نبوة الأسود العنسي كانت في عهد رسول الله . وإذنْ فقد رأيت ان المنطق لا العادة يقضي بهذا النظام الذي اخذناك به في غير صلف ولا إدعاء وقد نكون على ضلال في عمانا مع فكرة وجدت قولدت قمت ثم دوت اكثر من عمانا مع المواقع والأيام والساعات واللحظات . وقد يكون سوانا على حق والعصمة والكمال لله وحده

مركز الثقل الجديد في العمران

انتقاله من الحرية الى المال

خلاصة خطبة للدكتور بطلر رئيس جامعة كولومبيا

الموضوع الذي اريد ان اتناوله بالبحث في هذا الخطاب حافل بالمسائل التي تثير اختلافاً حاداً في الرأي حتى ليصعب كثيراً على الباحث ان يهرب عن وجهة خاصة منها من غير ان يتصدى له من يناقضه فيها . ولكن الحقيقة الاساسية التي اود توجيه الانظار اليها هي ان مركز الثقل في شؤون العمران آخذ في الانتقال من نقطة حل فيها اربعة قرون متوالية من مطلع القرن الخامس عشر الى نقطة قد يحل فيها في القرون الاربعة القادمة

واذا توخينا الصراحة في وصف هذا التحول قلنا ان هذا المركز آخذ في الانتقال من السياسة الى الاقتصاد ومن الاعتبارات التي كانت تمنى باشكال الحكومات وتأييد الحرية الفردية والمحافظة عليها الى اعتبارات غرضها الاول انتاج الثروة وتوزيعها واتلافها . ولا اريد ان اومي الى ان الاعتبارات الثانية كانت ناقصة في القرون الاربعة الغابرة ولا ان الاعتبارات الاولى ستعدم من يعنى بها في الاربعة المقبلة . انما اريد ان اقول ان المكانة العليا التي كانت للسياسة قد انتزعها منها الاقتصاد . اما النتائج والمقدمات التي قد تسفر عن هذا التحول فلا يتعذر تبينها وتعليلها ولو تعليلاً ناقصاً

انا مستعد ان اعيد هنا ما سبق وصرحت به في لندن سنة ١٩٢٧ لما اعربت عن رأي باننا لا نجد اليوم في امم الارض شاعراً عظيماً ولا فيلسوفاً عظيماً ولا زعيماً دينياً عظيماً . ان قوى الناس العقلية وضروب اهتمامهم قد انتقلت من ميدان الى ميدان . مات غوته سنة ١٨٣٢ وفكتور هوغو سنة ١٨٨٥ وبروتنغ ١٨٨٩ وتنسن ١٨٩٢ . اي شاعر من شعراء العصر يصح ان يوضع في مرتبتهم ؟ قضى هيجل آخر حامل للواء افلاطون وارسطوطاليس وتوما الاكويني وديكارت وكانت سنة ١٨٣١ . اين نقع على خلفه اليوم ؟ سطا الردى على شليرماخر الذي وضع في طبقة واحدة مع اوريغن وكلمن سنة ١٨٣٤ وذهبت روح لاكوردير الى ربها سنة ١٨٦١ — لاكوردير الذي كان شاتوبريون وهوغو

وموتالامير يصغون اليه بدهشة واعجاب وحلّ في الاكادمية خلفاً لدوتوكفيل — واتقل الكردينال نيومن الى رحمة ربه سنة ١٨٩٠ وتوفي جوزف كارد اكثر فلاسفة الدين تعمقاً سنة ١٨٩٨ فمن حلّ محلهم ؟ قدنستطيع ان نقيم الحجة على ان الفيلسوف بندتو كروتشي الذي ولد سنة ١٨٦٦ والشاعر رديرد كبلنغ الذي ولد سنة ١٨٦٥ يرتدون ازدية الفلاسفة والشعراء الذاهبين . ولكن ليس صوت هذين صوتاً داوياً في برية مقفرة !

***

اذا طوينا بالخيال تاريخ القرون الى مطلع العهد الحديث في عمران البشر وجدنا النشاط العقلي والكفاءة العقلية والتقلق الثقلي في العصور الوسطى تمهد الطريق للحوادث الفكرية والسياسية التي سيطرت على العالم مدى اربعة قرون وكونت التاريخ ووجّهته في الوجهة التي اتخذها. والركن الاساسي الذي قامت عليه هذه الحوادث كان الاعتراف بقيمة الفرد وبعلمه وايمانه وحريته في الاعراب عن رأيه والقيام بالعمل الذي يستهويه وقضاء حياته كما يشاء وتكوين فكره والاعراب عنها يرى وجعله نفسهُ مركزاً لعالمه الخاص — فكانت النتيجة التي اسفرت عنها هذه الآراء والميول انفجار القوى الشخصية وظهور الشخصيات الكبيرة في كل ميادين الفكر. وهكذا تمّ للعمران ظهور الآيات الخالدة في الشعر والآداب والتصوير والبناء والنقش والنحت والفلسفة والتفكير السياسي . ولو اردنا التوسع في هذا البحث لاعوزنا الوقت والمدى ولكن الخلاصة يجب ان تكون معروفة لدى كل الرجال المتقنين والنساء المتثقفات

اما المنشآت السياسية فتأخرت عن التحوّل الذي تقتضيه الآراء الجديدة والمثل الجديدة. لذلك قطع الشعر والادب والفن والفلسفة والفلسفة الدينية شوطاً بعيداً على طريق التجدد قبلما ازيلت القمائم عن الحرية الشخصية في ميادين الاجتماع والحياة العامة . تلك القمائم التي فرضتها طبقات الحكام في عهود الاستبداد. على ان اصواتاً حارة كانت ترتفع في دياجير الظلمة من حين الى آخر تنطق بالشعر آناً وبالنثر آناً آخر فتضرب على الوتر الحقيقي في عهود الارتقاء السياسي. بين هذا الاصوات الصارخة كان صوت ملتن الشاعر الانكليزي اعلاها واقواها . وكان ڤولتر الرجل الذي نقل هذه الرسالة الى فرنسا في كتابه « رسائل عن الانكليز ». على ان الغرض لم يتحقق الا عن طريق الثورة وكلّ ثورة كانت تستمد وحيها وارشادها من الآداب. فخطا الانكليز الخطوات الاولى في هذا السبيل وما عملوه كان منطبقاً كل الانطباق على تعاليم ملتن وادلته . وفي القرن التالي شبّت ثورتا الولايات المتحدة الاميركية وفرنسا وتلاهما استقلال الشعوب اللاتينية في جنوب اميركا واخيراً وقع الانقلاب الثوري في اوربا سنة ١٨٤٨ فاسفر عن نتائج لا يستطيع الناظر العجلان ان يدرك مدى خطورتها

فلما تمّ للانسان الحديث انشاء الانظمة السياسية التي تتفق مع رأيه في الحرية المدنية والمحافظة عليها عمد الى السكون والاستقرار بعد القلق والاضطراب مكتفياً بما تمّ له . ولعله تناسى او عزب عن باله ان الانظمة مهما ابدع في تكوينها لا تحافظ بنفسها على نفسها وان الطبيعة البشرية تظل هي هي بقيودها وامانيها وتحاذقها وتقلبها سواء كان صاحبها مستبداً في ظل حاكم مستبد او حرًّا في جمهورية دمقراطية او تابعاً لامير من امراء الاقطاع . فالواضح ان الواجب على الانسان كان يقضي باصلاح هذه الانظمة السياسية ومحاولة السموّ بها الى مرتبة الكمال واعداد نفسه لها بالتثقيف والتهذيب

ولكن في اواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر اتسع نطاق المعرفة بالقوى الطبيعية وتعدّدت وسائل السيطرة عليها فتحولت اساليب المعيشة وطرق العمل وانقلبت طرائق التفكير الظاهر والباطن . واذا بحثنا عن تاريخ لمطلع العهد الذي اخذت فيه الاعتبارات الاقتصادية تسيطر على شؤون العمران نجد سنة ١٧٧٦ هي ذلك التاريخ . في تلك السنة نشر ادم سمث كتابه في الاقتصاد المعنون « ثروة الامم » وتخلى ترجوعن خدمة ملك فرنسا لويس الخامس عشر بعد ما كتب كتابه العظيم الذي موضوعه « تأملات في انتاج الثروات وتوزيعها » . انا لا نجد تحليلاً للحياة الاقتصادية بعد ارسطو اكمل من التحليل الذي نقع عليه في هذين الكتابين

***

قد يكون من قبيل الاتفاق حدوث الثورة الصناعية في الزمن الذي كتبت فيه هذه الكتب العظيمة وقد لا يكون . بل قد يكون الباعث عليها عاملاً اعظم وابعد غوراً من الاتفاق . فالكيمياء كانت قد بُعثت من كراها والفلسفة الطبيعية صارت تعنى بأعوص المسائل الطبيعية وتطبيقها . واصبحت اسماء اركريت وكرومتن مستنبطي آلة الغزل ووط مستنبط الآلة البخارية وستيفنسن مستنبط القاطرة اسماء محبب حسابها . وحلّت الآلات محلّ الصناعة اليدوية واخرجت منتجاتُ المعامل منتجات الصناعة البيتية من الميدان . واخذ تيار البشرية يتدفق الى المدن . وبدأ نفر الالوف والوف الالوف من بني البشر يتغيرُ تغيراً بعيد الغور كما تغيّرت البيئة التي يعيشون فيها والاعمال التي يتعاطونها . وكانت المواصلات بطيئة في ارتقائها تأخرت عن اللحاق بالنظام العمراني الجديد . على ان الآلة البخارية انقضت واستنبط بعدها التيار الكهربائي ومن هذين المصدرين تدفقت وسائل المواصلات العصرية التي طوقت الارض تطويقاً لم يجرؤ على تصوّره خيال شاعر . ومتى ادركنا ان الهواء اصبح طريقاً سلطانية او كاد وان البحار على سعتها لا تحول دون انتقال الصوت البشري من بلاد الى بلاد عرفنا انا نعيش في عالم جديد سواء ادركنا مقتضياته ام لم ندركها

ولنا كلَّ يوم برهان جديد على ان العناية بالشؤون الاقتصادية اخذت تحلُّ مباشرة وبوساطة محلَّ عناية البشر القديمة بالشؤون السياسية والعقلية . لاريب في ان السياسة مرتبطة كل الارتباط بالاقتصاد ولكن الامر الواضح لكل ذي عينين ان العنصر الاقتصادي في عصرنا هذا لا العنصر السياسي هو المسيطر على شؤون الحياة والفكر في كل انحاء الارض.

فكانت النتيجة الخطيرة التي اسفر عنها هذا الانقلاب ان حلَّ « المال وجمع المال » في عقول الناس وافكارهم محلَّ « الحرية وتأييد الحرية وحفظ الحرية». وهذا الانتقال يعلل اكمل تعليل انحطاط المذاهب السياسية الحرة والاحزاب التي تدين بها في اوربا واميركا. « انك تضجرني حين تتحدث عن الحرية ». هذه عبارة لاحد خريجي جامعة اكسفرد سابقاً ومن اعضاء البرلمان الانكليزي الآن وما كان كاذباً لانهُ اعرب عمَّا يجول في صدر جيلهِ من المعاني . ان مركز الثقل في نظر هذا الرجل والوف الالوف من ابناء جيلهِ قد انتقل من سياسة المبدإ الى سياسة المنفعة ومن العناية بمشكلات الحرية الى العناية بمشكلات الثروة

***

[ثم تناول الرئيس الموضوعات الناشئة عن هذا الانتقال وأثرها في السلم والعمران مما لا يتسع لهُ هذا المقام كمسألة تفسير التاريخ الاقتصادي وأثر الضرائب العالية على الواردات وتحقيق حلم « ممالك اوربا المتحدة » وعلاقة ذلك بالامبراطورية البريطانية] ثم ختم خطبته بقولهِ:

من الواضح ان كل هذه المشكلات والاعتبارات الخطيرة نشأت عن انتقال مركز الثقل المتقدم الذكر وصحتهُ . فلو ان الناس في هذا العصر يعنون في مقدمة ما يعنون بهِ بشكل الأنظمة السياسية والحكومات النيابية وتأييد الحرية المدنية — لو انهم يهتمون في مقدمة ما يهتمون بهِ بالشعر والفلسفة والحياة الروحية لكان اعظم الاحياء وأكبر الزعماء المعاصرين هم الشعراء والفلاسفة والزعماء الروحيون والمصلحون . اما انهم ليسوا كذلك فدليل على روح العصر

وانا اعتقد اعتقاداً راسخاً ان لا تناقض على الاطلاق بين مركزي الثقل المذكورين. ويجب ان لا نسمح لاحدى هاتين القوتين ولا للاثنتين مجتمعتين ان تسيطرا على حياة الشعوب سيطرة تخلق الروح القومية التي تنظر نظراً ضيقاً مبنياً على الخوف والحسد. يجب ان لا نضن بمجهد ما للدفاع عن الحرية من جهة وانتاج الثروة من جهة اخرى وتوزيعها توزيعاً عادلاً . وان نجعل هذا الانتاج والتوزيع سبيلاً لبناء الحياة الادبية في الافراد والامم وتقريب الشعوب بعضها من بعض وربطها برباط من الصداقة والتفاهم والتعاون لتحقيق الاغراض العليا

الرازي وعيده الالفي (١)

للدكتور يوسف فرج حرير
لوريا كلية الطب بباريس

سيداتي : اصحاب الدولة : ايها السادة

عرفتهُ لاول مرة اذ ورد اسمهُ في بيت لبازجي الكبير في مجمع البحرين وهو قولهُ بلسان الحزامي ينصل من تبعة مريض كانت عاقبته وخيمة قال :

ما أنا بالرازي ولا البخاري وليس لي في الطب من أسفار

ثم لم تكن غير دورات قلائل من دورات الفلك حتى كنت في باريس عام ١٩١٦ اذيّل احاديث علمية وادبية في جريدة المستقبل بتوقيع الرازي فكأني كنت عاملاً على احيائه منذ ذلك العهد فاذا قمت اليوم بدعوة الى الاحتفال بعيده الالفي فانما هو نتيجة طبيعية لتلك المقدمات ، واذا كللت هذه الصداقة وقد أصبحت الماسية العيد عشر مرات فانما هو اكليل قد ضفرته اياديكم على العلم والطب والتاريخ والادب

اسيادي: لا أحب نسمة في هذا الوجود ولا يحدث حدث مهما شذّ تافهاً إلاّ وللعاقل فيه عبرة ويرى من خلال فصوله امثولة تعود عليه بالفائدة في مستقبل الحوادث ، فما قولكم بحياة حافلة بجلائل الاعمال ملأى من غرر الافعال مشحونة بمؤلفات هي الجواهر الغوال كحياة الرازي ابي بكر طبيب العرب غير مدافع حكيم عصره على الاطلاق ، لطاسي الشرق في عهده وفاتن الغرب بعده طيلة قرون ، صاحب المؤلفات المؤلفة والكتب الخالدة

كان الرجل قد ناهز الاربعين من سنيه عند ما قدم بغداد بعد ان زاول الصيرفة واولع بالموسيقى والنشد، وانما بالرغم عمّا احترف وزاول وامتهن فان جذوة حب المعرفة مازالت تتأجج في صدره ، ولما وقع طائر بصره على المستشفى في بغداد داخلتهُ روعة شديدة واصبح لا ينفك عن السؤال والاستفسار . قال ابن ابي اصيبعة في كتابه عيون الانباء في كلام عن الرازي لعلم أبي بكر : ان سبب تعلم أبي بكر محمد بن زكريا الرازي صناعة الطب : انهُ عند دخوله مدينة السلام بغداد ، دخل الى البيمارستان العضدي يشاهده فاتفق لهُ ان ظفر برجل شيخ صيدلاني البيمارستان فسألهُ عن الادوية ومن كان المظهرها في البدء ؟ فاجابه بان قال:

(١) من خطبة علمية تاريخية ادبية تليت في المجمع العلمي العربي بدمشق في اكتوبر الماضي

ان اول ما عرف منها كان حي العالم وكان سببه افلون سليلة اسقليوس وذلك ان افلون كان به ورم حار في ذراعيه مؤلم الماً شديداً فلما اشتق منه ارتاحت نفسه الى الخروج الى شاطيء نهر فأمر غلمانه فحملوه الى شاطيء نهر كان عليه هذا النبات وانه وضعها عليه تبرّداً يخفّف الم ذلك فاستطال وضع يده عليه واصبح من غير فصل مثل ذلك فبرأ — فلما رأى الناس سرعة برئه وعلموا انه انما كان بهذا الدواء سموه حياة العالم وتداولته الالسن وخففته فسمي حي العالم فلما سمع ذلك اعجب به . ودخل تارة اخرى الى هذا البيمارستان فرأى صبيًّا مولوداً بوجهين ورأس واحد فسأل الاطباء عن سبب ذلك فأخبر به فاعجبه ما سمع ولم يزل يسأل عن شيء فشيء ويقال له وهو يعلق بقلبه حتى تصدى لتعلم الصناعة وكان منه جالينوس العرب هذه حكاية ابي سعيد »

يا سادة : اعرف اجداداً وآباء وامهات لا يدركون ما عليهم من الواجب نحو احفادهم وابنائهم عند ما يطلب منهم هؤلاء افهامهم ما اشكل عليهم بل يدفنون اشلة هؤلاء الصغار في صدورهم غير مجيبين عنها ولا مكترثين لها تاركين امر هذه الشروح للمدارس فيما بعد فيشب الولد لا تربطهُ بذويه صلة روحية ذهنية ولم يدفعوا عنهُ عادي الجهل وقد اخذوا في صدره جذوة المعرفة

لم تكن والحمد لله هذه حالة الرازي مع الصيدلاني ولا حالة الشريف الرضي مع تلميذه مهيار . واذا كنت اسجل له هذه السجية فان المؤرخين اجمعوا على امر يجعل للرازي صفة جديدة كبيرة هي صفة النظر البعيد والمذهب السديد الدال على معرفته العريقة بمركبات المواد الآلية وتعرضها للانحلال : قال ابن ابي اصيبعة : وقال بعضهم ان الرازي كان في جملة من اجمع على بناء هذا البيمارستان العضدي وان عضد الدولة استشاره في الموضع الذي يجب ان يبنى فيه البيمارستان فان الرازي امر بعض الغلمان ان يعلق في ناحية من جانبي بغداد شقة لحم ، ثم اعتبر التي لم يتغير ولم ينتن فيها اللحم بسرعة ، فاشار بان يبنى في تلك الناحية وهو الموضع الذي بني فيه البيمارستان

وجاء في رواية اخرى : ان الرازي دعي من جديد الى بغداد لادارة المستشفى فيها واتفق لهُ مع عضد الدولة ما يأتي : وحدثني كمال الدين ، ابو القاسم ابن تراب البغدادي الكاتب : ان عضد الدولة لما بنى البيمارستان العضدي المنسوب اليه ، قصد ان يكون فيه جماعة من افاضل الاطباء واعيانهم فامر ان يحضروا لهُ ذكر الاطباء المشهورين حينئذٍ ببغداد واعمالها فكانوا متوافرين على الثلاثة فاختار منهم نحو خمسين بحسب ما علم من جودة احوالهم وتمهرهم في صناعة الطب ، فكان الرازي منهم ، ثم انهُ اقتصر من هؤلاء على عشرة فكان الرازي منهم ثم اختار من العشرة ثلاثة فكان الرازي احدهم ، ثم انهُ ميز فيما بينهم فبان لهُ ان الرازي

أفضلهم فجعلهُ ساعور البيمارستان العضدي . اما استاذه في الطب فهو علي بن الربن الطبري اليهودي وكان قد اعتنق الاسلام في ايام المعتصم ووضع للمتوكل كتاب فردوس الحكمة

اضطراب الرازي الطبية

نقل علي بن رضوان الطبيب المصري الشهير عن بقراط شروطاً يرى ابو الطب انها لازمة لصاحب هذه المهنة وكلها تنطبق على الرازي واقدرها على تصوره ، الرابع والخامس منها قال ابن رضوان : في طبقات الاطباء ص ١٠٣ ج ٢ ان تكون رغبتهُ في ابراء المرض اكثر من رغبته فيما يلتمسهُ من الاجرة ، ورغبتهُ في علاج الفقراء اكثر من رغبته في علاج الاغنياء ، وان يكون حريصاً على التعليم والمبالغة في منافع الناس

هذا ما قالهُ ابن رضوان واليكم ما قالهُ ابن ابي اصيبعة في وصف اخلاق الرازي الطبية

وكان الرازي فطناً رؤفاً بالمرضى مجتهداً في علاجهم وفي برئهم بكل وجه يقدر عليه ، مواظباً للنظر في غوامض صناعة الطب والكشف عن حقائقها واسرارها وكذلك في غيرها من العلوم بحيث انهُ لم يكن لهُ دأب ولا عناية في جلّ اوقاته إلاّ في الاجتهاد والتطلع فيما قد دونهُ الافاضل من العلماء في كتبهم حتى وجدتهُ يقول في بعض كتبهِ : انهُ كان لي صديق نبيل يسامرني على قراءة كتب بقراط وجالينوس

وقال صاحب الفهرست في صفة الرازي ص ٢٧٢ وذكره محمد بن اسحاق النديم في كتابه فقال : ابو محمد بن زكريا الرازي من اهل الري : اوحد دهره وفريد عصره قد جمع المعرفة بعلوم القدماء لاسيما الطب . وكان ينتقل في البلدان وبينهُ وبين منصور بن اسماعيل حد صداقة ولهُ ألّف كتاب المنصوري . قال ابو الحسن الورّاق . قال لي رجلٌ من اهل الري شيخ كبير سألتهُ عن الرازي فقال : كان شيخاً كبير الرأس سقطهُ وكان يجلس في مجلسهِ ودونهُ التلاميذ ودونهم تلاميذهم ودونهم تلاميذ آخرون وكان يجيء الرجل فيصف ما يجد لاول من يلقاه منهم فان كان عندهم علم والاّ تعداه الى غيره فان اصابوا والاّ تكلم الرازي في ذلك وكان كريماً متفضلاً بارّاً بالناس حسن الرأفة بالفقراء والاعلاء حتى كان يجري عليهم الجرايات الواسعة ويمرضهم

قال ولم يكن يفارق النسخ وكانت في بصره رطوبة لكثرة أكله الباقلاء (وفي آخر عمره عمي) والغريب ايها السادة انّ ما كان يجري عليه الرازي منذ الف عام يجري عليه اليوم دهاقين الطب في مستشفيات باريس الكبرى فان المريض الذي يلج بابها انما يبدأ باخذ حكاية دائه وسوابقه المرضية ، احد مساعدي الاستاذ ثم يرفع خلاصة معلوماته الى سابقهِ في المستشفى وعند ما يلم بها رئيس المعاينات تعرض نهائياً على الرئيس الاكبر وهو الاستاذ

زكنه واقواله

اما زكنه ايها السادة فلا ادل عليه من القصة الآتية . جاء في ابن أبي اصيبعة ص ٣١١ من بدائع وصفه وشدة استدلاله قال القاضي أبو علي المحسن بن علي بن أبي جهم التنوخي في كتاب الفرج بعد الشدة حدثني محمد بن علي بن الخلال البصري ابو الحسين احد امناء القضاة قال : حدثني بعض اهل الطب الثقاة ان غلاماً من بغداد قدم الري وهو ينفث الدم وكان لحقه ذلك في طريقه فاستدعي ابو بكر الرازي الطبيب المشهور بالحنق صاحب الكتب المصنفة فرآه ما ينفث ووصف له ما يجد . فاخذ الرازي بحسته ورأى قارورته واستوصف حاله منذ بدأ ذلك به . فلم يقم له دليل على سل ولا قرحة ولم يعرف العلة

فاستنظر الرجل ليتفكر في الامر فقامت على الطبيب القيامة وقال هذا يأس لي من الحياة لحذق المتطبب وجهله بالعلة فازداد ما به وولد الفكر للرازي ان عاد اليه فسأله عن الماء التي شرب منها في طريقه فاخبره انه شرب من مستنقعات وصهاريج فقام في نفس ابي بكر محمد ابن زكريا الرازي الطبيب الرأي بحدة الخاطر وجودة الذكاء ان علة كانت في الماء فحصلت في معدته وان ذلك التفت للدم من فعلها فقال له اذا كان في غير جثتك فعالجتك ولم انصرف او تبرأ ولكن بشرط تأمر غلمانك ان يطيعوني فيك بما آمرهم به فقال نعم وانصرف الرازي فتقدم فجمع له ملء مركنين كبيرين من طحلب اخضر فأحضرهما من غير معرفة واراه اياهما وقال له ابلع جميع ما في هذين المركنين فبلع الرجل شيئاً يسيراً ثم وقف فقال ابلع فقال لا استطيع فقال للغلمان خذوه فأقيموه على قفاه ففعلوا به ذلك وطرحوه على قفاه وفتحوا فاه واقبل الرازي يدس الطحلب في حلقه ويكبسه كبساً شديداً ويطالبه ببلعه شاء ام ابى ويقهروه بالضرب الى أن بلع كارهاً احد المركنين والرجل يستغيث فلا ينفعه مع الرازي شيء الى ان قال الساعة اقذف فزاد الرازي فيما يكبسه في حلقه فذرعه القيء فقذف وتأمل الرازي قذفه فاذا فيه علقة واذا هي لما وصل اليها الطحلب قرمت اليه بالطبع وتركت موضعها والتفت على الطحلب فلما قذف الرجل خرجت مع الطحلب ونهض الرجل معافى »

والغالب في اقواله بإسادة الشاردة ملؤها الحكمة والاختبار وفي مؤلفاته الآراء الجديدة الدالة على فكر نير ومن كلامه قال : الحقيقة في الطب غاية لا تدرك والعلاج بما تنصه الكتب دون اعمال الماهر الحكيم رأيه خطر وقال القراءة من كتب الحكماء والاشراف على اسرارهم نافع لكل حكيم عظيم الخطر وقال : انه يقصر عن الوقوف على فعل كل نبات في الارض فعليك بالاشهر فيما اجمع عليه ودع الشاذ واقتصر على ما جربت . وقال من لم يعن بالامور

الطبيعية والعلوم الفلسفية والقوانين المنطقية وعدن الى اللذات الدنائية فانهمك في علمه لاسيما في صناعة الطب . وقال متى اجمع جالينوس وارسطو على معنى فذاك هو الصواب

وقال الامراض الحارة اقتل من الباردة لسرعة حركة النار

وقال الناقهون من المرض اذا اشتهوا من الطعام ما يضرهم فيجب على الطبيب ان يحتال في تدبير ذلك الطعام وصرفه الى كيفية موافقة ولا يمنعهم ما يشتهون البتة

وقال ينبغي للطبيب ان يوهم المريض أبداً الصحة ويرجيه بها وان كان غير واثق بذلك فمزاج الجسم تابع لاخلاق النفس . اليست هذه باسادة آخر اختراعاتنا الطبية

وقال الاطباء الاميون والمقلدون والاحداث الذين لا تجربة لهم ومن قلت عنايته وكثرت شهواته تتالون . وقال ينبغي للطبيب ان لا يدع مسألة المريض عن كل ما يمكن ان تتولد عن علته من داخل ومن الخارج ثم يقضي بالاقوى

وقال ينبغي للمريض ان يقتصر على واحد ممن يوثق به من الاطباء فخطأه في جنب صوابه يسير جداً . قال ومن تطبب عند كثيرين من الاطباء يوشك ان يقع في خطأ كل منهم . وقال متى كان اقتصار الطبيب على التجارب دون القياس وقراءة الكتب خذل

وقال ينبغي ان تكون حالة الطبيب معتدلة لا مقبلاً على الدنيا كلية ولا معرضاً عن الدنيا كلية فيكون بين الرغبة والرهبة . وقال ان استطاع الحكيم ان يعالج بالاغذية دون الادوية فقد وفق الى سعادة . وقال ما اجتمع عليه الاطباء وشهد عليه القياس وعضدته التجربة فقد وافق السعادة الى آخر ما هنالك من الاقوال الدالة على علم ثاقب وحكمة بليغة وفلسفة نادرة المثال في ادراك الاشياء هذا عدا مئات من الكتب في الطب والفلسفة والطبيعيات والكيميا والظواهر الجوية وعلوم الاقدمين عن بكرة ابيها

الرازي بين الشرق والغرب

لما عيدت الجمهورية الفرنسوية تذكار سبعماية سنة على تأسيس مدرسة مونبليه الطبية جاء المدينة من باريس في شهر نوفمبر عام ١٩٢٩ حضرة المسيو ميليران رئيس الجمهورية لذلك العهد والقيت خطب كثيرة . وكان معظم هذه الخطب من قبل اساتذة المدرسة الحالين وهم نجوم العلم اليوم في الطب والجراحة . وقد جيء في تلك الخطب على ذكر الرازي وابن سينا وابي القاسم عباس بن خلف الزهراوي . وعلى قمة الجدار الامامي للهو الكبير في مدرسة باريس الطبية ترى رسوم عديدة لمشاهير اطباء الانسانية وبينها رسم ابي بكر محمد بن زكريا الرازي يحيط به من جهة الرئيس ابن سينا ومن جهة أخرى جراح القرون الوسطى غير مدافع ابو القاسم الزهراوي

للرازي : ايها السادة مؤلفات عديدة في شتى المواضيع اوصلها ابن ابي اصيبعة الى المائة

ونزيد واياها ما يتعلق ببحثنا منها هنا اثنان المنصوري والحاوي . نُقِل الكتابان الى اللاتينية في القرن الثاني عشر اي بعد موت الرازي بقرنين ودرسا في اوربا قاطبة وفي فرنسا خصوصاً الى اوائل القرن الثامن عشر . وقد الف للمنصوري وقد اهداه مؤلفه الى صديقه الملك المنصور بن ساسان احد ملوك خراسان لذلك العهد ان المؤرخين اخطأوا فيه خطأً عجيباً وذلك لاقبال مدرسة مونبليه عليه ولأنه اصبح من الشهرة بمكان

فمنهم من عزا الاسم الى أبي جعفر المنصور مؤسس وموطد الدولة العباسية معيداً اياه جيلاً الى الوراء ومنهم من بات ينسبه الى المنصور حاجب هشام الاندلسي فائزاً به من قارة الى قارة . على ان المنصوري يتضمن فصولاً في واجبات الطبيب وفي شروطه هي خير ما كتب في هذا الموضوع وقد ترجمت في القرن الاخير الى الافرنسية رأساً وظهرت في كتاب عنوانه المذاهب الطبية للاستاذ بوشو المطبوع عام ١٨٦٤ . واما الحاوي واسمه في اللاتينية *Continens* فقد اتفق له من غرائب التقادير ما يجعل ذكره منها انه ظهر بعد موت الرازي اظهره ابن العميد الاديب الكبير بعد ان جمع تلاميذ الرازي. ومنها ان ترجمته كانت في طليطلة في القرن الثاني عشر مع اخيه المنصوري وقانون ابن سينا . ومنها ان ملوك فرنسا كانت تهتم بحاوي الرازي اهتمامها بأثمن ما لديها من الكنوز فان لويس التاسع وقد كان شديد الاعتناء بصحته طلب من مدرسة الطب باريس في القرن الثاني عشر ان تمكنه من استنساخ الكتاب المذكور ليحفظ في مكتبته الخاصة فاغتنمت الادارة هذه الفرصة السانحة واخبرت صاحب الجلالة بحاجتها الى الدراهم فلم يخرج الحاوي من مكتبتها إلا بعد ان نقدها صاحب الجلالة ما طلبته منه . واستدانت المدرسة المذكورة مراراً في القرن الرابع عشر فلم تجد من يسلفها نقوداً إلا بعد ان استودعته حاوي الرازي ولم يقبل المداينون بغيره من الرهن

وقد شاهدت في المكتبة الاهلية بباريس منذ عام نسخة خطية من كتاب له معروف اسمه الفاخر دخل المكتبة منذ عهد قريب وبعتقد صديقي المسيو بلوشه احد امناء المكتبة بانه من منسوخات القرن الثاني عشر . وقد سبق الرازي الى اشياء لم تكن معروفة قبله منها وضعه الفصل المعروف في واجبات الاطباء وهو خلاصة ما يعرف اليوم بعلم *Déontologie* ومن فصول في الدرجة الاولى من خطورة الشأن في امراض الاطفال وعلاجهم . ومنها رسالة في الجدري والحصبة طبعها المرحوم الاستاذ فنديك عام ١٨٦٦ في لوندرة . وقال الاستاذ بوشو في هذه الرسالة « نعتقد ان الرازي في هذه الرسالة على وصف ضرب من الجدري ذي بثور بيضاء متلاصقة على اديم الجلد كأنها بقع من الدهن المتنشر وقال ان آخرتها محزنة واني والحق يقال لم اجد اصوب من قوله فيها »

تاريخ وفاته

في المسألة قولان — اولهما لاحد المواطنين واكاد اقول المعاصرين الحسن بن سوار الطبيب والثاني للمظفر بن موف الطبيب المصري الذي جاء بعد الرازي بجيلين

اما الحسن بن سوار فيقول ان الرازي توفي سنة نيف وتسعين ومائتين او ثلاثماية وكسر والشك مني » . واما الثاني فيقول بانهُ توفي عام ٣٢٠ هجرية واما كشف الظنون وابن خلكان وتغري بردي ومؤلف المجاني فكلهم قد اعتمدوا عام ٣١١ هجرية الموافقة لسنة ٩٢٣—٩٢٤ ميلادية. ولديَّ براهين عديدة على صحة الاعتقاد بان تاريخ ٣١١ هو الصواب. ولذلك ان استاذه في الطب علي ابن الربن وضع للمتوكل فردوس الحكمة بعد أن اسلم على ايدي المعتصم والمعلوم ان المتوكل توفي عام ٨٦١ فاذا افترضنا ان علي بن الربن قضى نحبهُ في ذاك التاريخ كان الرازي قد عمر نيف وستين سنة بعد موت استاذه وهو أقرب الى التصديق من القول الآخر . ودبر الرازي مستشفيات الري وبغداد في زمن المكتفي وقد علم بانهُ اقدم على الطب بعد الاربعين من سنيه فهل اصح مدبراً وطبيباً لمستشفيات بغداد والري إلا بعد ان ذاع صيتهُ واصبح يشار اليهِ بالبنان وبالتالي بعد عشرين وثلاثين سنة من تعلمهِ الطب وانصرافهِ عن الصيرفة والموسيقى . واذا كان المكتفي قضى نحبه عام ٩٠٢ فان القول بان الرازي مات بعد خليفته بنيف وعشرين سنة اقرب الى الصواب والتصديق من ان يلحق بهِ بعد نيف وثلاثين سنة وهو قد اجتاز المائة من سنيه

***

وقال ابن ابي اصيبعة ان الرازي كان في الاول صيرفيًّا ومما يحقق ذلك اني وجدت نسخة من المنصوري قديمة قد سقط آخرها واحترق اولها من عتقها وهي مترجمة بذلك الخط على هذا المثال : المنصوري تأليف محمد بن زكريا الرازي الصيرفي واخبرني من هي عنده انها خط الرازي وكان الرازي من معاصري اسحاق بن حنين ومن كان معه في ذلك الوقت

والمشهور ان اسحاق بن حنين توفي في بغداد في شهر ربيع الآخر سنة ثماني وتسعين ومائتين فالقول بان الرازي عاش بعدهُ نيف وعشرين سنة صعب التصديق لا يألف المعقول

اما انصراف الرازي عن الصيرفة فهذا برهان على عدم تمكنهِ بالماديات

واما هجره الموسيقى فالمشهور انهُ استعملها بعد اقدامهِ على الطب في التوسطات الجراحية ولعلَّ الفارابي كان ممن اقتفى اثره فيها وفي اعتقادي ان لها مستقبلاً حسناً في الطب

انتم اليوم أيها السادة تبدون تذكار الرازي وبيرونه الالبي والاسموني يقول وقد حضرته الوفاة

لعمري لا ادري وقد آذن البلى بعاجل ترحالي الى اين ترحالي
واين محل الروح بعد خروجه من الهيكل المهجور والجسد البالي

على ان ذكره لا يزال ملء الكتب وهو حي يذكر في المكتب الطبي غرفة عيادة منسوبة اليه وفي الاقربادين مرهم لا يزال الى اليوم باسمه وغير بعيد ان تنجب لنا الشام مثل الرازي فيعود الى الشرق ضياؤه والى الانسانية جماء عزاؤها

دعوة المقتطف

لمؤتمر يعيد الرازي الالفي

جرت الامم الغربية ، على تكريم علمائها وادبائها وفلاسفتها وساستها ورجال الفضل فيها في حياتهم وبعد مماتهم . فهي تقيم لهم التماثيل والاضرحة في الميادين العامة وتطلق اسماءهم على الشوارع والمعاهد وتؤسس المدارس والجمعيات وتنسبها اليهم وتنشىء الكراسي في الجامعات والمحاضرات السنوية تخليداً لاعمالهم وتجديداً لذكرهم وتعقد المؤتمرات للاحتفال بمرور مائة عام او مائتي عام او ثلاثمائة عام على ولادة احدهم او وفاته . فلا يصدر عدد من اعداد المقتطف الا وفيه خبر عن خطبة هكسلي او بايجت مثلاً او الاحتفال بمرور ثلاثمائة عام على ميلاد نيوتن او بأ اجتماع الجمعية الملكية للحج الى دار دارون او تبرع احد المثرين باقامة معهد علمي او صناعي يسمى باسم باستور او رُس . . . الخ

وقد جارينا الامم الغربية في كثير من علومها وفلسفتها وصنائعها وعادات سكانها . فعسانا ان نجاريها أيضاً في تكريم علمائنا وفلاسفتنا تكريماً يبث في نفوس الشبان مجد العلم ورفعة قدره

والرازي كما يبّن صاحب هذه الخطبة النفيسة من اعلام الاطباء والعلماء الذين انجبتهم الامة العربية فيجب علينا ان نحتفل بذكره كما يحتفل الفرنسيون بپاستور وفركو ولستر لذلك يدعو [المقتطف] الجمعية الطبية المصرية والمجمع العلمي العربي بدمشق الشام وغيرها من الجمعيات العلمية والطبية في انحاء البلاد العربية الى تعيين يوم ٣٠ يناير سنة ١٩٣٠ للاحتفال بانقضاء الف سنة على الرازي الطبيب العربي المشهور الخالد الذكر فتلي الخطب في ترجمته ووصف مؤلفاته وما افاد به الطبّ والعلوم الاخرى التي اشتغل بها . وقد اخترنا هذا التاريخ تحكماً مع انهُ سابق للتاريخ الذي يحسبهُ بعض الباحثين تاريخ وفاته الحقيقي ومتأخر عنهُ بحسب رأي فريق آخر منهم — وخير البرّ عاجلهُ

تحوُّل الآراء في الاثير

من نيوتن الى اينشتين

مهما يكن تصوّر نوع الفضاء الذي يحيط بنا صعباً. ومهما تختلف الآراء في نوعه وحدوده الهندسية ومهما يكن تقصيرنا عن ادراك كُنهه وحقيقته . فان لهُ صفات طبيعية خاصة به يمكننا درسها ومعرفة بعض قوانينها . وعليه لا يمكننا ان نسميه فضاء فحسب . بل علينا ان نطلق عليه اسماً يتم على خواصه الطبيعية او بعض هذه الخواص

واول من بحث في هذا الموضوع بحثاً دقيقاً وسمى هذا المجهول بالاثير كان الطبيعي الانكليزي العظيم السر اسحق نيوتن

يستحيل علينا ان نصف صفات الاثير الطبيعية بالدقة التامة بالتعابير والمصطلحات التي نستعملها لوصف خواص المواد الارضية . ولكننا لا نستطيع غير هذا السبيل فنضطر الى استعمال هذه المصطلحات لكوننا لا نعرف سواها ! وفي مثل هذه الحال يجب علينا ان نبقى متذكرين انها لا تعبر عن الحقيقة بالدقة التامة ولكنها تفعل ذلك لو كان الاثير مادة عادية

نحن نتكلم عن مرونة الاثير وكثافته مثلاً . فبأي حق نفعل ذلك ! ليس الاثير مادة عادية كموادنا لننسب اليه صفاتها . ومع ذلك نقول ان كثافة الاثير هي الف طن للسنتر المكعب. ومرونته تساوي حاصل ضرب كثافته في مربع سرعة النور ! وبهذا نعني انهُ لو تحوَّل الاثير مادة لكانت لهُ تلك الكثافة وهذه المرونة

بمثل هذه التحفظات يمكننا ان نستعمل الاصطلاحات العادية لتعداد خاصيات الاثير المعروفة فنقول : —

(١) الاثير شفاف
(٢) « عديم الاحتكاك بالمواد
(٣) « عظيم الكثافة
(٤) « تام المرونة
(٥) « عديم الحرارة
(٦) « عديم الصوت
(٧) « موصل حسن للجاذبية والنور والامواج الكهربائية — المغنطيسية

(٨) الاثير وسيط لتلاصق دقائق المادة وتماسكها
(٩) « وسيط للجاذبية الكيماوية (او الالفة الكيماوية)
(١٠) « يملأ كل فراغ من المادة

النظريات الفيزيقية

(١) اول من بحث في الاثير بحثاً علمياً مسهباً هو نيوتن . وقد اضطر الى ذلك ابان درسه لناموس الجاذبية العام ، فقد تعذر عليه ان يتصور قوة عظيمة (قوة الجاذبية) تؤثر عن بعد دون وسيط موصل لهذا التأثير . ولذلك خلق لهذه القوة الهائلة التي تربط اجزاء الكون بعضها ببعض وسيطاً مالئاً الفضاء الواسع بين الاجرام، وبذلك تحايد مغالطة القوانين الميكانيكية المعروفة آنئذٍ . وقد كان نيوتن يعتقد ان لهذا الاثير مظاهر كيماوية وحرارية وكهربائية ، لا يمكنه ادراكها تؤثر في ذرات النور الآتية من الاجرام البعيدة فتكيفها وتجعلها قابلة الانعكاس والمرور على ابعاد متساوية. وهكذا ترى ان نيوتن ابتدع فكرة الاثير لحاجته اليه ولكنه لم يدقق في ماهيته التدقيق الكافي

(٢) عندما تقدم هوجنس (*Huygens*) بنظريته الموجية في حركة النور داحضاً نظرية نيوتن الذرية وجب عليه ان يبحث بحثاً دقيقاً في حقيقة الاثير ، وذلك لان نظريته تقوم على الفرض بان النور ليس الا سلسلة امواج متتابعة في الاثير بسرعة عظيمة معينة

ولقد كان هوجنس نفسه الذي قال بان الاثير مؤلف من ذرات صغيرة جداً . سريعة الحركة في مراكزها . ثقيلة الوزن . عظيمة الكثافة . وكما ان حركة دقائق الماء تجعلها اقل ممانعة لسير الاجسام الصلدة فيها فسرعة حركة الذرات الاثيرية العظيمة تجعله عديم الممانعة لسير الكواكب والسيارات والاقمار. ومن هذه النظرية قوله ان الاثير شديد الاختراق للاجسام فذراته الصغيرة تمر بين ذرات المواد وتملأ كل فراغ بينها دون ممانعة ، وعليه ترى انبوب البارومتر الزئبقي يمتلىء طرفه الاعلى بالاثير لما ينقلب في حوض من الزئبق

اما النور فهو انتقال اهتزازات دقائق الجسم المشع بواسطة اهتزاز ذرات الاثير ، وهذا الانتقال لا ينقص كمية الطاقة المرسلة البتة لان الموصل هو كامل الوساطة

ولم يكن هوجنس يعتقد ان الجاذبية من خواص المادة بل كان يقول انها نتيجة توسط الاثير بين الاجسام . ولما كان هذا الاثير يملأ كل فراغ بين ذرات المادة فالجاذبية تخترق المواد مهما كان نوعها دون اقل نقصان في قوتها (كمية الطاقة فيها)

(٣) وقد توسع فرنل الفرنسي (*Fresnel*) في تطبيق النظرية السالفة فقال ان الاثير

يختلف كثافة باختلاف موقعه بالنسبة الى المواد المحيطة به . فالأثير داخل الاجسام الشفافة أكثف من الاثير المالي الفضاء الشفاف حسب زعمه . وقد بحث بحثاً وافياً في كثافة الأثير داخل المواد الشفافة وقرر انها تتوقف على مربع دليل الانكسار النوري لذلك الجسم (*index of refraction*) . وعليه فعند سير ذلك الجسم في الفضاء بسرعة (س) مثلاً ، تنقص سرعة الأثير المار في وسطه عن اصلها جزئياً وتبقى س (١ — $\frac{١}{د}$) « هنا (س) تدل على سرعة الأثير و (د) تدل على دليل الانكسار النوري »

وجرياً على هذه النظرية يجب ان تحدث الارض عند مرورها بالأثير تياراً صغيراً معاكساً لوجهة سيرها ووجود مثل هذا التيار يحرف النور عن مسيره العادي انحرافاً قليلا لا يقدر ان يراه أحد حتى ولا الباحث المدقق . وقد علل فرنل عدم ظهور هذا الانحراف بكون العدسيات التي يُمتحن بها تسير بسرعة الأرض نفسها وبذلك تحرف النور الى الجهة المقابلة فيتم التوازن ولا تتأثر قواعد الانعكاس والانكسار النوري

(٤) وقد علل كوتشي (*Couchy*) انحراف النور في الاثير — على فرض وجوده — بكون الأرض تحمل معها في سيرها طبقة من الأثير فعند ما تمرّ الأشعة في هذا الوسيط السائر مع الأرض فلا بد لها من الانحراف نحو وجهة السير . وقد كان كوتشي يعتقد ان اختلال موازنة الأثير عند مرور الأرض هو سبب الظاهرات الكهربائية والمغنطيسية التي نراها

(٥) والنظرية الخامسة هي نظرية جورج ستوكس (*George Stokes*) ، وهي تختلف عما سبقها اختلافاً تامًّا . تصور ستوكس الأثير سائلاً شفافاً عديم الاحتكاك عند ما تنظر اليه من وجهة حركته مع الأرض والسيارات ، وصلباً عظيم المرونة عند ما تنظر اليه من وجهة ايصال النور والجاذبية . فهو مثل كثير من المواد (الزفت والشمع) التي تكون احياناً سائلة وأحياناً جامدة وهي في حالة واحدة وشكل واحد

وقد تصوره سائلاً كاملاً حتى لا يمكن لدراته ان تسير بحركة دورية ولا يقبل الضغط مطلقاً بل على الضدّ مما ارتآه فرنل يسير مع الأرض في سيرها دون ان يحدث تياراً دوريًّا صغيراً كان أم كبيراً . وكل حركة دورية تبتدىء فيه تخمد لشدة مرونته. وقد أيّد ستوكس نظريته هذه بمعادلات رياضية عظيمة الأهمية لا تزال حتى يومنا هذا من اسس هذا العلم المفيدة وخصوصاً في الكهربائية

وقد جرب السر اوليفر لدج (*Oliver Lodge*) حديثاً تجربة برهنت على صدق نظرية ستوكس في مسألة عدم دوران الاثير . وذلك بان وضع اسطوانتين متوازيتين في صندوق وافرغ هواءه ثم جعل الاسطوانتين تدوران دوراناً معكوساً ، ومع دقة ابحاثه الفائقة

لم يجد اثراً لدوران الاثير بين الاسطوانتين مع انهما كانتا تدوران بسرعة هائلة

(٦) اما النظرية التي تهمنا اكثر من الجميع فهي نظرية ماكسول (*Clark Maxwell*) لما بني عليها من المعارف الدهشة في الهندسة والفنون الكهربائية واللاسلكية. فهو يقول ان الاثير ساكناً كان ام متحركاً، صلباً كان ام سائلاً، له كثافة عظيمة جداً ومرونة تساوي حاصل ضرب الكثافة في عدد وُجد بعد ذلك انهُ يساوي مربع سرعة النور: وهو ينقل الامواج المغنطيسية والكهربائية حسب قانون رياضي تحليلي وضعه ماكسول نفسه. وقد طبق هذا القانون النظري في ايجاد اعظم سرعة للامواج التي يستطيع الاثير نقلها فكانت مساوية لسرعة النور بالضبط

وقد برهن ماكسول على ان معادلاته هذه لا تتغير مهما يتغيَّر مركز المحورين في الرسم البياني وذلك لانها مبنية على كميتين ثابتتين تمثلان صفات الاثير الاصلية (الاولى تعادل قوة الجاذبية بين جسمين مشحونين بالوحدة الكهربائية والثانية قوتها بين جسمين ممغنطين بالوحدة المغنطيسية)

نعم ان ماكسول لم يقدر ان يفصل احدى هاتين الكميتين عن الاخرى ولكنهُ وجد ان حاصل ضربهما يعادل عكس مربع سرعة النور بالضبط

هذه المعادلات التي بنى عليها ماكسول نظريتهُ هي في غاية الاهمية لان عليها ترتكز جميع الابحاث العلمية الحديثة ان في الكهربائية او المغنطيسية العامة او اللاسلكي او الجاذبية او تركيب المادة. ولكن هذه المعادلات قد حرفت قليلاً عن اصلها لان ماكسول لم يحسب حساباً لتأثير الوسط المادي في سرعة اختراق الامواج. ومن اعظم من اهتموا بتصحيح هذه المعادلات هلمهلتز الالماني *Helmholtz* الذي استنتج بطريقة رياضية محضة ان الاثير يجب ان يسير محركة مسترة في المجال الكهربائي المتحرك! ولكن التجارب العديدة التي قام بها لدج وهنري وهندرسن جاءت على عكس ذلك وثبت حركة الاثير ثباتاً. وهذا ما حدى بفين الى القول بالنظرية الثانية

(٧) اما فين (*Wien*) فيقول انْ ليس للاثير كثافة مطلقاً وعليهِ يمكن للامواج الكهربائية المغنطيسية ان تخترقه دون ان تحدث اضطراباً فيه. ولكي يجعل الاثير تام الهدوء مهما تغيرت الاحوال افترض ان قوة استمراره عظيمة جداً لدرجة انهُ لا يمكن لاي قوة ان تبدأ الحركة فيه وعلى الاخص الحركة الدورية

(٨) ومن النظريات التي كان لها شأن خطير وثبتت امام هجمات الناقدين مدة طويلة نظرية ماك كولاغ (*Mc Coulagh*) الذي تصور الاثير مائعاً مرناً لا يقبل الضغط مطلقاً فلا يمكن ان تسير فيه الامواج الطويلة لعدم انضغاطه ولكن الامواج العرضية كامواج النور والكهربائية

تسير فيه بسبب تؤثره الجيروستاتيكي (اي لحرية حركته المطلقة دون دوران اجزاءه) فلو ابتدأ هذا الدوران بقوة خارقة (وهذا مستحيل) لارتد الاثير الى مركزه الاصلي كما يرتد الدولاب (الزبرك) او الجيروسكوب لشدة مرونته

وقد عضدت هذه النظرية كثيراً عندما ادخل عليها لارمر *Larmor* تحسيناته المبنية على دروس الكهربائية والمغنطيسية فلارمر يقول ان خطّ القوة المغنطيسي ليس الا مسيراً تيار من الاثير وما المجال الكهربائي حسب هذا التعديل سوى التفاف قطعة من الاثير حول تيار فيها (خط من خطوط القوة) كمحور ثابت فتسعى على الدوام للرجوع الى حالتها الطبيعية بسبب شدة مرونتها ولذلك فهي تدفع الكهارب في الوجهة المعاكسة للقوة التي اثّرت فيها

لهذه النظريات كما لغيرها صعوبات جمة . اهمها هو ان الارض تدور على الدوام بسرعة لا بأس بها (نحو ١٨ ميل ونيف في الثانية) فيجب ان تكون دائماً في مجال مغنطيسي عظيم وان يكون هنالك ريح اثيرية محيطة بجسمها ومسيرها. اما عن المجال المغنطيسي فهو موجود اكيداً وظواهره العديدة تشهد بذلك . ولكن ادق التجارب التي قام بها علماء هذا العصر تنفي وجود التيار الاثيري حول الارض

وفي سنة ١٨٩٧ قام ميكلسن ومورلي بتجربتهما الشهيرة للتثبت من وجود هذا التيار او نفيه بان قاسا سرعة النور في وجهة مسير الارض وسرعته في وجهة عمودية للاولى. فوجدا ان السرعة واحدة لا تتغير . وبذلك استدلاّ على عدم وجود التيار الذي تفترضهُ نظرية مالك كولاغ ولارمر وقد اعيدت هذه التجربة مراراً للتثبت من دقتها وصحة نتائجها فصفرت عما اسفرت عنهُ التجارب الاولى

ولتعليل هذه النتيجة السلبية قام لورنتز الهولاندي وفتزجيرالد الانكليزي *Lorentz & Fitzgerald* بتجارب عديدة ليبرهنا على ان المواد تتقلص في وجهة مسيرها حسب قانون رياضي ينتج عنهُ عدم اختلاف سرعة النور في اي وجهة كان مسيره

(٩) اما ايلشتين *Einstein* فقد بنى على هذه النتيجة السلبية نظريته في النسبية التي ينكر فيها وجود مثل هذا الاثير المزعوم ويستبدلهُ بخيال من الفضاء والوقت يصعب على من لم يتعمق في الرياضيات ان يدرك كنههُ

الخرطوم : كلية غوردن شكري ثمّاس

التجارة عند الامم القديمة :

تجارة المصريين

بنى رعمسيس الثالث فرعون مصر اسطولاً في البحر الاحمر وسافر عليه يرتاد بلاد البنط (الحبشة والصومال) وبلاد العرب (الارض المقدسة) تسهيلا للتجارة البحرية بين مصر والشرق الاقصى . ففتح طريقين تجاريين خدمة لهذا المشروع احدهما بري بين القصير وقفط والثاني بحري بين المحيط الهندي والنيل بطريق بلاد العرب

وفي عهد سيتي الاول من الاسرة التاسعة عشر اختفرت القناة الموصلة بين النيل وبحر التلزم (البحر الاحمر) لتحسين المواصلات التجارية بين مصر وجزيرة العرب . وكانت الملاحة الفينيقية محصورة بايديهم في البحرين المتوسط والاحمر فاقتدى المصريون بهم . واهملت القناة بعد موت سيتي وبطلت الملاحة المصرية لان سكان مصر ليسوا اهل اسفار وارتياد

وعلى اثر ذلك سقطت صور واضطرب حبل الفينيقيين فاغتنم حيرام ملك صور وسليمان ملك اورشليم الفرصة وانشآ سفناً للملاحة فيه . وربما كان هذا اول اتفاق تجاري دولي . واتخذ أيلة (العقبة) مرفأ لهم تنقل اليه سفنهم حاصلات اليمن وبضائعها الهندية والشرقية وقد اشار سفر الملوك في التوراة الى ذلك وتوقفت الملاحة بموت سليمان . وفي كتابات تل العمارنة المكتشفة سنة ١٨٨٨ م ادلة على تقدم التجارة البحرية الفينيقية والمعاهدات مع المصريين

فكانت للمصريين سفن وقوافل للتجارة فسفنهم كانت تبحر البحر من اعالي النيل الى شواطيء البحر الروي لجلب الاخشاب لابنيتهم ولوتاهم مثل التوب (الشوح) والسرو والشربين اما من غابات لبنان واما من جهة اماتوس (القمام) وهكذا كانت تسير الى المرافيء الاخرى ولاسيما في الارخبيل والمحيط الهندي وكانت لهم قوافل كثيرة تسير الى السودان وافريقية وتواقل في المرافيء تتناول مشحوناتهم من على السفن وتنقلها الى داخلية البلاد في اطراف آسية وغيرها[1]

وكانت تسير على طريق سيناء في البرية المتسعة الاطراف ولا تخلو من مهاجمات القبائل التي تمرُّ بها مثل بقية القوافل التجارية فتتقدمهم اجوراً من البضاعات والصناعات خفارة للطريق

وفي ذكر بيع يوسف الصديق للمصريين اشارة صريحة الى ربط تجارة سورية بمصر

(١) الحضارة المصرية لاحمد كمال باشا الصفحة ٨٠ طبع مصر

قديماً وكانت مدينة طية محط رحال التجارة من مصر واليها حتى ذكر هوميروس عظم ثروتها وبضائعها ووصف هيرودوتوس المواقف التجارية بين طية والممالك الاخرى وهي (١) الى قرطاجة (٢) الى بوغاز جبل طارق (المسمى اذ ذاك بوغاز اعمدة هرقل) فالمحيط الاعظم (٣) طريقان من طية الى بلاد اثيوبية (الحبشة) وعلكة مروة اما بحاذاة النيل واما بقطع معابر النوبة (٤) طريقان احداهما الى البحر الاحمر والثانية من بلدة (ادفو) فتتصل بالاولى بشق القصير الى كثير من هذه التفرعات [١] وعلى الجملة فكان المصريون يجلبون بضائع الهند ويرسلون بضائعهم الى جوار البحر الاحمر المتوسط

تجارة الاشوريين والبابليين والكلدانيين

كان السماريون من قدماء سكان العراق وخلفهم الساميون ومنهم الكوسانيون فاشتهروا بعمرانهم وكانت معاملاتهم التجارية ذات شأن من اقتراض واداءة وسفاتج (بوالص) ومصارف (بيوت مالية) وارتهان الخ . وكانت لهم انظمة وشرائع من عهد العيلاميين فالحموراويين فالبابليين فما بعد وكلها تدل على ارتقائهم وضبط معاملاتهم

واشتغلت نساؤهم بالتجارة وساوت الرجال في الحقوق . وكان البابليون اول من استنبط سك النقود وكانت لهم مصارف (بنوكة) شهيرة منها بيت (اجيبي) المتمول الكبير وشركائه في ايام سنحاريب قبل الميلاد بسبعمائة سنة . ولقد كشفت الآثار كثيراً من اصول تجارتهم ومعاملتهم . وامتزجوا بالامم المتصلة بهم واسسوا عندهم المصارف والمتاجر الكبيرة ولا تزال اسماء بعض مدنهم تدل على تجاراتهم مثل (الهيت) بمعنى القار وهو احد محاصلاتهم الكثيرة التي منها الغنم والبقر والصوف والحبوب والتمر . وفي الصحف المسمارية المكتشفة سفتجة (بوليسة) بتاريخ سنة ٥٥٠ قبل المسيح اشبه بسفاتج عصرنا [٢] وكانوا ينقلون بضائعهم في نهري دجلة والفرات بالكلكات (وهي الظروف من جلد تفتح وتشد عليها الواح الخشب ثم تنقل عليها البضائع بقوة التيار الماني في النهرين المذكورين) . ومثلها الاطواف (وهي اخشاب يشد بعضها الى بعض فتجري مع التيار ايضاً) وكانت تجارة البابليين من نهر الفرات الى بغداد اي من حلب الى بغداد بالكلكات والاطواف المذكورة

---

(١) الاثر الجليل لقدماء وادي النيل لاحمد بجيب طبع مصر سنة ١٨٩٥ صفحة ٣٠٠ (٢) عرف الشرقيون الصرافة منذ القدم واول مصرف انشيء في بابل ليبت اجيبي بنحو مائة سنة الى الفتح الفارسي ثم اتسع نطاقه الى جهات مختلفة وكان من اعمال هذا المصرف الاداءة بفائدة مالية وفتح حسابات للعاملين معه ودفع قيمة اسفاتج (البوالص) المسحوبة عليه من بلاد العجم ونحو ذلك

ولما كشفت آثار (اور الكلدانيين) في (سنة ١٩٢٤) عثروا في قصر نبوخذ نصر ملك اشور على دفاتر تجارية قديمة وهي اشبه بدفاتر حساب الزنجير المعروف عندنا بالدوبا يليها دفتر الاستاذ وهو مثل دفاترنا اليوم في اول صفحة فيه كلة (من) وفي الثانية (الى)[1]

وكل من طالع شرائع حمورابي من القدماء عرف نظام التجارة عند العراقيين. فكانت عندهم تربط بصكوك وعقود ووضعوا شرائع للرهن والوديعة ومن انظمتهم (ان كل بيع بلا عقد باطل) و (كل دين بلا صك لغو) . ومن غريب ما فعلوه في اقتضاء الدين عند عجز المدين عن تأديته ان يقبض الدائن على زوجة المدين واولاده فيستخدمهم في بيته حتى يستوفي منهم حقه واذا عجزوا عن الوفاء خدموا ثلاث سنوات ثم يطلق سراحهم

وكانت الحكومة تتولى تسعير السلع وفرض اجور الصناع والعاملين حتى الاطباء والبياطرة . والقت عليهم تبعة ما يقع على يدهم من الخاطر والاضرار . وقد اكتشفت آثار كثيرة فيها قواعد حسابية تجارية وصكوك وعهود وعقود تدل على ترقي التجارة في عهدهم

تجارة الصيدانيين

اشتهرت تجارتهم القديمة واهمها كان بزمن سليمان الحكيم في اواخر القرن العاشر قبل الميلاد لان هذا الملك رقى العلم والصناعة والتجارة واعرض عن الحروب وعقد شبه معاهدة مع حيرام ملك صور صديقه الذي ساعده ببناء الهيكل في اورشليم . وبنى في تدمر مخازن ومخافر للتجارة . قال سفر الملوك الثالث (٩ : ١٨) فبنى سليمان بعلة وتدمر في ارض البرية . وقال سفر الاخبار الثاني (٨ : ٤) وبنى تدمر في البرية وجميع مدن الخزن التي بناها في حماة . وقال يوسيفوس المؤرخ اليهودي : ان سليمان بنى تدمر في محل فيه ينابيع وآبار يستقي منها المسافرون واحاطها بسور منيعة وسماها باسم تدمر اي الحجبة وهو اسمها السرياني ايضاً . وكان بناؤها لتأمين طريق الفرات من غزوات البدو والآراميين الذين يفاجئون المارة والتجار لان القوافل كانت تسير من دمشق وحماه الى تدمر ثم الى العراق وما وراءها فبقيت محطاً للتجارة الكبيرة من عهد سليمان الى عهد الرومانيين وقدر بليوس تجارة رومية وحدها في تدمر بنحو خمسة وعشرين مليون فرنك من نقود ذلك العهد . اما العبرانيون فالتجارة مع الاجانب لعدم مهارتهم بالملاحة ولكنهم كانوا يبتاعون البضائع الاجنبية ويرسلون

(١) قال الاستاذ هلبرخ الاميركي : كانت تصيرفة في ايام البابليين وقد وجد مثلها في دفاتر مصرف (اجبي وابنه) وما كانا في القرن السابع قبل الميلاد : ووجد مثال آخر لها في دفاتر (لرسادو وابنه) في القرن الخامس قبل الميلاد ؛ وكلها اكتشفت في هيكل بل في نيبور

بضائعهم اليها. واشتهرت يافا فرضة اورشلم بتجارتها البحرية ولكن تجارة اليهود البرية كانت في مواسمهم لابتياع الضحايا وصرف الدراهم في الهيكل

تجارة المادیین والفرس

توالى على العراق ملوك مادي وعيلام وفارس على اثر انقراض الدولة البابلية وكانت تجارة بابل شهيرة كما مر فطمحت نفس (كورش) الفارسي اليها فحمل عليها سنة ٥٣٨ قبل المسيح ودخلها ظافراً فعزز فيها التجارة وابقى للقوم عاداتهم فأحبوا دولتهُ ودانوا لها الى ان بلغت أوجها في زمن (داريوس) وانتشرت تجارتها في انحاء العالم المتمدن حتى اثرت المملكة وتوسع نطاق عمرانها فصارت موازنتها اذ ذاك نحو ثلاثة ملايين وثلثمائة واثني عشر الف ليرة استرلينية. وهو يكاد يساوي من نقودنا ستة وعشرين مليون ليرة

وكانت مناجم الذهب المكتشفة في الهند غنية في زمن داريوس فابدلت النقود المزوجة من المعادن المختلفة بنقدي الدينار الذهبي والدرهم الفضي وبقيت كذلك نحو قرنين

وفتح الفرس طرقاً جديدة للتجارة اهمها ما بين سرديس وشوشن فرصفوها وهندسوها على احدث طرز فاشتهرت حتى صورها اليونان ومنها طريق الجبال التي عرفها العرب وهي من همذان الى العراق وارتقت التجارة في زمن كسرى انوشروان لانهُ اصلح العراق ومد الجسور الى ان سولت للفرس انفسهم ان يقاطعوا التجار الرومان واليونان ويحتكروا تجارة الشرق والغرب بحفظ طريقي المحيط الهندي والبحر الاحمر « بحر القلزم » ولكنهم نجحوا فقط بالطريق الاول الشرقي اي طريق الهند . وفشلوا في الطريق الغربي واشتهرت عاصمتهم المدائن بموقعها التجاري وعمرانها ووفرة حاصلاتها المعدنية والدر والاواني الزجاجية والخزفية والمعدنية ومنسوجاتها وحجارتها الكريمة . وكانوا ينقلونها كاسلافهم البابليين بالاطواف والكلكات والسفر في الانهر ويبلغون بها اقصى البلاد . فيبيعون فيها شحوناتهم ثم ينقلون بضائع تلك البلدان وحاصلاتهم الى العراق محط تجارة العالم اذ ذاك فيوزعون ما تحتاج اليهِ مدنها وما اليها . ويبعثون بالباقي الى دمشق وحلب والموانىء البحرية في مصر وسورية . وكانت علاقاتهم شديدة مع بلاد العرب ولهم فيها متسدون يدعون الجمالة لغزاة العرب حفارة للقوافل والسفن . وكان معظم التجارة بيد اليهود والنصارى في عهد الملوك الساسانيين لأنفة اشرافهم من التجارة ولاشتراطهم على ملوكهم ان لا يتاجروا تفادياً من غلاء الاسعار ولما احتك الرومان واليونان بالفرس تناولوا عنهم اتقان التجارة [1]

(١) بعضه ملخص عن (تجارة العراق قديماً وحديثاً) لصديقنا الاستاذ يوسف افندي رزق الله غنيمة وزير مالية العراق سابقاً الصفحة ٢٢ — ٣٠

تجارة الانباط في الجنوب

الانباط عرب سكنوا في مملكة ادوم الواقعة في جنوب فلسطين الشرقي ممتدة من حدود فلسطين الى خليج العقبة . وهي التي سميت (العربية الحجرية) وعاصمتها (بترا) او (سالع) بمعنى الحجر. وكان الاسرائيليون يسمونها باسم (سعير) واليونان باسم (ايدوما) سكنها الحويون ثم الادوميون الذين دوخهم سليمان الملك واتخذ بلادهم طريقاً لتجارته الى البحر الاحمر . ثم عضدهم بوخذ نصر ولم يطل ذلك حتى غلبهم الانباط على امرهم قبيل القرن الرابع قبل المسيح واستولى عليهم الرومان سنة ١٠٢ م

وبلادهم تعرف الآن بوادي موسى وهي ملتقى القوافل بين تدمر وغزة وخليج فارس والبحر الاحمر واليمن . فلذلك نجحت عاصمتهم (بترا) المائلة الى اليوم اطلالها العظيمة . والعرب تسموها (الرقيم) وهو تعريب اسمها اليوناني (اركه) Arke

واشتهرت في زمن الامويين ووصفها كتاب العرب . واشتهرت دولة الانباط بملوكها الذين سمي كل منهم (بالحارث) ووجدت اسماؤهم على نقودهم التي ضربوها اقتباساً من اليونان

واتسع نطاق هذه المملكة وبقيت مركزاً تجارياً بين الشرق والغرب والجنوب والشمال حتى اعادوا الطريق من القصير على البحر الاحمر الى قفط على النيل . فتقهقرت تجارتها ومال السكان الى الزراعة واستولى عليهم الرومان كامر . فتحولت الطريق التجارية الى مدينة (تدمر) التي استعمرها الرومان استعماراً تجارياً عظيماً

ووجد بعض الاثريين كتابة نبطية في فرصة (بيولي) في ايطالية مآلها : ان صيدو النبطي وقف في السنة الرابعة عشرة من حكم الحارث الرابع بعض مقتنياته على اسم هذا الملك وزوجته . وكانت جميع التجارة تمر على يدهم وعلاقاتهم بمصر شديدة ولهم كتابة خاصة وجد منها قطعة في (دمّر) قرب دمشق

تجارة اليونانيين

اضطرت بلاد اليونان الى جلب الحنطة والتمر والسمك والسمن من البلاد الاخرى وكان عبيدها يصلون السلاح والخزف والثياب والاثاث مما يباع خارج بلادهم . فوجدت عندهم التجارة وذلك بعد ان صارت اثينة مدينة عظيمة في القرن الخامس قبل المسيح وكانت (بيرا) مرفأها فانشئت فيها المخازن وصارت سوق بلاد اليونان . وامتدت تجارتهم الى بلاد ايطالية حيث نزل اليونان هناك . وكان لكل مدينة فيها نقود خاصة وصيارف يتعاملون بها ويقرضونها بالربا الفاحش زهاء عشرين بالمئة . فكثر اغنياؤهم . وصارت طبقة منهم

خاصة بالتجارة ومصالحها واعمالها وسفنها . فسميت (طبقة المثرين) فاستخدمت الطبقات التي تحتها ثم ظهر من ذلك حزبان عظيمان في البلاد وهما (الاغنياء) و(الفقراء). فصار كل حزب منهما اذا نال الحكم والنفوذ صادر الآخر وتحامس عليه وهذا قال ارسطو الفيلسوف (الثورات تنشأ من سبب تقسيم الثروات) فاخذ الحزبان يتنابان بالعداوة وتداول الحكومة فصار عندهم الحكم الجمهوري والحكم الافرادي وبقيت الخاصيات مستفحلة بين هاتين الطبقتين نحو ثلاثة قرون (من سنة ٤٣٠ — ١٥٠ قبل المسيح) واهرقت دماء غزيرة وخربت بلدان جمة

وفي زمن انطيوخوس الثاني الذي ملك سنة ٢٦٠ قبل المسيح اراد بطليوس ملك مصر ان يحتكر لمملكته التجارة البحرية وكان ذلك الحق للصوريين الذين كانوا ينقلون السلع بالبحر الاحمر الى ايلة (العقبة) ثم تقلها القوافل الى سرقا بين فلسطين ومصر فتشحن الى صور .فبنى بطليوس مدينة على الشاطىء الغربي من البحر الاحمر وسماها بريس (اوبرنيقة) باسم امه فكانت محطة للسلع الواردة من الهند والعربية وفارس والحبش تقلها القوافل الى النيل وتسيرها الى الاسكندرية فتشحن منها الى المغرب وتستورد منه البضائع اليها فتحمل الى الآفاق في المشرق . فانشأ بطليوس كثيراً من السفن التي تمخر البحرين المتوسط والاحمر قدما هذا الى تحاسدهما ونشبت حرب سنة ٢٥٥ قبل المسيح فكانت طاحنة اندحر فيها انطيوخوس ثم صالح بطليوس[1]. وكان لهم في السويدية مرسى مبني بالحجارة الضخمة خربه الملك الظاهر بيبرس البندقداري وكان هذا المرسى مع مرسى خليج اسكندرونة من آمن المراسي وأفضل المرافىء . وهكذا لما ظهر الرومان كان اليونان مشتغلين بالحروب الداخلية والخارجية فغلبوا على امرهم وضعفت تجارتهم فتناولها الرومان وعززوا شؤونها

تجارة الرومان

اخذ الرومان تجارتهم عمن تقدمهم وكانت تدمر محطاً لقوافلها في عهدهم فزينها القيصر ادريانوس سنة ١٣٠ م بالأبنية الشاهقة والهيا كل العظيمة وأقاموا فيها الأسواق التجارية ورصفوا الطرق الممتدة اليها وأقاموا فيها المخافر والحارس والمخازن وسهلوا اسباب التجارة فراجت اسواقها واتسعت اعمالها فكانت صلة بين المشرق والمغرب ولا سيما بين الهند وفارس. وكانت قوافلهم تستوفي قبائل العرب الرحل في طريقهم مدة شهرين وكانوا يدفعون التماثيل لرؤساء القوافل مكافأة لهم على تسييرها وتأمينها مما دلت على ذلك خطوط كثيرة اثرية

(١) تاريخ سوريا للمطران يوسف الدبس (٣: ١٠٩)

وقال بليني : ان تجارة رومية وحدها بلغت في تدمر نحو خمسة وعشرين مليون فرنك من نقودنا الحاضرة او مائة مليون دينار . وقال فولني الفرنسي : كانت تدمر في جميع العصور مرفأ طبيعيًّا ومستودعاً رحباً للسلع الواردة عبرها من الهند في الخليج الفارسي ومن هناك يصعد بها الى الفرات او الى البرية فتبلغ فنيقية وآسية الصغرى منتشرة بين شعوب مولعة بها . وهذا سبب (ايانوس) المؤرخ الروماني في القرن الثاني للميلاد : التدمريين (متعاطين سلع الهند) واطلالها الباقية من آثار الرومان وأقدمها يتجاوز صدر التاريخ المسيحي وملكتها زينب المشهورة حاربها الرومان !

وكانت افامية (قلعة المضيق) حاضرة سورية الثانية في البر للتجارة مثل صور في البحر وهي على ضفة العاصي . وهناك اطلال مدن غربية طولها نحو ١٨٠ كيلو متراً فيها نحو مائة بلدة خربة يظهر انها بنيت في اواخر ملك الرومان بين القرنين الرابع والسادس وكان سكان افامية تجاراً عرفوا في اوربة بذلك العهد

وكانت مدينة بعلبك احدى محطاتهم التجارية في سهل سورية المجوفة او وادي سورية حيث بعلبك والبقاع الآن يسيرون فيها الى الشمال والى الجنوب . ولهذا ترى اطلالها المتسعة الضخمة شاهداً على مكانتها التجارية وثروة سكانها القدماء ويكفي ان في عتبة هيكل الشمس فيها رمز التجارة وهو : نسر يحمل برجليه مفتاحين كما سبقت الاشارة الى هذا[1]

وكانت رومية عاصمة الرومان العظيمة كثيرة السكان ومركز التجارة في الأبحر والأنهر . وكانت رومية وايطالية قليلة الصادرات كثيرة الواردات فكان سكانها يقصدون بلادنا لاستيضاع ما يحتاجون اليه من حاصلاتها كالحبوب والزيوت والبقول والفواكه والمنسوجات والأعمال الأخرى . ويأخذون من الباقية الفضة وبعض المعادن ويجلبون من الشرق ادوات الزينة والعطور والانفس والعاج والحجارة الكريمة والمنسوجات والعبيد والحيوانات بطريق البحر الأحمر . وكانت الطاكيا في الشرق مرفأهم العظيم فانقسم الرومان الى طبقتين كاليونان طبقة الأغنياء وطبقة الفقراء وكانت الطبقة الثالثة عندهم طبقة العبيد التي يتخذها الاغنياء ويتصرفون بها كما يريدون بالاستئجار ونحوه . فعاملوهم بقسوة خارقة للعادة حتى يكونوا بين ايديهم كالحيوانات فأوغروا صدورهم عليهم . وعقد الرومان الشركات المختلفة ومنها الشركات التجارية وعمادها تجار من الصاليك يتجرون بين ايطاليا وغالية بشركاتهم الصناعية

---

(١) ولقد تمثلت تجارة وادي سورية المجوفة وطرقها ومحطاتها بتطويل في التاريخ الذي وضعته لها باسم (تاريخ سورية المجوفة) وهو محفوظ في مجلد ضخم نشرت من تحليل اسماء الاعلام المحررة فيه في مجلة المقتطف هذه

فجمع الرومان في فتوحهم ثروات الامم المختلفة فكثرت الدراهم في رومية فصار الاقتراض فيها اربعة بالمائة على حين ان الدراهم قلت في الولايات فكان الاقتراض فيها بفائدة اثني عشر بالمائة وهكذا انجر الصيارف باسم الملوك والمدن . واذا تأخر المستقرض يعامله الصيارفة معاملة المشارين الذين يجبون عشور الخراج حتى كان بعضهم يبيع اولاده لوفاء ما عليه . والبعض الآخر يموت في السجون فكثر الارهاق والظلم

ويرجح انه في ايام ادريانوس الملك سنة ١٢٢م أمنت الطرق . فكان بين دمشق وتدمر الى الفرات نحو خمسين حصاناً او اكثر يبعد كل منها عن الآخر مسافة ثلاث ساعات لتسهيل المواصلات وتسيير القوافل بأمان . وضربت في دمشق سكة باسمه كتب عليها (الى الاله ادريان) محلقاً له ورسمت على وجهها صورته وصورة الملكة ومنها ما ارخ في سنة ١٢٧ و١٢٩؟ ومهد طريق القوافل بين دمشق وبترا ورصف الطرق فصارت بصرى حوران حاصة تجارية تنقل الى دمشق تمر الحجاز وطيوب اليمن وتجلب الى العربية الحبوب والزبيب من وادي الاردن والسلع من آسية الصغرى [1] . وكانت الحكومة الرومانية تصك نقود الفضة في سورية والكبادوك على مثال السكة الفارسية مخالفة لسكها الملكية في اوربة . وكانت مادة المصنوعات السورية ولاسيما الانسجة الصوفية والحريرية تؤخذ من غلال البلاد البابلية . وكان السوريون يوصلون الى ايطالية وسائر انحاء المغرب اكثر اصناف البضائع الشرقية . كالانسجة الحريرية والفراء والطيوب والثمار والرقيق الشرقي الخ

ومما امتاز به التجار السوريون عن غيرهم انهم لم يكونوا يبيعون سلع تجارتهم للاجانب فقط كما يصنع المصريون بل كانوا ينقلونها بانفسهم الى الآفاق وكان رباتو السفن في سورية طائفة كثيرة العدد شريفة كما دلت الخطوط القديمة . وقلما خلت مدينة شهيرة في المغرب في ايام الملوك الرومانيين من تجار سوريين ومحال تجارية لهم كما ذكر هوميروس وغيره

فكان لمدن بلادنا محلات في ايطالية واوربة وكثر السوريون فيها وامتدت العلاقات التجارية الى يومنا [2] وكانت النصرانية التي دخلت بين اليونان والرومان قد هذبت اخلاقهم فحسنت معاملاتهم التجارية . وحصلوا اموالهم بالطرق المحللة فبذلوا دراهمهم للاعمان المفيدة

زحلة (لبنان) عيسى اسكندر المعلوف

في جزء يناير القادم فصل ممتع في « تاريخ التجارة عند العرب »

(١) تاريخ سوريا للدبس (٣ : ٥٧٠) (٢) تاريخ سوريا للدبس (٤ : ١٤٧)

موازنة بين الجيولوجيا والتاريخ

الجيولوجيا والتاريخ

ان الجيولوجيا في الحقيقة تاريخ. وكتاريخ نستطيع ان نعالجها من ناحيتين الاولى — ان نحسبها سفراً للحوادث الكبيرة ووصفها — والثانية ان نحسبها علماً يتناول الاسباب التي سببت هذه الحوادث وقوانين تابعها. فالاولى ناحية من نواحي البحث يغلب عليها الخيال والثانية يسود فيها العقل والمنطق. والجيولوجيا تاريخ تغلب فيه الناحية الثانية على الاولى

١ — تاريخ العمران يقسم الى عصور بحسب الحوادث الجسام التي تفصل بينها. وهذه العصور يدوّن ذكرها في مجلدات وفصول وابواب ونبذ حسب مقامها. وتاريخ الارض يقسم الى عصور ايضاً تفصل بينها حوادث طبيعية خطيرة حدثت في التكوين الجغرافي واحوال الاقليم واشكال الاحياء التي سادت في الارض في عصور مختلفة وهذه الحوادث تدوّن في مجلدات وفصول هي الصخور على اختلاف طبقاتها

٢ — العصور في تاريخ العمران متصل احدها بالآخر لا يفصل بينها فاصل ظاهر الا في بعض الحوادث التي يسرع فيها الانتقال كالثورات والحروب الكبيرة والانقلابات الاجتماعية الخطيرة. كذلك تاريخ الارض عصور محبوكة الاطراف لا تفصل بينها فواصل ظاهرة الا في الحوادث البارزة كظهور جنس جديد من النبات او الحيوان او حدوث حادث طبيعي يغيّر وجه الارض او طبائع الاحياء كعصر الجليد

٣ — كل عصر من عصور التاريخ العمراني يمتاز بصفة اجتماعية او عمرانية فينسب اليها فنقول مثلاً عصر الفروسية وعصر الدمقراطية وعصر الحديد وعصر الكهربائية. كذلك تاريخ الارض. فكل عصر من عصوره يمتاز بطائفة من الاحياء نباتاً كانت او حيواناً. فلدينا عصر الحجار وعصر الاسماك وعصر الزحافات. ولما كانت اطراف العصور محبوكاً بعضها بالبعض الآخر فمن المنتظر ان نبدأ تباشير كل عصر بالظهور في العصر السابق

٤ — نجد في التاريخ العمراني ان ما يمتاز به كل عصر ينشأ فيبلغ ذروته ثم يأخذ بالانحطاط ولكنه لا يتلاشى كلّ التلاشي فجأة بل يخضع للقوى الجديدة الظاهرة في العصر التالي. وعلى

ذلك نجد تاريخ السمان في ارتقاء مستمر. كذلك في تاريخ الارض نجد ان كل طائفة من الاحياء تنشأ وتبلغ ذروة من القوة والسيطرة ثم تأخذ بالانحطاط ولكنها لا تتلاشى بل تخلي الميدان للطائفة الجديدة التي تتلوها لذلك نجد ان مملكتي الحيوانات والنباتات في ارتقاء مستمر صفته الظاهرة زيادة التعقيد في اعضاء الاحياء ووظائفها

٥ — في كل كتاب من كتب التاريخ نستطيع الوقوف على اقسام العصر المؤرخ من المجلدات والفصول التي ينقسم اليها الكتاب ومن طبيعة تقسيم الموضوع الى اقسامه الطبيعية. والاحسن ان يقسم الكتاب الى فصول تتفق مع طبيعة تقسيم الموضوع نفسه. كذلك في تاريخ الارض نحكم على تقسيم الازمنة التي مرت فيها من انواع الصخور الاساسية واختلاف طبقاتها ومميزاتها ومن التغير الذي حدث في ما نجده في كل طبقة منها من آثار الاحياء. وهذا يقودنا الى البحث في الحفريات او «الآثار المتحجرة»

الحفريات والآثار المتحجرة

لا يكمل الكلام على الجيولوجيا كتاريخ مهما يكن موجزاً اذا خلا من الكلام على ما في الطبقات الجيولوجية المتعددة من آثار النباتات والحيوانات المتحجرة. فان هذه الآثار هي دليل الجيولوجي وابلغ ما كتب في سفر الطبيعة

لا ريب ان كل قارئ لاحظ آثار نباتات او حيوانات متحجرة في طبقات صخرية. هذه الآثار مهم الجيولوجي لانها تطلعه على الاحوال التي كانت تعيش فيها هذه الاحياء. فمن الحقائق الاساسية في علم طبقات الارض ان الصخور المتعددة اتربة راسبة تحجرت في البحار او البحيرات او الخلجان او الانهار. وفي تلك الازمنة المتغلغلة في القدم كما في هذا الزمان كانت الحيوانات الصدفية تعيش في البحار فتقذفها امواجه الى الشاطئ. وكانت اليابسة مغطاة بالنباتات المختلفة وتسرح الحيوانات على سطحها فكانت الجداول والانهار تجرف معها الاوراق والاغصان والجذوع وجثث الحيوانات وتدفنها في الاتربة التي تحملها معها. فهذه الآثار من الكائنات الحية حفظت من غير تغير تقريباً بين الطبقات الراسبة من ذلك الحين الى هذا الزمن. وتختلف درجات هذا الحفظ باختلاف الزمان والمكان والمادة والكائن نفسه. فقد تحفظ المادة الطرية التي يتركب منها جسم الحيوان وهذا نادر وقد تحفظ اصدافه او هيكله وهو الغالب. اما حفظ المادة الطرية فامثلته نادرة. ولعل اشهرها جسم حيوان حفظ كما هو في جليد سيبريا عصوراً طويلة. وقد بلغ هذا الحفظ درجة اغرت الكلاب بالهجوم عليه

وفي كثير من الاحيان لا يوجد الهيكل متحجراً كاملاً بدقائقه بل يوجد اثر الشكل الظاهر مطبوعاً في الحجر كان الصخر قالب ذلك الكائن يحفظ شكله الخارجي فقط

قيل ان هكسلي كان في بدء حياته العلمية شديد الحذر في قبول مذهب النشوء فلما اشتغل بالجيولوجيا ودرس تتابع الآثار المتحجرة فيها وارتقاءها صار من أعظم أنصار النشوء وقال « لو لم يستنبط مذهب النشوء لوجب على علماء الآثار المتحجرة أن يستنبطوه لتعليل ما يرون »

التتابع الجيولوجي

قلنا ان الجيولوجيا تاريخ والصخور المنضدة هي صفحات ذلك التاريخ فاذا شئنا استنطاق الصخور المنضدة لنستخرج منها تاريخاً وجب ان نرتبها بحسب قدمها . هذه غاية الجيولوجي وهي مزدوجة (١) ان يرتب هذه الطبقات من أسفلها الى اعلاها بحسب قدمها (٢) ان يجعلها طوائف طوائف تجمع بين كل طائفة منها مميزات عامة تميزها عن غيرها . اي عليه ان يجد اولاً تتابعها الزمني ثم يقسمها ازمنة وعصوراً

وواضح من رسوب المواد انهُ لو بقيت جميع الطبقات المنضدة مستوية لكان ترتيبها بحسب قدمها سهلا ولكان اسفلها اقدمها واعلاها احدثها . على ان الطبقات في اكثر الاماكن اصابتها قوى الارض المختلفة فتجعدت وتكسرت وتشققت وتفتتت وجرفت وتغطت حتى بالحراج وهناك بالاتربة على اختلافها واختلاف اعماقها . ومما زاد في الطين بلة انك لا تجد كل الطبقات في كل الامكنة . فقد تجد طبقة ظاهرة على سطح الارض في بقعة من البقاع يعود تاريخها الى اقدم العصور لان كل الطبقات التي رسبت فوقها قد حفرت وجرفت . وتجد الطبقة العليا في مكان آخر مجاور لهذا المكان حديثة التكوين . ولذلك ترى انهُ لا بد للجيولوجي من درس جميع الطبقات التي يستطيع درسها وموازنة احداها بالاخرى وترتيبها بحسب قدمها . وفي ذلك لهُ طريقتان الاولى مقارنة الصخور التي تتألف منها والثانية مقارنة الآثار المتحجرة التي فيها . فبحسب الطريقة الاولى مثلاً نعرف ان الصخور الرملية تكونت كلها في زمن واحد ومثلها الصخور الرملية الحيرية والصخور الدلتائية ولكن هذه الطريقة تصح على ما يقع في بلدان متجاورة فالصخور الرملية في بقعتين متجاورتين لا شك كونت في عصر واحد ولكن ذلك لا يثبت ان الصخور الرملية في جوار نيويورك مثلا كونت في العصر الذي كونت فيه الصخور الرملية على شواطىء لبنان . فيلزم اذاً ضبط الطريقة الاولى باستعمال الطريقة الثانية وهي موازنة الآثار المتحجرة في الطبقات الصخرية

فاذا سار الجيولوجي على هذه المبادىء استطاع ان يضع ترتيباً عاماً للطبقات الصخرية ولا يتم هذا الترتيب الا عند ما تدرس الطبقات الصخرية وما تحتوي عليه من الآثار في كل انحاء الارض عامرها وغامرها

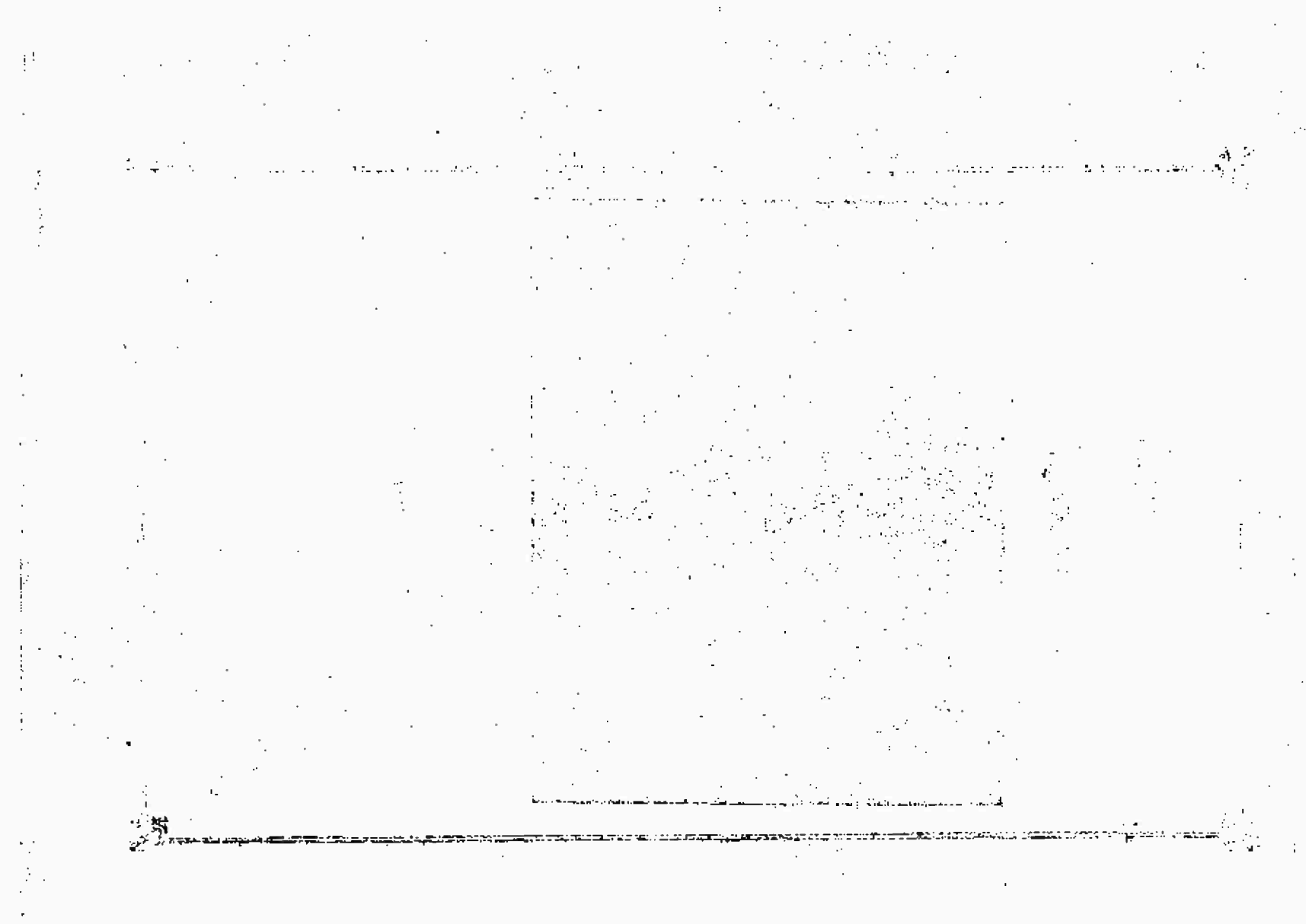

درجت في ممالك الطير ...

لم يجاحا خرافة حلوة بل جاحا حقيقة من هولى

امام الصفحة ٥٣٣

مقتطف ديسمبر ١٩٢٩

وهي القصيدة العصماء التي نظمها فوري افندي المذكور لجلالة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف وقد ترجمت الى الايطالية . القيناها بها والد الشاعر في اثناء زيارتنا لبنان في الصيف الماضي

ملك في الهواء

في عباب الفضاء ، فوق غيوم — بين نسره — وقبحه
حيث بث الهوا ، بنشر نسيم — كل عطره — ورقه

حلّق الشاعرُ العصامي — منذ البدء — لكن بروحه لا بجسمه
طائراً في الفضاء مع ربّة الشعر ومن حولهِ عرائسُ حُلمه
ملكُ قبةُ السحابِ له قصرٌ ، وكلّ الأثير مسرح حكمه
ذو وشاح من الشجى ، فاح كافور دراريه ، فوق عنبر لثمه
هالةُ البدرِ كللتهُ بتاجٍ صيغ من نثر فضةٍ حسنٌ نظمه
والسواقي عرش له نفض الليل على جانبيهِ رحبة رسمه
والثريا في كفّهِ صولجانٌ ذهبُ الصبح ضمّ لؤلؤ نجمه
شاعرٌ طائرٌ بنير جناحين بأمر الخيال يقضي وباسمه
مُلكهُ ركنه الهواء ، ولكنْ إله الخلود قام بدعمه
هجرَ الارض طالباً راحة الروح بعيداً عن الوجود وظلمه
صدّ عنه طوعاً بملء رضاه بعد أن جاءه مقوداً برغمه
هو منه وليس منه ، فما زا ل غريباً ما بين أبناء أمّه !!

نفوس الشعراء

يا نفوساً في بردة الشعراء وفدتهم — على الهواء
ابعدتهم عن عالم الاحياء قربتهم — من السماء

لستِ من عالم التراب وان كنـ ـتِ مجسدتِ بالتراب عليه
أنتِ من عالم بعيد عن الار ض يغيض الجمال عن جانبيه
عالم أنتِ فوقهُ نسماتٌ حملت نفحة الشعور اليه
هو ما زال طاهراً ونقياً لم يدنّس إثم الورى بردنيه

وفق الشعر فيه يستنزل الوحيَ بياناً ، يجثو الخلود لديه
مبقياً طيَّ مصحف الأفق آناً رأ تونّي بحبها صفحتيه
ما شماع الاصيل غير لهيب شعَّ من قلبه على مقلتيه
وقتام الغمام غير دخان صعَّدته الهموم من شفتيه ! !
ما أنين الرياح غير زفير سرقته الرياح من رئتيه
ونواح الطيور غير اناشيد روتها الطيور عن أصفريه !!
ما بريق النجوم غير شظايا كأس حبٍّ تحطمت في يديه
وندى الفجر غير درِّ دموع شربتها الازهار من محجريه

عبد وحرّة

بين روحي وبين جسمي الاسير كان بعدٌ — ذقت مره
انا في القرب وهي فوق الاثير انا عبد — وهي حرة

انا عبد الحياة والموت ، أشقى مكرهاً من مهودها لقبوره
عبد ما تحتوي الشرائع من جو رٍ يخطُّ القويُّ كلَّ سطوره
يراعِ دمُ الضعيفِ له حبرٌ ونوحُ المظلومِ وقعُ صريره
أنا عبد القضاء ، عبد فناهُ وشقاهُ ، يشيرُ ونذيره
عبد عصر من التمدن ظهو رٍ ضلَّةٌ عن لبابهِ بقشوره
عبد مالي ، أسعى اليهِ فاحظى بعد طول العنا بوطأة نيره
عبد إسمي ، أذيب نفسي وجسمي طمعاً في خلوده وظهوره
عبد حبي ، جعلتُ قلبيَ مأواهُ فأضرمتُ اضلعي بسعيره
ان جسمي عبدٌ لعقلي ، وعقلي عبد قلبي ، والقلب عبد شعوره
وشعوري عبدٌ لحسّي ، وحسّي هو عبد الجمال يحيا بنوره
كل ما بي تحت العبودية العمـياء فوق الوجود بين شروره
غير روحي فانها حرّةٌ تمشي بروض الخلود ، بين زهوره

ملهم بحض

يا طيور السماء في الريح روحي بي جريا — على الخلد
ويحسّي طيري الى حيث روحي ثم تحيا — بلا جسد

هو حلمٌ ما زال في فكرة الشا عر يطوي الزمان جيلاً فجيلا

حققتهُ الايام فالنظر تحدني قاطعاً في الاثير ميلاً فميلا
ما جناحا خرافةٍ حملاني بل جناحا حقيقة من هيولى
فوق (طيّارةٍ) على صهوات الريح قامت تذلّلُ المستحيلا
هي طيرٌ من الجماد ، كأن الـ ـجنّ في صدرها تحثُّ خيولا
فتظنُّ الأرزّ فيها عزيفاً وتخالُ الدويَّ فيها صهيلا
حين هبَّت وثباً الى الجوّ تختـ ـال وتعلو فيه قليلاً قليلا
ثم مدَّت الى النجوم جناحـ ـين وجرَّت على السحاب ذيولا
دفعت موجة الرياح بكفيـ ـها فشقَّت الى السماء سبيلا
خبباً تارة ، وطوراً وثيداً ، صُعُداً مرة ، وأخرى نزولا
درجت في ممالك الطير تلقي الذعر من حولها وتؤتي الفضولا
فترى في الطيور كرّاً وفرّاً وترى في النجوم قالاً وقيلا ! !

بين الطيور

قال نسر لآخر : « أي طير هو هذا ومن رفاقه ؟
ان يكن قادماً الينا لخير فلماذا — علا زعاقه ؟

يالهُ طائراً بصورة شيطـ ـانٍ تبثُّ اللظى مراجل صدرهْ
يتخطى حدودنا دون إذنٍ فكأنّا وملكنا طوع امرهْ
إنني خائفٌ فلم ترَ عيني طائراً قطُّ في ضخامة قطره »
فأجاب الثاني : « أعيذكَ منه فانا عارفٌ دخيلة سرّه
نحن لم نهجر البسيطة إلاّ هرباً منه ، واتقاء لشرّه
ليس طيراً لكنّه آدميٌّ جاء يستعمر الأثير بأسره
ربما ضاق عن مطامعه الـ ـكون فحطت هنا مطامع فكره
قم بنا نجمع الطيور ، ونمشي للقاهُ فنتقي بعض غدره »
واذا بالطيور حولي ، وكلٌّ صامدٌ لي بمخليه وظفره ! ! !
— لا تخافي يا طير ، ما انا إلاّ شاعرٌ تطرب الطيور لشعره
جاء يقضي بعض الدقائق في مغـ ـناكِ ضيفاً على الهدوء وسحره
هارباً مثلما هربت من الانسان والارض ، من شقاها ومكره .

رمز الالم

انظريه يمشي وفي خطواته ذلزلات — من الالم
عاثر الجد ، تعدو بذاته نزوات — الى العدم

هو في ميعة الشباب ، ولكن ضمّ في بردتيه شيخاً هزيلا
شارد الطرف ، تائه الفكر ، يحكي مدلجاً في الظلام ضلّ السبيلا
ذو جبين ألقت عليه شجون النفس ظلاً من العبوس ظليلا
وقوام كأن قامة الظهر أناخت عليه حملاً ثقيلا
كتب البؤس في غضون محيّاه سطوراً مقروءةً وفصولا
فهو لا يعرف التبسّم ، إلاّ عند ما يستعيد حلماً جميلا !
ألف اليأس قلبهُ ، فهو واليأس يحاكي (بثينة) (وجميلا)
واذا اليأس صدّ عنه قليلاً قام يبكي على نواه طويلا
واذا ما النسيم مرّ عليه فتليل أتى يؤاسي عليلا
تاه في عالم الخيال فضاعت روحه وهي تطلب المستحيلا
حوّل الارض عالماً علويّا مخرجاً من وحولها سلسبيلا
وأعادَ الاثيرَ طوعَ يديه ناظماً من نجومه إكليلا

بين النجوم

وابرت نجمة لاخرى تقول : « من نجوم — من البعيد ؟
أهو نجم مذنب ام دخيل في النجوم — وما يريد ؟

انظريه يعدو الينا مغذّا مرعداً ، يقلق الينا بصياحه
ليت شعري هل قاده نحو قاصي عالم النجم غير حبّ افتاحه » ؟
حدّقت بي الاخرى مليّا وقالت : « لا تخافي يا اخت شرّ جناحه
هو تحت السديم يعجز عن ان يبلغ النجم فوق متن رياحه
هو مخلوقُ عالمٍ ، إسمه الارض يغطي الشقاءُ كلّ بطاحه
عالمٍ ما شعاره غير ان الحق للقوة التي في سلاحه
فدعي ذلك الفضوليّ يعلو فقريباً يهوي عياً من كفاحه »
— أيه يا نجمتي ألم تعرفيني شاعراً ينصت الدجى لنواحه ؟
كم ليالٍ في الروض ، أحيتها ابكي وأرنو اليك ، بين اقاحه

ساكباً في الفؤاد من رعشة السنور بعينيك بلسماً لجراحه
وسواد الظلام في قلبي حبر اوشي به بياض صباحه
ساعَ الله فيك قلباً نبيًّا هو في الكون مثل قلبٍ ملاحه

اوراق منثورة

أتناسيت يوم كانت طلوعي من شجوني — تشرق
يوم كفكفت واكفاً من دموعي في عيوني — بترترق ؟

فاذكريني بين الكواكب وادعي لي ، عسى يهتدي اليَّ السلامُ
أيُّ حلم سكبته ذهبياً لم تذبه بنارها الايام
ورجاء حكته من خيوط النو ر لم ينسدل عليه ظلام؟
أيّ عود حملته للتغني لم تقطّع اوتاره الآلام
وغناء نظمته للتسلي لم يبدّله بالإنين السقام؟
اي كأس قرّبته من شفاهي لم تحل حنظلاً عليه المدام
ونؤاد قطّرت فيه فؤادي لم يضع عنده لعهدي ذمام ؟
اي طيف طوّقته في مناي لم يجلّله بالدموع الغرام
وهناء زرعته في ضلوعي لم يكن منه للذبول طعام ؟
ليت شعري والليل يعقبه الفجر متى يعقب البكاء ابتسام ؟ !
ضاع عمري سعياً وراء رسوم خطّطتها في الشاطئ الاقدام
ونساء على الرمال . وهل يثبت رسم له الرمال دعامُ !

بين الارواح

وتمنى في عالم الارواح من قضى — أي مس
اذ تنشق من خفيف جناحي في النسيم — ريح أنس

فتألبن حول جسمي جماعا ت ملأن الجوّ النسيج دويًّا
واذا بي أعي هنالك أشيا ء ، ولما حدّقت لم أرَ شيًّا
كأني في الحلم سكران صاحي تتوالى رؤى الخيال عليًّا
حام شيء هناك لم ترهُ عيني ولكن وعاه حسّي جليًّا
ظنّ حرلي طنين اجنحة النحل ، وأهوى مرفرفاً في يديًّا
هو مثل الأنفاس لفحاً ونفحاً ، وهو مثل الشعاع نشراً وطيًّا

ان فيه للمس برداً ، وللسمع حفيفاً ، وللنشق ريّا
لم يزل صوته الى اليوم في سمعي وقبلاته على شفتيّا
غير اني لما اردت له وصفاً غدا طيّع البيان عصيّا
هو حمل الارواح فوق سماه قرّبتها عروس شعري إنيّا
فتنبهتُ من ذهولي وأصغيت لعلّي اجلو هناك خفيّا
ففهمتُ الذي (توشوشه) الارواح مني ، وما تفكّر فيّا

هفوة التراب

قال روح : « حذار يا ترابي واطردوه — عن السماء
هو في الارض حفنة من تراب فأبوه — طين وماء

هو من نفخة كفت لتجلّيه وتكفي بذاتها لاحتجابه
وكما كان اصله من تراب الكون يغدو مصيره لترابه
ليته عاد للاديم كما جا ، نقيّا في نفسه وإهابه
جاء والطهر والرواء رفيقاه وثوب العفاف كل ثيابه
وتولى يقوده الاثم والدنا ، الى القبر في غضون شبابه !
هو يجيا للشرّ فالشرّ يحيا ابداً حيث حلّ شؤم ركابه
وهو لا ينفع البسيطة ، إلاّ حين يثوي في القبر بين رحابه
حين يمتصّهُ الاديم ، فيعطي منه بعض الندا الى اعشابه
ليت شعري كل النبات الذي في الكون من زهره الى لبلابه
ليس الاّ عصير اجسام من ما توا فرانوا الثرى بأجل ما بهْ
مثل طلّ في حمأة ، بخّرتهُ الشمس ، فاسترجعته عين سحابه
فتراه في الجوّ — ثانية — طلاًّ نقيّا ، يجي الثرى بانكبابه » ! !

استفهام ناقص

قال : ما قاله ، وفكّر لغوره يتسوق — تعربي
فانبرى آخر يقول بدوره : « قلت حقاً — يعذبي

ما دعوه الانسان من أنسه لكن دعوهُ الانسان من لسانيهْ
نسي الخير ثم أوغل في الشر ، فداس الضمير في عصيانه
ملأتْ قلبه أفاعي المعاصي فاسمعوها تفحّ في خفقانه
حسدٌ ناهشٌ بقية ما في نفسه ، من إبائه وحنانه

طمع يضرم السعير حوايـــه ، ويعمي عيونه بسخائه
وانانيـة عمـلٌ له الفضـــل ، لتحقيق غاية في كيانه
مُنح النطق والذكا ميزةً تفـــرقه في الوجود عن حيوانه
فاذا بالاذى وليـد حجاه واذا بالشرور بنت لسانه
عاث في ارضه فكانت جحيماً فأتى الخلد ماتماً في جنانه
زجَّ بالعلم في السماء طيوراً من جماد يديرها بيانه
ما اعتـلاها الاّ لقتل البرايا ولهدم البـلاد في طيرانه
ليته لم يكن ذكيًّا ، وليت السكون لم يشهد ارتقا إنسانيه »!!

كفارة الشاعر

وتدانت روح هنالك مني رمقتني — بلا غضب
علتها اثبلت تدافع عني صح طي — ولا عجب

هي روحي قامت تخلصني من غضب العالم الفخور بشـــهْ
طوَّقتني بمعصميها وقالت : « اخواني رفقاً به وبؤسه
هو من عالم التراب ولكن شأنه غير شأن أبناء جنسه
سكن الارض مرغماً وهو لو خُيِّـــر ، ما اختار غير ظلمة رمسه
أن بين السرير والنعش خطوا ت دعوها الوجود وهي بحكه
شاعر ما حياته غير فطـرا ت جرت من يراعه فوق طرسه
يتلاشى كالشمع — كي يعطي النور — على هيكل الخلود وقدسه
غده — مثل يومه — تلعب الاقـــدار فيه ، ويومه مثل امسه
غسلت عينُهُ بما سكبته من ندى الدمع كلَّ ادران نفسه
والتظى قلبهُ فطهَّر بالآلام ما دنَّسهُ شهوات حسّه
جاء من ارضه يفتش عني يائساً فاخشعوا احتراماً لبأسه
ودعوه مني فني قبلاتي شهدُ عطف يشيه علقم كأسه »!

على بساط الريح

ووقفنا معاً بقلب السماء تحتي — من الغيل
ما احب اللقاء بعد التنائي فهو احلى — من الامل

موقف لا يمثل الفكر ابهى منهُ ، في نومه وفي يقظاته

اذ جلسنا على بساطٍ من السحـــب ، يفوح الغرام من جناته
تحت جوٍّ كأنهُ سنة النو م ، ترفُّ الاحلام في طبقاته
والنسيم العليل فوق التي انسـفاسنا ، ساكب ندى نشأته
وعذارى الارواح تنشد من بعـــد بصوت الله ، ا في نبراته !
رافقتهُ فيارة الحبِّ فانـــزل أين الاثار في فيافيه
فانتقلنا الى فضاء من الـــبحران ، هاروت فيهِ بعض حياته
وملأنا من لنح قبلاتنا الـــجوَّ ، فعادت بالنفح من قبلاته
ثم قمنا نجول في الكون ، ابصـــاراً ارتنا منهُ حقيقة ذاته
تنظر الناس من علٍ مثلما تنـــظر نملاً يمشي الى غزواته
وترى الطود في السهول ، كما تبـــصر فوق التراب ظلَّ حصاته
وترى الموجَ في الحضم ، كما تلمـــح جوًّا ، والسحب في مرآته !!

على الارض

تلك بضع من الدقائق مرت في حلم — من الخلود
هي مثل الاحلام زارت وفرت اي حلم — ترى يعود

واذا بي أهوي الى الارض وحدي بعد حرِّيتي اكابد رقَّا
تركتني روحي ، وعادت لمأواها تشقُّ الشعاع في الجوِّ شقّا
فرأيت اليراع قربي يواسيـــني ، ويبكي لما لقيتُ وألقى

يا يراعي ما زلت خير صديق لي — منذ امزجت بي — وشيق
باسماً من سعادتي حين اهنا باكياً من تعاستي حين اشقى !
كم حبيبٍ سلا وعهدُكَ باقٍ فهو اوفى من كل عهدٍ وابقى
أنت رغم الجحود خلٌّ وفيٌّ حوَّل المستحيل غولاً وعنقا . .
ربَّ دمعٍ كفكفتهُ من عيوني سال حبراً في الطرس يخفق خفقا
وعذاب نزعتهُ من ضلوعي أجَّ بين السطور يحرق حرقا
وزفيرٍ حوَّلتهُ لصريرٍ ملأ الخافقين غرباً وشرقا
يا يراعي رافقت كل حياتي فاروِ عني ما كان حقا وصدقا
أنا لم ألقَ مثل صمتكَ صمتاً حوَّلتهُ عرائس الشعر نطقا !!

فوزي المعلوف

نظرات نقدية في ملحمة

« شاعر في طيارة »

بقلم الدكتور احمد زكي ابو شادي

أسعدني صديقي الأستاذ محرر (المقتطف) حينما عهد اليّ بنقد هذه المنظومة البديعة للشاعر النابغة فوزي المعلوف ، لأنّ الأثر الجميل الباهر لا بدّ أن يُبهج كلّ من يَشتاقه بنفس صافية تتشوّف عن مظاهر الجمال أينما كان ، ويسرّني أن يشترك معي كثيرون من القرّاء في الاستمتاع بهذه التحفة الأدبية مستطيبين هذا النقد

لا شكّ في أنّ فوزي المعلوف شاعرٌ رومانطيقيٌّ موضوعاً وأسلوباً ، وهو في هذه الملحمة — المؤلّفة من اربعة عشر نشيداً ، جامعةً ستة وتسعين ومائةٍ من الأبيات — يُطالعنا بأبهى خياله وزبدة نظراته الى الحياة ، كما يقدّم الينا تحفةً فنيةً تبرهن لمن يعوزهُ البرهانُ أنّ اللغة العربية مؤاتيةٌ جدّ المؤاتاة للشعر العصريّ ، فما يرجع قصورُ هذا الشعر في جملته اليها وإنما يرجع الى الأذهان المقيّدة الكليلة ، والى الاخيلة الضعيفة ، والى تصور ثقافتنا بوجه عام

***

فأمّا مذهبُ الشاعر في الحياة فأقرب ما يكون الى التشاؤم ، والى البثّ من حياة الأسر الجسدية ومن شرور الدنيا التي لا ترضى بها روحية الشاعر النقية ، مع ميلٍ الى الاعتقاد في التناسخ او في وحدة الحياة :

ليت شعري كلُّ الذي في السكون من زهره الى لبلابه
ليس الا عصيرَ أجسامِ مَن ما توا فزانوا الثرى بأجمل ما به
مثل ظلٍّ في حائطٍ يخرقه الشمسُ فاسترجعته عينُ سحابه
فتراه في الجوّ — ثانيةً — طلاً نقيًّا يُحيي الثرى بانكابه

وهذه روحٌ خيّامية لا جديدَ فيها ، ولكنّ الشاعر مُطالَبٌ أوّلاً بالتعبير عمّا يكنّه وجدانُه ، فحسبه أن يُعلن عن شعوره وعواطفه في نسق فنّي ، وهذا ما وُفّق اليه فوزي المعلوف في أسلوب مبتكرٍ على جناح طيارته ، فكان بذلك مجدّداً وإنْ تناول آراء مألوفة . وهو أقدر ما يكون على تصوير ذلك في نشيده الثاني عشر الموسوم « كفّارة الشاعر » إذْ يقول :

وتدانت روحُ هـاك مني ... رَمَقَتْني — بلا غضبْ
خِلْتُها أقبلتْ تدافعُ عني ... صَحَّ ظني — ولا عَجَبْ
هي روحي قامتْ تخلصني من ... غضبِ العالمِ المحنّطِ بالشمسيهْ
طَوَّقَتْني بعصبِها وقالتْ : ... « أخواني ، رفقاً به ويؤسهْ
هو من عالمِ التراب ولكنْ ... شأنهُ غيرُ شأنِ أبناءِ جنسهْ
سكنَ الارضَ شرَّ عمّاه وهو لو خُيِّـ ... ـرَ ما اختار غيرَ ظلمةِ رمسهْ ! »

وهذا احتقار متناهٍ للحياة . وهو يرى أنّ ارتقاء الانسان ارتقاء ناقصٌ أو معكوسٌ (النشيد الحادي عشر) :

فاذا بالأذى وليدُ حِجاهُ ... واذا بالشرورِ بِنْتُ لسانهْ

وكلّه سخطٌ على الانسانية العمياء وازدراء لنزعاتها، فيقول على لسان أحد الارواح عن أخيه الانسان (النشيد العاشر) :

هو يحيا للشرِّ فالشرُّ يحيا ... أبداً حيث حلَّ شؤمُ ركابهْ
وهو لا ينفع البسيطةَ الاّ ... حيث يَثْوي في القبرِ بين رحابهْ
حيث يمتصّه الأديمُ فيُعْطي ... منه بعضَ الغِذا الى أعشابهْ

***

وعندي انّ نظرات الشاعر الفلسفية الاجتماعية ليست خاليةً في مغزاها من الجديد فحسب بل هي صارّة أيضاً ، فلا سلوى ولا فائدة منها للانسانية، واحسب انها نزعة تقليدية متغلغلة بين معظم أدبائنا ، أو كأنما هي شروحٌ متابعة للبيت القديم :

عَوَى الذئبُ فاستأنستُ بالذئب إذ عوى ... وصوّتَ انسانٌ فكدتُ أطيرُ !

ولا أدري لماذا ننسى حقيقةً أخرى : وهي أنّ الانسانية في جملتها تسير الى الأمام في الجانب الروحي والفكري بل والجسدي ايضاً ؟ لماذا ننظر نظرةً قصيرةً هي أقرب ما تكون الى الانانية فنسخط على العالم لآلامنا وتضحياتنا الذاتية ، ونتناسى الى جانب ذلك نظام الحياة الاسمى الذي يجعل الفرد للجماعة وإنْ جعل كذلك الجماعة للفرد ، لصالح هذه الجماعة في النهاية ؟ كذلك لا أدري لماذا لا نقرّ بأن لنا في المدنية الانسانية رغم عيوبها سلواناً وعزاء :

والحسنُ في هذه الدنيا على صُوَرٍ ... لكنما يجذبُ الانسانَ إنسانُ

ولئن كان في سخط الشاعر وفي تقريعه لابناء جنسه أو نوعه تهذيباً وتربيةً ، فأجل من ذلك أن يجعل أمامهم مصباح الأمل وحبّ الجمال الذي هو نسمة الحياة بل ذات الحياة كما

فعل الدكتور روبرت بردجز في ملحمته (عهد الجمال — *The Testament of Beauty*)، وهذا ما خلصت منه هذه المنظومة الموصوفة بأنها « فلسفية اجتماعية »، وأكتفى الشاعر بعد صخبه وشكاته بالالتجاء الى دموعه وأحلامه الناعسة على براءته. فرسالة الشاعر في هذه الملحمة ليست رسالة أمل قوية بانية، ولكنها رسالة يأس وشكوى ويأس مع شيء من التصوف

***

وأما خيال الشاعر فهو الخيال الجامح الوثاب المعهود في جميع الشعراء البنانيين تقريباً، وهذا من صميم روح الشعر. وخير أناشيد «شاعر في طيارة» هي الحلقة مع هذا الخيال البديع كما نلحظ في نشيد الاستهلال وفي تضاعيف معظم الأناشيد الأخرى، لا سيما في النشيد الثاني والرابع والسابع والثالث عشر — وهي التي وصف فيه شعوره وهو طائر:

موقفٌ لا يُمثِّل الفِكرُ أبهى منه، في نورهِ وفي يَقَظاتِهْ
إذ جَلَسْنا على بساطٍ من السُّحـ ـبِ يفوحُ الغرامُ من جَنباتِهْ
تحت حورٍ كأنه سِنَةُ النَّوْ مِ، تَرِفُّ الأحلامُ في طيّاتِهْ!

وأما عن أداء هذه الأخيلة والمعاني فقد جاء جميلاً حقاً، وقد أحسن الشاعر بتقسيم ملحمته الى عدة أناشيد متنوّعة القوافي، متدرّجاً فيها من حُلمه بمُلْك الهواء، الى تحليل نفسية الشاعر، الى تحقيق حلمه، الى وصف تجواله الهوائي، الى خواطره أثناء طيرانه وأجلها مُفاجأةُ الأرواح له، وأخيراً عودته الى أمّه الأرض. وأحسن كذلك بأن استهلّ كلّ نشيد ببيتين رشيقين ضمنهما صفوة النشيد، فكان مشوّقاً بهما الى مطالعته ومساعداً على توقيع النغمات ومريحاً لنفس القارىء

وأما عن النسق النظمي فهو في جملته رقيقٌ جيّدٌ، وان جاء ضعيفاً في مواقف مع أبيات لفظية لا يقرّها الشعراء المدرسيّون ولا سيما المصريون منهم: كالاكثار من قصر الممدود، وكاستعمال ألفاظ في غير موضعها الأصلي سبيل التجوز — وهو مالا موجب له مثل قوله « طوّقتني بمعصمها » والأصوب أن يقول « طوّقتني بساعديها ». ولكنّ هذه هِناتٌ لا يؤبه لها في تقدير هذا الشاعر النابغة الذي يستحقّ الثناء الجمّ والتهنئة، وما كنت لأشير اليها الاّ حُبّاً في انصافه كما أنصفَ هو بنظمه الشعرَ العربيّ، والبيئةَ المتحضّرةَ الراقيةَ التي غذّته بحبّ التسامي، وكما أنصفَ وطنَه الاصليَ الذي أنجبَ غيرَ واحدٍ من نوابغ شعراء العربية المجدّدين؛ وقد وسَمتْهم ربحُ الأرز الحرّةُ بحريّةِ الخيالِ والفكرِ والتعبير، فكان معظمهم صلة قوية بين محاسن الادبين الشرقي والغربي

رجال العلم والعمل

اسرة بركن الكيماوية

تبدو سنة ١٨٥٦ في تاريخ الصناعة العلمية علماً بين السنين . ففيها استنبط بسر اسلوبهُ المعروف باسمه لصنع الفولاذ متين البناء رخيص الثمن وفيها كذلك كشف وليم بركن وهو فتى في الثامنة عشرة عن اول صبغ من الاصباغ الصناعية المستخرجة من قطران الفحم الحجري

كان بركن حينئذٍ تلميذاً للاستاذ هوفمان الكيماوي في كلية العلم الملكية في لندن فاقترح الاستاذ على تلميذهِ ان يبحث عن طريقة تمكنهُ من استنطار الكينا — وهو من اثمن العقاقير الطبية — من قطران الفحم الحجري . فأخذ التلميذ باقتراح معلمهِ وهو لا يدري ان بين يديه مشكلة من اعقد المشاكل الكيماوية لم تحلَّ حتى يومنا هذا . على ان البحث عن « المستحيل » كثيراً ما ادى في تاريخ العلم الى مكتشفات في الطبقة الاولى غرابة وفائدة

في ذات ليلة كان بركن واقفاً في معمله عابساً مقطب الجبين لانهُ كان قد قضى يوماً آخر من غير ان يقترب الى ضالتهِ المنشودة . وكان يقلّب بين يديهِ كأساً في قعرها كتلة قذرة من زيت الانيلين وغيره من المواد الكيماوية التي تتخلف من قطران الفحم فخطر له اولاً ان يرمي بالكتلة حنقاً . وكأن يد القدر ثنتهُ عن عزمهِ فتوقف قليلاً ثم مدَّ يدهُ الى زجاجة تحوي الكحولاً سكب منها في الكأس حتى ذهبتها فلمع امام عينيهِ لون من ازهى الالوان وابدعها هو اللون البنفسجي اول الاصباغ الصناعية ورائد صناعة عظيمة ارتفع مقامها وتعددت فروعها حتى اصبحت ولها شأن في اعمال الحرب والسلم . وقف بركن هناك وهو لا يدري انهُ قد فتح الطريق الى ميدان فسيح من الاكتشاف الكيماوي وان من هذا القطران الاسود الكريه الرائحة الذي تتخلص فيهِ عصور طويلة من الانعام الحيولوجية في الغابات ستخرج ازهى الالوان وازكى العطور وافتك المتفجرات وانجع العقاقير وان على هذا القاية نفاية الفارات والعصور ستبنى صناعة واسعة النطاق بل صناعات كثيرة واسعة النطاق

كان والد بركن بناء وكان يتوخى ان يعلم ابنهُ هندسة البناء ليقتفي اثره . والواقع ان بركن الصغير صار بنّاءً فيما بعد ولكنهُ لم يبنِ دوراً صغيرة او قصوراً ناطحات السحاب بل بنى

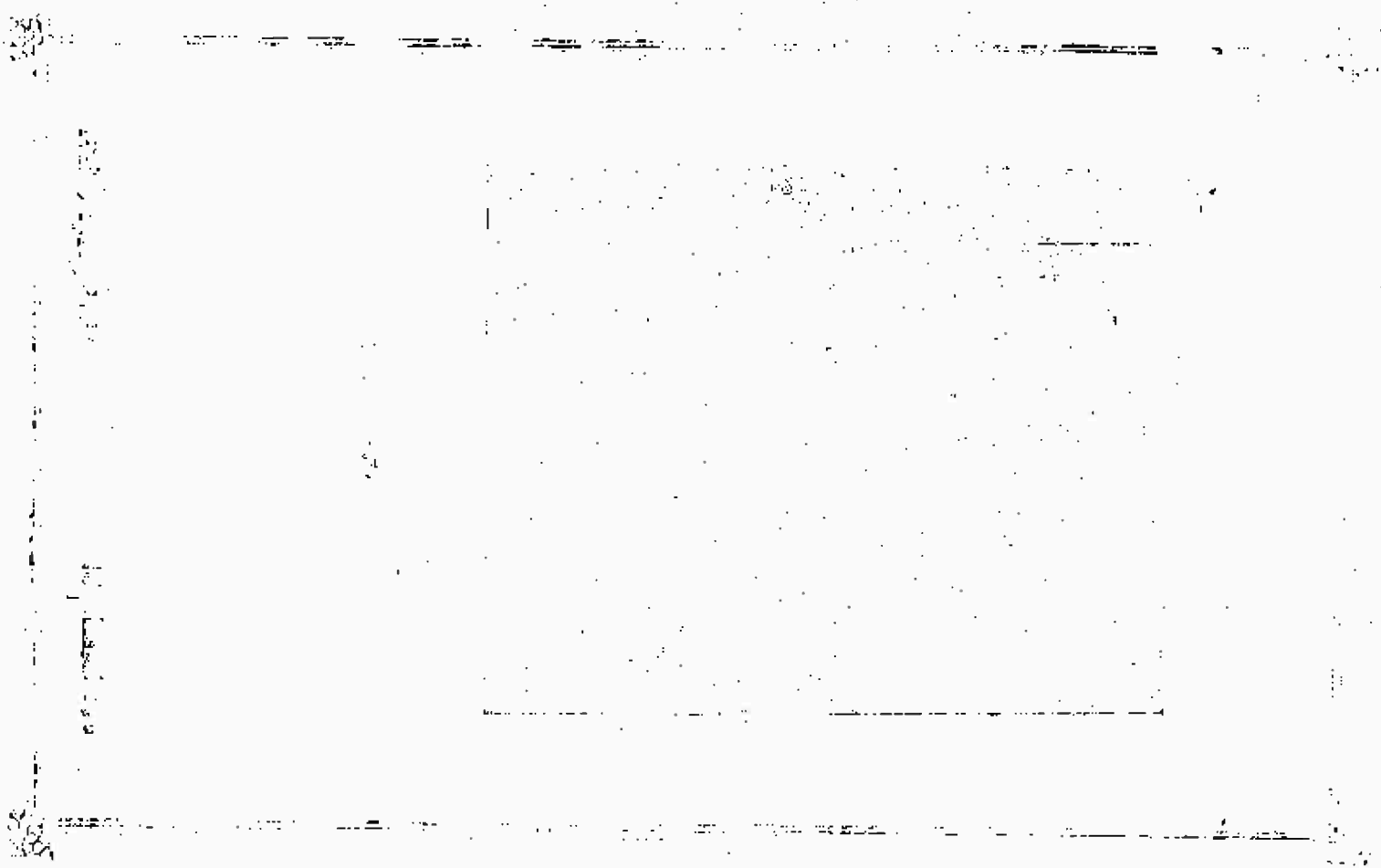

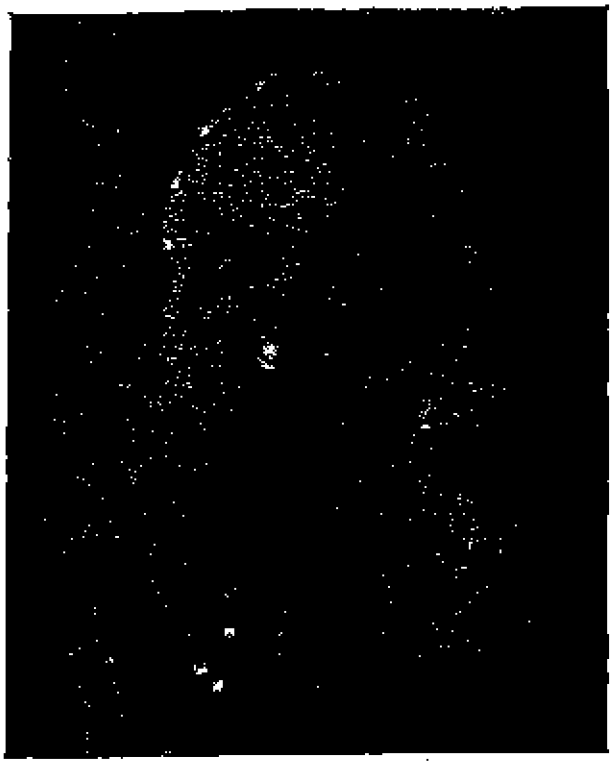

السر وليم بركن في شيخوخته
(١٨٣٨ — ١٩٠٦)

مقتطف ديسمبر ١٩٢٩ أمام الصفحة ٥٤٥

في ميدان الكيمياء العضوية ما يحسده عليه الباحثون اذ على اساس مكتشفاته بنيت مئات المعامل في المانيا وفرنسا وانكلترا واميركا بل ان بلدة الرفير الالمانية باسرها شيدت لتأوي اليها ويعمل فيها المشتغلون بتطبيق مكتشفاته المتعددة

***

كان الفتى بركن في الرابعة عشرة من عمره حين شاهد اتفاقاً تجارب كيماوية يجريها صديق له فأخذ بها وعزم في الحال ان يصير كيماويًّا. وانتظم في سلك «مدرسة مدينة لندن» حيث تتلمذ على الاستاذ توماس هول الذي درّسه مبادي العلوم فكان للاستاذ اكبر اثر في حياته لانهُ كان من اولئك المعلمين الذين يحببون الدرس الى التلميذ . ولا ننس ان «العلم» في ذلك الزمن لم يكن لهُ المقام الاول بين الدروس فبينت فترة الظهر للدرس الكيمياء في برنامج المدرسة اليومي . فكان الفتى بركن لشدة اعجابه بمعلمه وشغفه بالكيمياء ينسى طعام الغداء لكي لا يفوتهُ شيء مما يفوه به الاستاذ . وعلاوة على ذلك كان يعاون معلمهُ في اعداد المعدات للتجارب الكيماوية المختلفة

واقترح عليه الاستاذ هول ذات يوم ان يكتب الى فراداي وهو اعظم علماء الانجليز حينئذٍ ومدير المعهد الملكي طالباً منهُ تذكرة تمكنهُ من سماع المحاضرات التي يلقيها . فعطف فراداي على العالم الناشيء وارسل اليه التذكرة المطلوبة. وهكذا تمَّ لبركن مع فراداي ما تمَّ لفراداي مع السر همفري دايفي من قبل وكان غنم العلم والصناعة من ذلك لا يقدر بمال

وما زال بركن يستعطف اباهُ ويناقشهُ ويتوسل اليه حتى اقنعهُ بصواب رأيه في اتخاذ العمل العلمي دستوراً لهُ في الحياة . فانتظم في سلك كلية العلم الملكية بلندن تلميذاً في فرع الكيمياء . فكانت الصداقة التي احكمت اواصرها بين الاستاذ هوفان وتلميذه بركن جليلة العوْد على العلم والاستنباط . ذلك ان الاستاذ هوفان كان كيماويًّا عظيماً واستاذاً بارعاً ومحاضراً يستهوي القلوب فحُنّ به الطالب الفتى فطلب اليه ان يسمح لهُ بسماع المحاضرات الكيماوية التي يلقيها مرة ثانية. ولم تنقضِ عليه سنتان في كلية العلم حتى ملك ناصية الكيمياء العامة ودرس قواعد التحليل النوعي وكان من آثار نبوغه وتفوقه ان عهد اليه الاستاذ وهو لا يزال في السابعة عشرة من العمر ان يكون مساعداً لهُ . فحالت اعمالهُ كمساعد لاستاذه دون البحث العلمي البكر وهو ما وطّن النفس عليه منذ البدء ولكن ذلك لم يضعف عزيمتهُ فاقام في داره معملاً كيماويًّا صغيراً وجعل يقضي فيه لياليهُ وايام عطله المدرسية . في هذا المعمل الصغير في اثناء عطلة عيد الفصح كشف الفتى بركن — وهو في مطلع الثامنة عشرة من عمره — عن اول الاصباغ الصناعية الذي مرَّ ذكرهُ في صدر هذا المقال

سحر بجمال اللون وزهوه وللحال صرف نظره عن مسألة « الكيا » وعزم ان يستفرد مادة هذا اللون من الكتلة التي أمامه ويكشف عن طريقة صنعه . فغاز بضالته بعد ايام متعاقبة من الحيرة والقنوط . ومن الغريب ان اللون البنفسجي لو كان شيئاً حين كشف عنه بركن لما تمكن من العثور عليه اتفاقاً ولكن وجود مادة معدنية « تولويدين » جعلت حالته بالحلول سهلاً

ولما استفرد بركن صبغه بعث به الى أصحاب محل يسر الصباغين لتجربته فجاء الرد بعد ايام وفيه ما يأتي : اذا كان اكتشافك لا يجعل الصناعة المصبوغة به اغلى ثمناً فهو من اثمن الاشياء التي كشف عنها من زمن طويل . فكانت خطوته الاولى ان يطلب تسجيل اكتشافه فاعترضه القول بانه لا يزال دون السن القانوني وهذا يحول بينه وبين الفوز بامنيته فلجأ الى المتضلعين من رجال القانون فافتوا بجواز ذلك لان « البتنه » اي تسجيل المكتشفات والمستنبطات انما هي منحة من الملك لابناء رعيته ولا فرق عنده بينهم في السن

فلما سجل استنباطه عزم ان يخوض ميدان الصناعة ورغماً عن ارادة استاذه هوفمان ومشورته تخلى عن مباحثه الكيماوية في كلية العلم الملكية وجعل يفتش عن المال اللازم للقيام بمشروعه الصناعي . ولكن المتمولين الذين فاتحهم في الموضوع كانوا مرتابين في صحة العمل وامكان نجاحه . وقد كان هذا شأنهم في كل المكتشفات والمستنبطات في كل عصور التاريخ . على ان رجلين كانا يثقان ثقة عمياء بنبوغ الفتى بركن فاعطياه كل ما وفراه من مال — وهما ابوه واخوه الاكبر . فتأسس معمل « بركن وابنائه » بمال الوالد والولد الاكبر سنة ١٨٥٧ وجعل موضوع الترجمة مديراً فنياً له وهو في مطلع التاسعة عشرة من العمر

***

تم بناء المعمل في يونيو ١٨٥٧ ولكن اين الآلات التي تقوم بالعمل ؟ ولما كان العمل جديداً في ميدان الصناعة لم يكن في الامكان شراء الآلات التي تقوم به . فوجب على بركن ان يرسم تصميم الآلات التي يحتاج اليها ويعهد الى مصانع الآلات في صنعها حسب تعليماته . حينئذٍ ادرك ان عمله معرّض لمصاعب ادهى من مصاعب الاكتشاف نفسه . فلم يكن امامه مثال يحتذيه بل كان يجب عليه ان يبدع كل صغيرة وكبيرة في المعمل . وما ابدعه هذا الفتى اصبح بعد قليل مثالاً يحتذى في كل انحاء العالم

ولما تم تجهيز المعمل بالآلات الكافية بحث عن المادة اللازمة لتحضير الصبغ منها فلم يجدها . ذلك ان القطران الفحمي الحاصل من تقطير الفحم في تحضير الغاز كان يرمى لانه في رأي اصحاب الصناعة حينئذٍ كان نهاية لا فائدة منها وكانت مادة الانيلين التي يستخرج منها من النوادر . والانيلين هذا هو مصدر الالوان الزاهية التي كشف بركن

عن اولها. فبحث هو واخوه عن البنزين الذي يحضّر الانيلين منهُ ليستعملاهُ في تحضير الانيلين ثم في تحضير الصبغ البنفسجي فجرّا بعد شق النفس على مقدار طفيف منهُ في غلاسجو فابتاعا ربع الجالون منهُ بريال. وكان بنزيناً قذراً فاضطرا ان يعيدا تقطيرهُ

على ان العقبات كانت لا تزال واقفة لهُ بالمرصاد. لان اخراج الفكرة العلمية من حيّز القوة والنظر الى ميدان الصناعة والتجارة هو ما كان يطلب منهُ. وفي كل ذلك وجب عليهِ ان يكون الرائد في استنباط كل ما يلزم له من المواد والآلات. ذلك انهُ بعدما استجمع كل المعدات كانت خطوتهُ الاولى معالجة البنزين بالحامض النتريك. ولكن اين الحامض النتريك؟ الغاية واضحة والطريق ممهدة وينقصنا الحامض النتريك فلنصنعهُ من نترات الصودا الشيلية والحامض الكبريتيك. هذا ما قالهُ الاخوان واخذ صاحب الترجمة في الحال يبتدع المعدات لصنعهِ فكان الفوز في النهاية حليف نبوغ يحالفهُ جدٌّ وجرأةٌ واكتسابٌ

***

ولكن المصائب لا تأتي فرادى. فالصبغ امام الجمهور ومزيتهُ على الاصباغ النباتية ظاهرة واضحة ولكن الصباغين لا يستعملونهُ. فلنعلمهم ولنعوّدهم استعماله. وكان هذا الصبغ يبوخ متى صبغت بهِ الانسجة القطنية فاكبَّ بركن على البحث والتجربة حتى كشف عن المواد التي تثبتهُ ولم تنقضِ سنة اشهر حتى كان صبغهُ مستعملاً في اشهر مصابغ انكلترا. ومنها اتصل ببلدان اوربا فبنيت المصانع لصنعهِ في فرنسا والمانيا وزاد المطلوب منهُ من معمل بركن وابنائهِ حتى اضطروا ان يوسعوا معملهم مراراً في ثلاث سنوات. وكان اكتشاف الصبغ البنفسجي كان عود ثقاب في الهشيم فحمل جمهوراً من الباحثين على البحث الكيماوي في قطران الفحم الحجري واكتشاف المكتشفات فيهِ. وذاع اسم بركن حتى اصبح معروفاً في اوربا كاعظم ثقة في موضوع «الاصباغ» وفي سنة ١٨٦١ اذ كان في الثالثة والعشرين من عمرهِ دعي لالقاء محاضرة في الجمعية الكيماوية في موضوع «اصباغ القطران» ولشد ما كانت دهشتهُ وفرحهُ لما شاهد في جمهور الحاضرين العالم الانكليزي الممتاز فراداي الذي تقدم اليهِ بعد الخطبة واعرب لهُ عن تهنئتهِ لهُ. وسنة ١٨٦٦ انتخب رفيقاً في الجمعية الملكية

وفي سنة ١٨٦٨ اكتشف جرايب وليبرمن ان الاليزارين (الصبغ الاحمر) منحدر من منحدرات الانثراسين وهذا من منتجات القطران كالبنزين. ولكن طريقة تحضيرها لهُ في المعمل الكيماوي كانت كثيرة النفقة لا تصلح للاعمال التجارية فاكبَّ بركن على العمل لاستنباط طريقة تجارية ففاز بذلك في اقل من سنة وسجلّهُ في يونيو سنة ١٨٦٩

فكان هذا الاكتشاف آخر مسمار ضرب في النعش المعدّ لصناعة الصبغ الاحمر الطبيعي

المستخرج من جذر القوة . ولم يذع انياً بان پركن صنع هذا الصبغ الطبيعي بطريقة صناعية حتى انهالت عليه الطلبات فلم يستطع تلبيتها كلها . ومع ذلك لم يكتفِ بالبحث في موضوع الاصباغ الصناعية والتفوق فيه بل حوّل نظره الى استخراج العطور الصناعية الزكية الرائحة من قطران الفحم ففاز بذلك وكان اول من استخرج مادة «الكومارين» وهي احدى المواد الاساسية المستعملة الآن في تركيب العطور الصناعية

هذا النجاح التجاري العظيم وهذه الثروة التي كانت تدر عليه مبالغ من ماله لم تغرِه بالبقاء في ميدان الصناعة فباع معمله سنة ١٨٧٤ وانقطع للبحث العلمي المجرّد فأصبح من رواد العلماء في ميدان الكيمياء العضوية وكشف فيها عن مبادىء واصول خطيرة لا تحلّ للتبسط فيها الآن . وسنة ١٨٧٩ منح المدالية الملكية من الجمعية الملكية وسنة ١٨٨٩ منح مدالية دايفي وسنة ١٩٠٦ احتفل بانقضاء خمسين سنة على اكتشافه للصبغ البنفسجي بلندن ومنح وسام فارس ولقب سير . وكرمته اشهر الجمعيات الكيماوية في انحاء العالم فضُربت في نيويورك مدالية خاصة تعرف بمدالية پركن ومنحت له اولاً وهي تمنح كلّ سنة للكيماوي الاميركي الذي يؤدي اكبر خدمة لعلم الكيمياء . وتوفي في السنة التالية شيخاً قد شبع من الايام والمجد بعد ما خدم العمران خدمات لا تقوّم بمال

***

ولعلّ اعظمُ عمل قام به هو تنشئة اولاده الثلاثة الذي اصبحوا كلهم من اعلام البحث الكيماوي . وقد توفي احدهم في الشهر الفائت — بعد ما شغل كرسي استاذ الكيمياء في جامعات ادنبرج ومنشستر واكسفرد خمساً وثلاثين سنة متوالية فقال الأستاذ ارمسترنغ الكيماوي فيه ما خلاصتهُ :—

« ان وفاة وليم هنري پركن الصغير (نجل السر وليم پركن مكتشف اول اصباغ الانيلين) فاجعة فجع بها رجال العلم وكارثة اصيب بها علم الكيمياء . ان الخسارة لا تعوّض . لأن انجاب رجال من طبقته متعذر اليوم . ذهب وثمّ يتم عملهُ بعد فهو لم يزل في عنفوان قوته العقلية وابداعه العلمي . ان سيرتهُ العلمية خالية من الحوادث التي تلفت الانظار وماحثهُ ومكتشفاته ليست مما تتطلع به الصحف اعلاناً عن صاحبها . ولد في ١٧ يونيو سنة ١٨٦٠ فتعلم في مدرسة مدينة لندن اولاً ثم انتقل منها الى كلية العلم الملكية وهو في السابعة عشرة من عمره . وبعد لبث فيها سنتين ذهب الى المانيا فدرس في جامعة وسلسبورغ في فرتزبرج ثم بمنهد باير في مونيخ وبعد ما قضى خمس سنوات ينهل من مناهل العلم الالماني عاد الى وطنه فقضى سنة في كلية اون بمنشستر ثم عيّن استاذاً للكيمياء

في جامعة ادنبرج فظلَّ في منصبه هذا عشر سنين انتقل منهُ الى جامعة منشستر وفي سنة ١٩١٢ وقع عليه الاختيار ليشغل منصب استاذ الكيمياء في اكسفرد فبعث الحياة في دراسة الكيمياء فيها ببراعته في الاكتشاف والاستنباط. كانت الكيمياء في اكسفرد قبله ميتة فبعثها حيَّة وهي تكاد تفجر الآن من قوة الحياة تجري في عروقها

«انك لا تستطيع ان تفهم الولد الا اذا فهمت الوالد (السر وليم) فبركن الصغير اخذ علم الكيميا كما يأخذ البط في العوم. لقد كانت الكيمياء في دمه بل في عظامه. فأصبح الأستاذ وليم في شبابه ورجولته وكهولته من ابرع العلماء واخصبهم انتاجاً. حقاً ان اسرة بركن اسرة غريبة. فالوالد ونجلاه الأكبران ثالوث كيماوي منقطع النظير في تاريخ العلم. لقد اقتفيا آثار ابيهما فشغفا بالبحث العلمي حبَّاً به كأن الشعلة التي حملت اباهما على الانصراف من الصناعة الى العلم قد انتقلت اليهما. اما اخوهما الثالث وهو من زوجة السر وليم الثانية فمهندس كيماوي ولهُ مقام كبير كعلم وكاتب ومبدع»

ومن اهم مستنبطات الاستاذ بركن التي تهم الجمهور استنباطهُ لطريقة تمكنهُ من معالجة القطن حتى لا يقبل الاحتراق وطريقة لصنع المسك الصناعي. فاذا تمكن العلماء من استعمال طريقته الاخيرة والتوسع فيها حتى يخرج المسك الصناعي رخيصاً كالمسك الطبيعي كان عمل الاستاذ بركن في المقام الاول بين مستنبطات العصر

قال الاستاذ ارسترنج: «ومع ان مكانة الولد في ميدان الكيمياء والبحث الكيماوي تفوق مكانة الوالد نراه قد بخس حقهُ في وطنه وخارجهُ. ان القاب الشرف التي حازها ليست كثيرة. ومن قبيل الاعتراف بعلمه كان يجب ان ينال جائزة نوبل لاني ارى ان قلالاً من الكيماويين الذين فازوا بها يضاهونهُ في انتاجه العلمي براعة واثراً. ولكن عملهُ لم يكن من الاعمال التي تلفت الانظار ودعتهُ كانت تمنعهُ عن الاعلان عن نفسه. والظاهر ان اللجنة الاسوجية التي توزع هذه الجوائز لا ترى كيماويًّا انكليزيًّا جديراً بها. فلا السر وليم كروكس نالها ولا الاستاذ ديور. لقد قيل لي ان هؤلاء لم ينالوها لان مواطنيهم لم يقترحوا اسماءهم على اللجنة الاسوجية. فاذا كان هذا الشرط اساساً في منح جائزة نوبل وجب الاسراع الى الغائه. لان العلماء كسائر البشر يتحاسدون ومنح جائزة علمية في هذا المقام يجب ان يتم بروح علمية مجردة عن الهوى. اما الامر الذي يؤسف لهُ فهو ان الاستاذ بركن واخاه من غير عقب. كأن هناك عاملاً خفيًّا يحدث العقم بين العلماء. هذه مسألة يجب ان نميرها شأنها من العناية والانتباه لان اسرة كاسرة بركن اعطتنا ثلاثة كيماويين ممتازين في جيلين متعاقبين يجب ان لا يبيد نسلها من الارض»

تاريخ الغناء العربي

(٦) طويس

كانت الحلقة الخامسة من سلسلة « تاريخ الغناء العربي » خاتمة العصر الأموي وقبل البدء في تاريخ الغناء في العصر العباسي رأيت أن أترجم لأشهر المغنين الذين نبغوا فيهوا في عهد الأمويين ورأسهم طويس لفترة مما سلفت وعزمة صحت فصدقت

﴿مولده ونشأته﴾ ولد طويس يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول في السنة العاشرة الهجرية الموافقة سنة ٦٣٢ ميلادية . حدث طويس عن نفسه قال : إن أمي كانت تمشي بين نساء الأنصار بالنائم ثم ولدتني في الليلة التي مات فيها رسول الله وفطمتني في اليوم الذي مات فيه أبو بكر وبلغت الحلم في اليوم الذي قتل فيه عمر وتزوجت في اليوم الذي قتل فيه عثمان وولد لي في اليوم الذي قتل فيه علي فمن مثلي ؟ ! ! ولذلك ضربت العرب المثل به في الشؤم فقالت أشأم من طويس

والطاوس طائر معروف حسن المنظر وجماله في ريشه البهيج ذي الألوان الكثيرة البديعة وهو يختال بذنابه الطويل الحسن رواؤه . ويضرب بالطاوس المثل في الخيلاء وطويس مصغر طاوس بعد حذف الزيادات تصغير ترخيم وكان المغني قد لقب طاوساً بعد ولادته ولبث لقبه كذلك حتى كان يافعاً فلما تخت لقب طويساً تمليحاً واسمه عيسى بن عبدالله الذائب مولى بني مخزوم القرشيين وكان يكنى أبا عبد النعيم وهو أول من غنى في الإسلام بالمدينة ونقر بالدف المربع . وكان قد أخذ طرائق الغناء عن سبي فارس وذلك أن عمر رضي الله عنه كان صير لهم في كل شهر يومين يستريحون فيهما من المهن فكان طويس يتشاهم حتى فهم طرائقهم . وكان خليعاً يضحك كل ثكلى فن مجانته أنه كان يقول يأهل المدينة ما دمت بين أظهركم فتوقعوا خروج الدجال والدابة وإن مت فأنتم آمنون . وكان يظهر للناس ما فيه من الآفة غير محتشم منها ويتحدث بها . ولا غرو إذا ضربت العرب به المثل في ذلك فقالت أخنث من طويس . وكان طويلا أحول مضطرب الخلق !! ولما خصي مع سائر المخنثين في المدينة المنورة قال ما هذا الأخنان أعيد علينا وكان ذلك في عهد سليمان بن عبد الملك وكان والي المدينة من قبله ابن حزم وهو الذي أطاع أمره بخصائهم لما أفسدوا النساء على الرجال !! والرجال على النساء . روى أن جارية

لسليمان بن عبدالملك تدعى الدلفاء حضرته ذات ليلة بدريّة في معسكره وعليها حلي ومعصفر فسمع في الليل صفيره وغديه ومغنيه سنانا يقول

وغادة صمت صوتي فأرقها ... من آخر الليل لما ملّها السحر (١)
تدنو على فخذيها من معصفرة ... والحلي دان على لبّاتها خضر
لم يحجب الصوت أحراس ولا غلق ... قدمها بأعالي الجند ينحدر
في ليلة البدر ما يدري معاينها ... أوجهها عنده أبهى أم القمر
لو خليت لمشت نحوي على قدم ... تكاد من رقة المشي تنفطر

فسمعت الدلفاء صوت سنان فخرجت إلى وسط الفسطاط (الخيمة) تستمع فجعلت لا تسمع شيئاً من خلق ولطافة قدّ إلا الذي وافق المغنى ومن نعت الليل واستماع الصوت الا رأت ذلك كله في نفسها فحرّك ذلك ساكناً في قلبها فهملت عيناها وعلا نشيجها فانتبه سليمان من نومه فلم يجدها معه فخرج إلى صحن الفسطاط فرآها على تلك الحال فقال لها ما هذا يا دلفاء فقالت:

ألا ربّ صوت رائع من مشوّه ... قبيح المحيّا واضع الأب والجدّ
يروعك منه صوته ولعلّه ... إلى أمة يعزى مما وإلى عبد

فقال سليمان دعيني من هذا فوالله لقد خامر قلبك ما خامر. يا غلام علي بسنان فلما أتى به قال يا سنان ألم أنهك عن مثل هذا قال يا أمير المؤمنين حملني الثمل وأنا عبد أمير المؤمنين وغذيّ نعمته فإن رأى أمير المؤمنين ألاّ يضيع حظه من عبده فليفعل. فدعا حجّاماً ليخصيه فدخل إليه عمر ابن عبد العزيز وكلمه في أمره فقال اسكت ثم خصاه خشية الفتنة ودعا كاتبه فأمر أن يكتب من ساعته إلى عامله ابن حزم بالمدينة لما علم أن الغناء قد فشا فيها بإلّا الخنثين « أن احص الخنثين المغنين » فتشظى قلم الكاتب فوقعت نقطة على ذروة الخاء فكان ما كان مما تقدم ذكره. وكان سليمان يريد من احصائهم خصيهم كما فعل بسنان صفيره. وقد وهم الميداني إذ نسب الأبيات الفائتة إلى رجل يدعى صفيرا وفي الروايات اضطراب وقد أتينا على الخلاصة مع التحري وتمام السوق

﴿منزلته في الغناء﴾ طويس أول من غنى في الإسلام الغناء الفنّي الرقيق نقلاً عن الفرس — وأول من صنع الرمل والمخرّج في الإسلام وأجاد فيه حتى ضرب به المثل فقيل أهزج من طويس. وأول صوت غنى به (وكان في عهد عثمان بن عفان)

قد يرى الشوق حتى ... كدت من شوقي أذوب

وقد تخرّج عليه في الغناء كثير من تلاميذه المغنين اشهرهم ابن سُرَيج والدلال

(١) رواية الشعر للبحتري وقد رواه ابن عبد ربه والجاحظ بتغيير قليل في كلمة مع اطالة في القصة قال ثلث فارجع الى العقد الفريد والحماسي والاضداد وقوله خضر أي بارد وهذه حالة مستلذة عند العرب وفي الاصل خفر بالضاد وهو تحريف من النسخ او الطبع فتأمل

وتؤومة الضحا فأخذوا طرائق تلحينهم من طويس ثم أبدعوا فيها أيما إبداع

واجود صوت غناه ولحنه من خفيف الرمل قول ابن قيس الرقيات

يا لقومي قد أرقني الهموم فؤادي تنا يجنّ سقيم

أندبَ الحبُّ في فؤادي فتيه لوتراءى للناظرين كلوم[1]

وقد كانت لطويس منزلة عالية لدى الأمراء من الامويين والهاشميين خدمته الغناء وإتقانه الصنعة وحسن صوته وإجادة تلحينه ولسموه في اختيار الشعر الذي يتغنى به. يدلك على ذلك أنه لما ولي أبان بن عثمان بن عفان المدينة المنورة من قبل معاوية بن ابي سفيان قعد في مجلس عظيم واصطف له الناس فجاء طويس المغني وقد خضب يديه دماً!! واشتمل على دفّ له وعليه ملاءة مصقولة!! فسلّم ثم قال بأبي وأمي يا أبان الحمد لله الذي أراني أميراً على المدينة إني نذرت لله فيك نذرا إن رأيتك أن أخضب يدي دماً!! واشتمل على دفي وآتي مجلس إمارتك وأغنيك صوتاً فقال يا طويس ليس هذا موضع ذاك قال بأبي أنت وأمي يا بن الطيب أبجنّ قال هات يا طويس فحسر عن ذراعيه وألقى عن ردائه ومشى بين الساطين وغنى: بقول الملك ذي جدن الحيري

ما بال أهلك يا رباب خزرا كأنهم غضاب

فصفق أبان بيديه ثم قام عن مجلسه فاحتضنه وقبّل بين عينيه

وحدث المدائني قال كان (الأمير الهاشمي) عبد الله بن جعفر معه إخوان له في عشية من عشايا الربيع فراحت عليهم السماء بمطر جون فأسال كل شيء فقال عبدالله هل لكم في العقيق وهو منزه أهل المدينة في أيام الربيع والمطر فركبوا دوابهم ثم انتهوا اليه فوقفوا على شاطئه وهو يرمى بالزبد مثل مدّ الفرات فإنهم ينظرون إذ حاجت السماء فقال عبدالله لأصحابه ليس دونا جنة نستجنّ بها وهذه سماء خليقة أن تبل ثيابنا فهل لكم في منزل طويس فإنه قريب منا فنستكن فيه ويحدثنا ويضحكنا وطويس في النظارة يسمع كلام عبدالله بن جعفر فقال له عبد الرحمن بن حسان بن ثابت جعلت فداك وما تريد من طويس عليه غضب الله مخنث شاتن لمن عرفه فقال له عبدالله لا تقل ذلك فإنه مليح خفيف لنا فيه أنس فما استوفى طويس كلامهم تعجّل إلى منزله فقال لامرأته ويحك قد جاءنا عبدالله بن جعفر سيد الناس فما عندك فقالت تذبح هذا العناق[2] واختبز خبز أرقاقا فبادر فذبحها وسلخت هي ثم خرج تلقاء متبلاً إليه فقال له طويس بأبي انت وأمي هذا المطر فهل لك في المنزل تستكن فيه إلى أن تكف السماء قال اياك أريد قال فامض يا سيدي على بركة الله وجاء

(١) "تندب اي فيه ندباً وهو أثر الجرح والكلوم الجروح (٢) الانثى من ولد المعز منه دون سنة

يمشي بين يديه حتى نزلوا ولما غسلوا أيديهم من طعامه قال بأبي أنت وأمي أتمشى معك وأغنيك قال افعل يا طويس فأخذ ملحفة فاتزر بها وأرخى لها ذنبين ثم أخذ الدف المربع فتمشى وأنشأ يغني يا خليلي ثابتي سهدي لم تنم عيني ولم تكد

كيف تنحوني على رجل مؤنس تلتذه كبدي

مثل ضوء البدر طلعته ليس بالزميلة النكد

من بني آل المغيرة لا خامل نكس ولا جحد

لفظرت عيني فلا لفظرت بعده عيني الى أحد

فطرب القوم وقالوا أحسنت يا طويس ثم قال يا سيدي أتدري لمن هذا الشعر قال لا والله ما أدري لمن هو الا أني سمعت شعراً حسناً قال هو لفارعة (وقيل لخولة) بنت ثابت أخت حسان بن ثابت وهي تعشق عمارة بن الوليد بن المغيرة [1] وتقول الشعر فيه فتكس القوم رؤوسهم وضرب عبد الرحمن بن ثابت برأسه فلو شقت الأرض له لدخل فيها خالداً

وكان طويس مولعاً بالغناء بالشعر الذي قاله العرب من الأوس والخزرج سكان المدينة في حروبهم متضادين يريد بذلك إثارة العداوة والبغضاء بين القبيلتين في الاسلام كما كانتا في الجاهلية فقل مجلس اجتمع فيه هذان الحيان فغنى فيه طويس الا وقع فيه شر فنهى عن ذلك فقال والله لاتركت الغناء بشعر الأنصار حتى يوسدوني التراب [2]

وغنى طويس بحضرة جميلة المغنية الشهيرة في وهط من المغنين فاستحسنته قال :

قد طال ليلي وعاد لي طربي من حب خود كريمة الحسب

غراء مثل الهلال آنسة أو مثل تمثال صورة الذهب

صادت فؤادي بجيد مغزلة ترعى رياضا ملتفة العشب

وغنى طويس بأبيات عاتكة بنت زيد التي ورثت بها الفاروق وكان زوجها ومات عنها — قالت

منع الرقاد فعاد عينيَ عوّد مما تضمن قلبي المعمود

يا ليلة حسبت على نجومها فسهرتها والشاشون هجود

قد كان يسهرني حذارك مرة فاليوم حق لعيني التسهيد

أبكي أمير المؤمنين ودونه للزائرين صفائح وصعيد

﴿ موته ﴾ مات طويس في خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حوالي سنة مائة هجرية على أصح الروايات وعمره زهاء تسعين سنة ودفن في المدينة المنورة رحمة الله عليه

عبد الرحيم محمود مدرس في المعيدية الثانوية

(١) الاغاني ج٢ ص ١٧٠ طبعة الساسي (٢) وقيل عبد الرحمن بن الحرث بن هشام المخزومي

حلقة جديدة بين مصر وسوريا

المكتشفات الاثرية الجديدة في شمال سورية

للمسيو شيفر مكتشفها

(نقلاً عن مجلة اخبار لندن المصورة)

كنت في سراي اللاذقية عاصمة دولة العلويين بشمال سورية فسمعت قصة هي اقرب القصص الى الخرافات. ذلك ان قبطاناً انكليزيًّا كان راسياً بسفينته في مرفإ اللاذقية فدعا وكيل شركته فيها الى مرافقته في مركب الى الاسكندرونة. ولما صارا على عشرة اميال من اللاذقية نبّه القبطانُ رفيقهُ الى فرضة تحيط بها صخور بيضاء الى يمينهم. وعلى مقربة من هذه الفرضة التي تصحُّ ان تكون مرفأً طبيعيًّا مع انها مهجورة الآن، شاهدا اكاماً صغيرة فقال القبطان ان جدَّهُ الذي كان بحّاراً مثلهُ اشار عليه بالنقب فيها متى تسنّى لهُ ذلك. ثم قال: «لا بدَّ ان نجد هنالك اشياء ثمينة مطمورة في هذه الاكام!»

ولما كنتُ ابتاع بعض ما احتاج اليه في أسواق اللاذقية كان قد سرى بين جمهور الاهالي ان اثريًّا فرنسيًّا ينوي ان ينقب في «الميناء البيضاء[1]». فقال لي بعضهم وهم لا يدرون حقيقة حالي ان بعض الوطنيين القاطنين في جوار الفرضة المذكورة وجدوا قطعاً ذهبية قديمة

وحدث ما يؤيد هذه الاقوال في مارس سنة ١٩٢٨ ذلك ان علويًّا كان يحفر في حقله على مقربة من الفرضة المذكورة عثر على لوح حجري رفعهُ فانكشف امامهُ سرداب يؤدي الى غرفة مربعة مستطيلة مسقوفة سقفاً منقوشاً ومزخرفاً فلما افرغ الغرفة عثر فيها على بعض آثار ذهبية ولكنهُ اخفاها عن الناس ولعلهُ باعها بعدئذ فيما يباع من الآثار القديمة

واتصل نبأ هذا الاكتشاف بالمسيو شوفنر حاكم دولة العلويين الحالي فذهب الى البقعة التي كشف فيها عن السرداب والغرفة المذكورين وكتب في الحال الى المسيو فيرلّو مدير الآثار ببيروت. فبعثت ادارة الآثار السورية بعض رجالها فعاينوا المكان وبحثوا فيه فلم يجدوا الا بعض آنية خزفية لعلَّ صاحبنا الفلاح لم يعرف قيمتها فتركها في مكانها. ولكن المسيو ديسّو من علماء المعهد الفرنسي يرى ان تاريخ هذه الآنية يرجع الى القرن الثالث

---

(١) (المقطف) للميناء بعد في المعجم مرسى السفن وذكر. وقد ابقينا على اللفظ المصور مع صفة التأنيث لان هذا هو الاسم السائر على السنة العامة هنالك

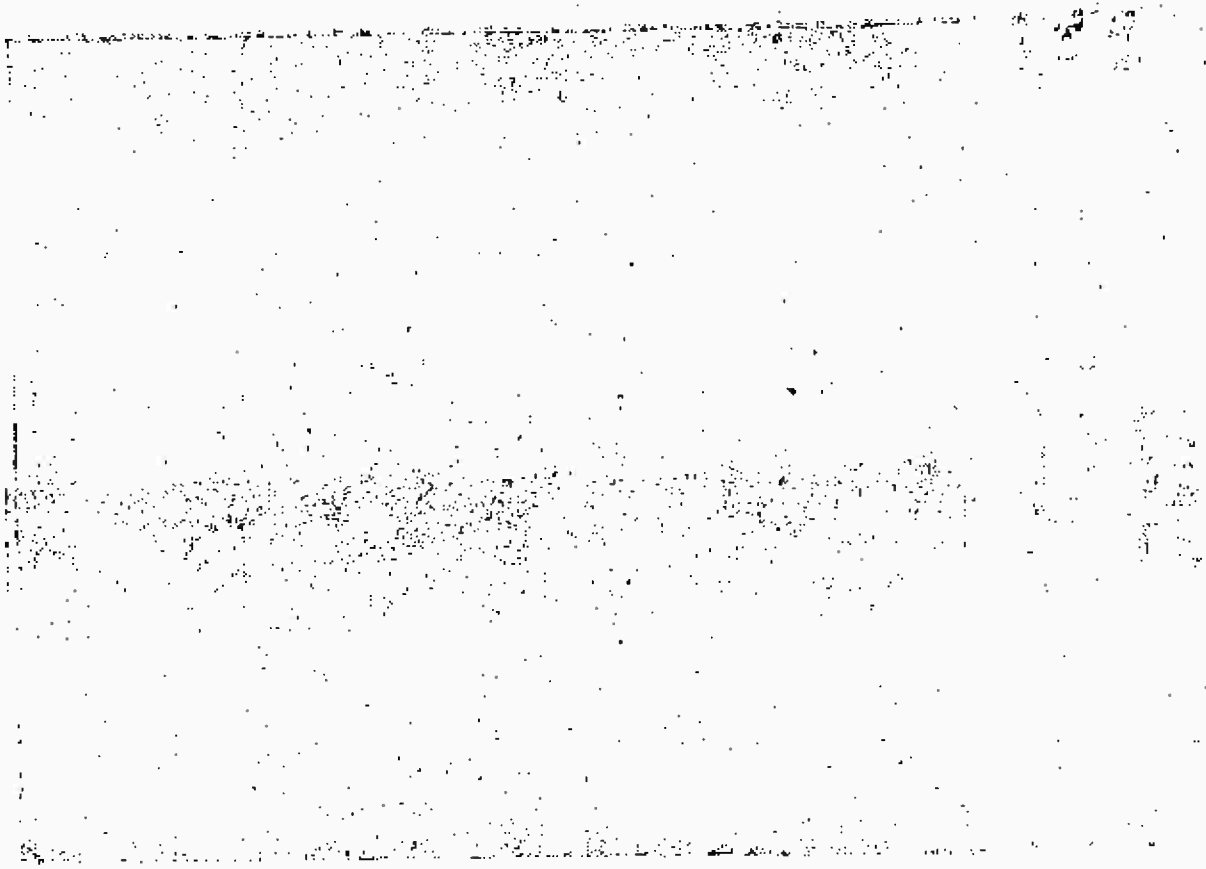

ابدع قطعة من العاج المصري القديم كشف عنها حتى الآن في مدافن « تل العمارنة » منقوشة نقشاً بارزاً تمثل الالهة « اخسب » وهي عارية الصدر ولكنها لابسة على رأسها تاجاً ومرتدية رداء يغطيها من وسطها الى اسفل قدميها وعلى جانبيها ثعبان واقفان على ارجلهما الخلفية يأكلان من سنابل القمح في يديها

مقتطف دسمبر ١٩٢٩ امام صفحة ٥٥٥

عشر قبل المسيح وانها قبرصية او ميسينية في اصلها . على ان هندسة هذا المدفن وعمارته ذكرتا الباحثين بهندسة المدافن الملكية في كنوسس بكريت التي كشف عنها السر ارثر اڤانس

***

لم يجز الباحثون الاثريون الى اوائل السنة الماضية على آثار من هذا القبيل على الشواطئ السورية. اما المسيو دينو فلا تخامره خلجة ريب في ان « الميناء البيضاء » كان مرفأ قديماً تقيم فيه جالية قبرصية كريتية كانت تتجر بالبضائع المستوردة من كريت وقبرص ومصر مع بلدان ما بين النهرين

والواقع ان هذا الميناء في مركزه على الشاطىء السوري يواجه طرف قبرص الشمالي الأقصى وهو مركز تتفرع منه الطرق والمسالك الى داخلية البلاد. والمرجّح ان النحاس من منتجات قبرص الذي كان يستعمل حينئذٍ في صنع الأسلحة الحربية بدلاً من الحديد كان من اهم مواد التجارة في ذلك العصر. وتلبية لاقتراح المسيو ديمونت المعهد الافرنسي بناً الى هذه البقعة غرضه البحث عن البلدة القديمة التي كانت قائمة هناك ومرافئها ومدافنها وعهد الى كاتب هذه السطور بادارته والاشراف على اعماله. فاخترت لمعاونتي المسيو شنه الاركيولوجي الأرجواني

وصلنا « الميناء البيضاء » في آخر مارس سنة ١٩٢٩ ومعنا قافلة مؤلفة من سبعة جمال وبضعة حمير وخيل حاملة امتعتنا . وشرعنا في النقب بعد نصب مضاربنا وتدبير امور معيشتنا على اننا قضينا الاسبوع الاول نسبر الأرض ونحفر فيها قليلاً هنا وهناك ثم بدأنا ننقب فيها حسبناه مركز مدافن المدينة فأسفر حفرنا عن العثور على كنز حافل بالآثار القديمة. ففي بقعة لا تزيد مساحتها على ٣٠٠٠ متر مربّع تبعد نحو ١٥٠ متراً عن البحر عثرنا اولاً على ثمانين كسرة من الآثار التي كانت تدفن مع الأموات بينها آنية خزفية من صنع اهل البلد نفسها وآنية اخرى قبرصية وميسينية وبعض حجارة صغيرة منها ما كان وزنه وزن المينا المصرية تماماً اي ٤٣٧ غراماً وبعض غرام . وفي اماكن اخرى عثرنا على ألواح حجرية كبيرة واحجار مستديرة منقوبة في وسطها كانها حجارة الرحى وأخرى مكبة وأخرى تمثل عضو الذكر للتناسل [1] . اما العظام التي عثر عليها فكانت كلها عظام حيوانات ، ولم يوجد بينها عظام بشر على الاطلاق

وفي وسط هذه البقعة وعند اسفل جدار لا يزيد علوه على نصف متر عثرنا على طائفة من التماثيل الصغيرة والجواهر كلها ذات قيمة فنية وتاريخية عظيمة . وأول اثر عثرنا عليه ومهّد لنا سبيل العثور على الآثار الأخرى كان تمثالاً صغيراً من البرونز لباشق

(١) كانت هذه الانصاب تعبد في الامم القديمة من قبيل الاحترام لقوة اخلاف النسل وحفظه

جاثم وعلى رأسه تاج مصر العليا والسفلى كأنهُ الاله هورس . وكان هذا التمثال ملقى بين بقايا وعاء خشبي محطم وكسر كأس فيرصية جميلة. وعلى مقربة من هذا الباشق وجدنا تمثالاً آخر مصفح بالذهب هو درّة من درر الصناع الأقدمين . والظاهر ان روح الأسلوب الفني فيهما مصرية ولكن صانعهُ مع تأثره بالروح المصرية جرى على طريقة خاصة به في التمثيل والنقش . لأنك لا تعثر في الآثار المصرية على تمثال باشق قابض بمخليبه على الأفعى (الكوبرا الافريقية) كما هي الحال في باشق « الميناء البيضاء »

وعلى بعد نصف متر وجدنا تمثالاً صغيراً لاله جالس . اذا نظرت الى رأسه من الجانب حسبتهُ مصريًّا وكانت العينان منزلتين في الميناء والفضة . وقربهُ وجدنا تمثالاً صغيراً لاله واقف علوهُ ٢٢ سنتمتراً كأنهُ يتحفز للمشي . وكان على رأسه غطاء مصفح بالذهب يماثل بعض ما كان يلبسهُ الفراعنة وملوك الحثيين . وعلى وجهه خوذة من ذهب خالص . أما جسم التمثال فمصفح بالفضة وعلى ساعده الايمن سوار ذهبي . وهذا التمثال هو ولا شك ابدع مثال للاله الفينيقي رشف . وقربهُ وجدت حلية ذهبية نقش عليها نقشاً بارزاً تمثال الالاهة عشتاروت الجميلة واقفة وماسكة زهرة لوتس بكل من يديها . وفي التراب حوالي هذه التماثيل ،وجدت خرزات عقيق تمثل حب الزيتون في حجر العقيق واسطوانات من حجر الكوارتز وردية اللون وثمار الاجاص في حجم عين الهرّ

وعلى عشرين متراً الى جنوب هذا الكنز كشفنا عن غرفة تحت الارض يرجح انها كانت مدفناً ولكن بناءها لم يكن قد تمّ فوجدناها فارغة . وتحت الحجارة التي امام المدخل الى هذا المدفن وجدنا مقبرة جديدة كاملة فيها ممرّ يفضي الى المدفن نفسه وهو مسقوف بسقف منقوش ومزخرف . وعثرنا في الممرّ على آنية مزخرفة ومدهونة وعلى مصابيح وقنائل تركت مضيئة لان دخانها سوّد الجدار وراءها وفوقها . ووجدنا كذلك وعاء سليماً لهُ مقبضان من الالابستر المصري . وأمام المدفن كانت جمجمة فتى ولعلهُ خادم قتل امام مدفن سيده

ولما دخلنا المدفن نفسهُ ظهر لنا انهُ نبش وسرق من زمن بعيد . والظاهر ان السارقين كانوا عارفين بطريقة بنائه فزحزحوا احدى حجارة القفل في سقفه ودخلوا من الثغرة التي احدثوها . فجردوا الهياكل من حليها ورموا بالعظام في زاوية الحجرة . والمرجح ان اربعة جثث كانت مدفونة هناك ولكن لم يعثر على ناووس ما . اما الادوات والمفروشات التي دفنت مع الجثث فكانت آنية في الثروة والبهاء كما يستدل مما بقي منها — خرزات ذهبية واحجار كريمة وآنية من الخزف عليها تصاوير فيرصية وميسينية وكؤوس زجاجية وأوعية مصرية من الالابستر ووجدنا كذلك خاتماً ذهبيًّا واسطوانة من حجر الصرف (الحمّاهان)

... روزيه ... الكتابة
... زوبة الموصوفة في المقالة
مقتطف ديسمبر ١٩٢٣

... ثال ... عليه الاله ... يحدق ... رشف
وهو متحفز للهجوم وعلى ذراعه سوار

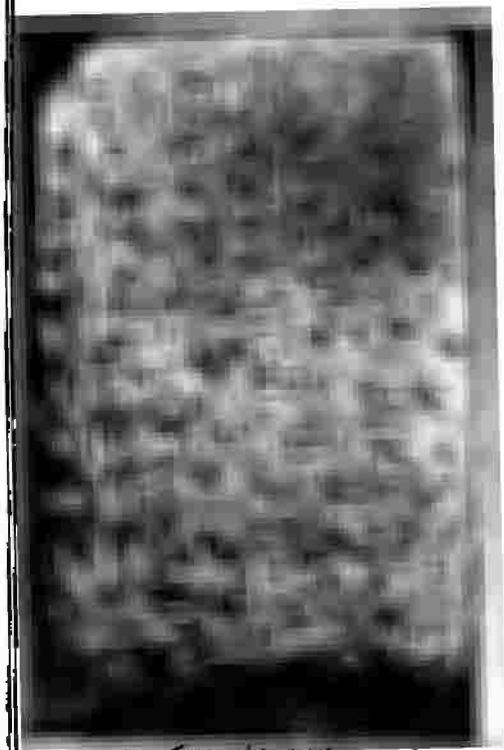

لوح من الالواح الخزفية الكثيرة
المتقوبة بالكتابة المسمارية الاتجدية
امام الملك ٥٥٢

(١) الباشق البرونزي وعلى رأسه تاج مزدوج كما وجد (٢) الباشق نفسهُ بعد تنظيفهِ في متحف اللوفر (٣) باشق مصفح بالذهب مصنوع على الاسلوب المصري ومكانهُ يختلف بقبضهِ على رأس الكوبرا (٤) الباشق نفسهُ من الوراء

واهم من كل هذا علة من العاج عُثر عليها سليمة وقد نقش عليه صورة الاهة مكشوفة الصدر لابسة رداء يغطي جسمها من وسطها الى اسفل قدميها جالسة بين تيسين واقفين على ارجلهما الخلفية وهذا النقش يمثل رتبة راقية من الفن بجماله وحسن اتساقه . اما الالاهة فشبيهة بالالهات الحسب الميسينية والكريتية في تيرنس وكنوسس في القرن الثالث عشر قبل الميلاد. واما العاج فمن اغنى اصناف العاج التي اكتشفت الينا من الازمنة القديمة . وقد جعلت هذه التحفة في مكان الشرف بين الآثار الشرقية بمتحف اللوفر

ان مدافن « الينا البيضاء » بما وجد فيها من الآثار النفيسة فنًّا وتاريخاً تشبه المدافن الملكية التي عُثر عليها في ازوبانا وزافرباپورا بجزيرة كريت . ومما لا ريب فيه ان مدافن «الينا البيضاء» كانت تحتوي على جثث اسرة من الامراء لم تعرف قبل الآن في شمال سورية. لذلك اتجهت انظارنا بعد وجود ما وجدنا الى البحث عن القصر والمدافن الملكية هناك

***

على الف متر من الشاطئ تقوم اكمة علوها ٢٠ متراً وطولها الف متر وسمتها ٥٠٠ متر تُدعى «رأس الشمرا» فانتقلنا بمعداتنا اليها واخترت ذروة الاكمة المتجهة الى البحر للشروع في الحفر حاسباً ان آثار القصر الملكي يجب ان تكون هناك . فما ازلنا الا قريباً عثرنا على اُسس محكمة البناء وجدنا فيها حجراً برونزيًّا وبقايا تماثيل من الجرانيت لاحد الفراعنة وانصاباً مصرية عليها كتابة هيروغليفية من الكتابة الخاصة بمصر الامبراطورية الجديدة . واحدها مقدم الى الاله ست . فمكنتنا هذه المكتشفات من تعيين تاريخ القصر في الالف الثانية قبل المسيح واستدللنا على ان الملوك القاطنين فيه كانوا اصدقاء للمصريين او حلفاءهم . وقد لا يمضي زمن طويل قبلما تتمكن من معرفة دقائق العلاقات السياسية بين البلادين في ذلك العصر لاننا عثرنا على طائفة كبيرة من الالواح اخرج عليها كتابة مسمارية . وبين هذه الالواح رسائل شديدة الشبه برسائل تل الامارنة التي تحتوي على وصف العلاقات السياسية بين ملوك سورية وفراعنة الدولة الثامنة عشرة

ومما يجعل هذا الاكتشاف ذا شأن تاريخي خطير ان الكتابة المسمارية تختلف عن كتابة ما بين النهرين والظاهر ان لها انجدية لاننا لم نعثر الا على ٢٦ اشارة مستعملة على هذه الالواح وقد اخذ المسيو فيرلو مدير الآثار ببيروت يدرس هذه الالواح محاولاً قراءتها

ووجدنا قرب هذه الالواح مجموعة منحوتة تحتوي على ٧٤ قطعة برنزية من الاسلحة والادوات محفوظة حفظاً تامًّا بينها سيوف وخناجر ورماح وفؤوس وفروش ومقصات ومناجل وسهام . وبعض هذه الادوات منقوشة بالكتابة المسمارية المشار اليها

—١٢—

من بروكسل الى ميادين الحرب الكبرى

اتينا عاصمة البلجيك من باريز في قطار يسمونهُ القطار الأزرق وكانت قد مرت بنا أيام وأسابيع وليس لنا من مطية الا سيارتنا ميمونة الطالع فآنسنا القطار بعد طول وحشة وخفرنا لهُ دخانه الكثيف ذا الرائحة الكريهة لقاء المقاعد الوثيرة يمدّ احدنا رجليه عليها — في غير ايطاليا — ويتمطى ساعة ويقف اخرى غير مقيد بمجلسه كما في السيارة

وطرأ على خاطر صاحبنا المصري فكر ثاقب قال : لماذا لا يجعلون دخان القطار يتسرب الى الهواء من آخر عربة من العربات بدلاً من ان يتطاير من القاطرة في الأمام فيعمي الركاب ويسدُّ عليهم المنافس ويلقي على اثوابهم وامتعتهم طبقة من الاقذار . وليس يعيد على همة المهندسين ان يبنوا انابيب تتصل بالعربات حتى الأخيرة منها فينطلق بها الى الفضاء . فاذا احد الرفاق يترُّ لهُ بالبقرية وهزأ منهُ البائون

وصلنا بروكسل في الطفل وسحاب سمائها قد غال ضوء نهارها وأخذ يصب على المدينة مطراً كأنهُ ماء القرب فهرولنا مسرعين الى فندق رحب فخم كأنهُ قصر رجل اغتنهُ حوادث الدهر بعد امعانها في افقار اجداده فأصبح كاملاً تامًّا مستوعباً كلَّ ما يطلقون عليهِ احدث اساليب الراحة العصرية

وما راع صديقنا الانكليزي الاَّ هؤلاء الناس الواقفين على خدمتنا فاذا تحرَّك ليركب الرافعة بادره الخادم بقوله (اذا شئت) او نزل منها اعادها عليهِ (اذا شئت) او قدم لهُ الدق الطعام كرروها (اذا شئت) او تاول الطعام او ابى وهكذا حتى ضاق صدره وصرخ ما لهذا اللطف الزائد؟ ايقلقون راحتنا بهذا التأدب المصطنع ؟ ان خيراً منهُ السكوت ! ثم فهمنا بعد ان اقمنا اياماً في بروكسل انها عادة متبعة

ولما كان صباح اليوم التالي خرجنا نتمتع انظارنا ببروكسل — والبلد لا بأس بجماله فقد كان عاهلهم المتوفي والد الملك الحالي قد آلى على نفسهِ ليحسنَنَّ فيهِ عساه ان يجعل

شهُ باريزاً صغيرة تنبيه عن رحلاته المتابعة الى باريز الاصلية. وقد وفّق ايما توفيق في المظاهر الخارجية . فطرق العاصمة مستقيمة واسعة وفيها آيات للفن ومتاحف لا بأس بها

اما في ما سوى ذلك فخانهُ الخط فانك لا ترى في بروكسل نساء جميلات خفيفات الروح ولا ترى في اهلها ذلك الذوق الذي يسيك ما يحيك حولك القوم في باريز لاصطياد نقودك

وربما كان البناء الذي اقاموه قوساً للنصر احتفالاً بانقضاء خمسين عاماً على استقلالهم من خير ما في بروكسل . اما قصر ملكهم فعادي لا يستوقف النظر . انما احتضنوا دار العدل عندهم بأحسن المواقع وبأفخم الأبنية

محاكمهم ومحاكمنا

فترى محكمتهم قد اشرفت من قصر عظيم على كل البلد وأمامها ساحة واسعة لا يدركها الطرف

فانكش صديقنا المصري ودخلت اعضاء جسمه بعضها في البعض الآخر . ذلك انهُ عاد بذاكرته الى دور المحاكم في بلاده فأخذ يقابل هذه بتلك فالمحاكم المصرية دون محاكم العالم ذات دخل يفوق النفقة فلماذا لا تنفق الحكومة ما يزيد في ميزانية هذه المحاكم على تحسين دورها ؟ ان مظاهر العظمة لمن اكبر البواعث على انهاض النفس واحلال العزة القومية محل الاستكانة وعدم الاكتراث

وانك لتدور حول العالم فترى محاكم الناس قصوراً يزينها الفن وتكسوها النظافة ثوباً قشيباً. اما في مصر فعند ما خطر للقوم ان يشيدوا بناء للمحكمة العليا زجّوه في اضيق الاسواق واقذرها بحجة تقريبها من العامة ولكن الحقيقة ان الاجنبي الذي امر ببنائها لم يكن يدرك ما للمباني الفخمة من الاثر الباقي في تكوين العزة القومية

على انهُ ان كان الذنب ذنبهُ وهو غريب عن البلد فما عذر الحكومات الوطنية في الاحجام عن اصلاح ما افسد الاجنبي . وما بال هذه المحاكم الجزئية مبعثرة في انحاء البلد ضيقة قذرة لا تتسع للمحامين ولا لقضاة تاهيك بالمتقاضين حتى ليخيّل الى الاجنبي الذي يأتي العاصمة متفرجاً فيقوده القدر الى المرور بواحدة منها انهُ ازاء جمع احتشد للتسول امام سوق قديمة تباع فيها الاشياء القديمة

والغريب في امر الحكومات الوطنية انها انفقت عن سعة على بناء محكمة مختلطة وهي تترك المحاكم الاهلية على ما تقدم من الوصف على حين تطمع في مدّ اختصاصها الى جميع سكان مصر

***

جالت هذه الخواطر في فكر صاحبنا المصري وبدا التألم على وجهه. ذلك لانهُ كتم الامر

في سره فهو ان ملح نضح بلده ونفسهُ وكان اشد المه من تغاضي اولي الشأن في بلاده عن هذه الامور السهلة الواضحة

فولى وجههُ شطر الناحية من المرتفع الذي يشرف على اسفل المدينة حتى اذا انتهى الصحب من الدوران حول قصر العدل البلجيكي عادوا ادراجهم فزاروا كاتدرائية البلد ثم متحفها العسكري وهو متحف متواضع يدلك على حداثة عهد البلجيكي في الامور العسكرية ترى في صدر رَدَهة من رَدَهاته صورة جميلة منقنة الصنع تمثل نابوليون على جواده فتقول ان القوم لا يزالون يذكرون ايامًا كانوا فيها جزءًا من الامبراطورية الافرنسية ثم تلتفت الى اليمين فاذا صورة مثلها لو لتجتون تدرك انك في بلد محايد

وهذا الحياد الذي اصطنعت به البلجيك حتى صلح فرسايل لبسها ثوباً لا يكاد يعرف له لون تراه ظاهراً في اخلاقهم وفي فنونهم وفي تجارتهم

على انك لو اردت ان تختارصفة في البلجيك تمتاز بها عما سواها لكانت «العمل»

فحب العمل ظاهرة بلجيكية لاشك في الامر. حتى انهم اقاموا للعمل تماثيل نصبت في الميادين العامة وهذا امر لم يشاهده صاحبنا المصري في بلد آخر على ما يذكر

وحبُّ العمل حملك برقابهم بمنهم من اللهو والترف ويقذف بهم وباموالهم الى ما بعُد وقرُب من بلاد الله حتى اصبحت هذه الامة النشيطة من اغنى امم العالم على قلة عدد اهلها

***

وعدنا الى السيارة . ذلك ان الغرض من القدوم الى البلجيك لم يكن لمشاهدة الطبيعة فان الصناعة لم تترك في البلاد مشهداً طبيعيًا يستأهل الرؤيا ولم يكن لمشاهدة المدن البلجيكية فكلها اذا استثنيت غاند وبروج خالية من آيات الفن القديم الا في بروكسل فقد اختلط حديثها التجاري ببعض آثارها القديمة كقصر الدوقات فرحمه وكاد يذهب بجماله

انما كان الغرض زيارة مواقع الحرب ومعاينة تلك الآثار التي ابقوا عليها حتى يتركوا للزائر صورة صحيحة من سنوات ١٩١٤ الى ١٩١٨ فخرجنا من بروكسل في الصباح مبكرين فوصلنا اوستند حوالي الظهر . واوستند جميلة الجمال كله . جلست الى البحر واوسعت له صدرها فعانقها وكادت يداه تمتدان فتهصران خصرها

وهذا المتنزَّهُ المقام على الشاطىء لا تجد له مثيلا في العالم قاطبة ثم الرمال ثم الصخور ثم الطرق الممهدة لا تبرح يد الانسان تحسنها وفوق ذلك قصور هي فنادق اوستند جمعت ما شاء الترف وما شاء حب الاستمتاع ان تجمع . وزينتها هذا الكازينو القائم في الوسط كأنهُ سلطان تحيط به الجنود الامناء

وكان اول اثر شاهدناه من آثار الحرب قنطرة كبيراً ذا ادوار عديدة اصابتهُ قنبلة من قنابل الاسطول الانكليزي فخرقتهُ من وسطه من الاعلى الى الاسفل وابقت كل ما عدا ذلك كما هو فابقاه القوم ذكرى وشاهداً للفن الاثمى تخطئهُ القنابل الحرماء

اما ما عدا ذلك في داخل اوستند فقد اعيد سيرتهُ الأولى ابنية جديدة ذات رواء وروعة حسن. اما تخريب اوستند — اي الجزء الداخلي منها — فكان كلهُ من فعل الاسطول الانكليزي حتى يدفع الجيش الالماني عن الوصول الى الشاطيء

ميادين الحرب

وبعد ان تغدينا في اوستند همنا بالسيارة نزور مواقع الحرب في طريقنا راجعين الى بروكسل واستأجرنا دليلاً يرطن باللغات كلها ولا يحسن واحدة منها على ان يكون مترجماً يترجم لنا ما تقع عليه اعيننا فررنا بديكوود وانفرس والاير وما الى ذلك من المواضع التي اشتهرت اسماؤها في الحرب

اما صاحبنا المصري فما راعهُ الا رؤيا الخنادق الحربية والقلاع التي كان يردد ذكرها في التلغرافات الحربية ولم يكن يدرك لها صورة حقيقية من الواقع. قلعة لا تقل اكثر من ٣٠ او ٤٠ متراً من الارض قليلة الارتفاع قد امتزج الحجر بالحديد في جدرانها وامتدت الى كل نواحيها اسلاكٌ بعضها للتلفون وبعضها للاشارة وبعضها لتفجير القنابل وفي ارضها حجرات لا تكاد تتسع الواحدة منها لرجل جالس لها مخارج ومداخل يتيهُ فيها من لم يألفها ويفكر دماء الوف الألوف من المتحاربين في سبيل الاستيلاء عليها !

وهي الآن ساكنة صامتة تحيط بها الحقول المزروعة وكل انواع الحياة الدابة. فكان الطبيعة نسيت ما فعل الانسان او لم تكترث لما فعل وكانهُ هو يأبى الا ان يبقي على هذه الآثار دليلاً على قساوته وتوغله في الهمجية

وهذا خندق تنزل الى جوفه المرصوف فتدهش كيف كان ابن آدم يأوي اليه في الليل والنهار وفي البرد وفي الحر ايماً وشهوراً. وتعجب لهذا الذي يدعي انهُ سيد المخلوقات يتجرد عن هذه القشرة الرقيقة التي يسمونها حضارة ويلتحف الغراء ويفترش التراب جائعاً عطشان يتقي القنابل فوق رأسه كالخلد يدخل في وكره ، ويتقي الغازات الخانقة بغطاء على وجهه هو شر منها ، وكل ذلك في سبيل تقتيل اخيه الانسان. وتسير السيارة حتى ايبر فتشاهد نصباً قائماً فيها بشكل جسر هائل يضيع العقل في ارتفاعه وفي ضخامته وقد حفرت عليه من اوله الى آخره اسماء الذين قتلوا في الدفاع عن ايبر فاذا بهم اكثر من خمسين الفاً

من الانكليز . كل واحد منهم نام على هذه الارض واختبأ في مثل هذا الخندق وحمل قنبلة في يده يرميها الى خنادق الاعداء وكلهم جاع وبرد وتعذب . ولكل منهم اب وام وحبيب فلمثل هذا خلق الانسان ؟

وعلى طول الطريق وفي وسط هذه الحقول مدافن لا تعد قبورها . هذه انكليزية — وما اكثرها — وهذه بلجيكية وهذه المانية وكلها مكسوة بالازهار وهي غاية ما يستطيع الحي ان يفعله لأجل الميت . ولبثنا على هذه الحال ساعات والدليل يذكر هذه المعركة ويشير الى هذه المقبرة ونحن كأن على رؤوسنا . الطير من هول الذكرى

***

وكان علينا ان نخلع قبعاتنا دائماً كلما مررنا بمقبرة من هذه المقابر وكانت الشمس قد آذنت بالمغيب واخذ برد الشمال يلطم وجوهنا ورؤوسنا . اما الرفاق فقد اعتادوا الامر واما صاحبنا المصري فأصيب بزكام شديد لم ينسه حتى الساعة فكان اذا عرف رجلاً اصيب في الحرب بساعة او مرض تذكر انهُ اصيب هو ايضاً بهذا الزكام من جراء الحرب العظمى واشتد بنا الجوع واعيانا التعب فجئنا الى خان صغير في قرية من هذه القرى الجديدة التي اعاد القوم بناءها بأموال التعويضات الالمانية

ومرَّ بنا بائع بيض كلاباً صغيرة فاكان من السيدة الانكليزية الا ان ابتاعت واحداً منها فجلس معنا في السيارة وله نباح وعواء يفلق الصخور

فكان صاحبنا المصري كمن اصيب بجنون . فوق الاصابة بالزكام . فانه كان على مذهب هؤلاء العقلاء الذين لا يفهمون للعطف على الحيوان معنى . فان المقام في هذه الدنيا لا يكاد يتسع لمعاشرة الانسان واحتمال اذاه او عطفه فكيف يتسع فوق هذا للدلال الكلاب وما اليها من الحيوان والحشرات . ولكنه اسرّها في نفسه مخافة ان يتهم بالتوحش بين قوم يقتلون بعضهم بعضاً ويشفقون على الحيوان

فما صدق ان عادت به السيارة الى بروكسل وكان قد انتصف الليل يقول ها نحن مع الدليل والسائق سبعة وثامنتنا كلبنا وهرع الى غرفته ووقع على سريره لا يعلم أن كان يصبح عليه الصباح

سامي الجريديني

فعل العضلات مفتاح سر الحياة

فلسفة التعب والبحث العلمي

تبدو حركة الجسم واعضائه لاول وهلة فعلاً فسيولوجيًا بسيطاً نستطيع ان نحلله ونقيسه قياساً علميًا . فالعمل الذي تعمله عضلة حين تنقبض وتتمدد يمكن قياسه كما يقاس العمل الذي تعمله آلة بخارية او محرك كهربائي . اما السر الذي يدفع الياف العضلات الى القيام بأعمالها فقد اغرى الباحثين من اقدم العصور وخصوصاً الذين جاءوا منهم في هذا العصر وغايتهم ان يدرسوا مظاهر الحياة وافعالها درساً علميًا دقيقاً . ومما حداهم الى هذا الميدان من ميادين البحث املهم ان يكون ما يكشفون عنه في العضلات منطبقاً كل الانطباق على سائر الانسجة الحية بوجه عام وبذلك يجدون ما يملئون به الهوة الشاغرة بين علمي الطبيعيات والاحياء

وتارع هذا البحث حافل بأسماء العلماء والعظماء من علماء الى فك الى بلكس الى فاكل وميرز الذين كشفوا عن اهم الحقائق المرتبطة بعضلات القلب وفعلها الى فلتشر الذي سبق الباحثين الى معرفة اثر الاكسجين في التعب والراحة . الى هكز الذي اشترك مع فلتشر في الكشف عن ان الحامض اللاكتيك (اللبنيك) هو مفتاح السر الذي يبحث عنه العلماء الى الاستاذ هل الذي جمع بين هذا المباحث كلها ودقق في قياس مقدماتها وتائجها وخلص الى حقيقة قال فيها الاستاذ دن أستاذ الكيمياء في كلية لندن الجامعة ما يأتي:—

هنا على اثباب الفاصل بين الحياة والموت ارى ان الاستاذ هل الفسيولوجي اصبع في مباحثه على عتبة كشف خطير . فقد ثبت من تجاربه ومباحثه في الاتعاب التي ازيلت اغشيتها وفي العضلات ان بناء الخلايا هو بناء كهربي دينامي ولا بد له من الاكسجين والاحتراق للمحافظة عليه . فنظام البناء في دقائق الخلايا يميل دائماً الى الانهدام والانحلال ويحتاج دائماً الى الاكسجين لحفظ بناء الخلايا الحية على ما هو . فالآلة الحية اذاً تختلف اختلافاً كبيراً عن الآلات المحركة . لان بناءها ليس بناء ساكناً انما هو بناء حيوي (دينامي) وعندي ان الخلية الحية اشبه شيء بطارية كهربائية تفرغ وتعدم النفع اذا لم تملأ بالكهربائية . والفعل الذي يملأ الخلية الحية بالحياة انما هو الاحتراق

نعود الآن الى العضلات وفعلها وفلسفة التعب في نظر العلم الحديث فنقول انه قد ثبت للباحثين انه اذا انقبضت العضلة أفرزت مقداراً من الحامض اللبنيك يتوافق مع قوة الانقباض ومداه . ومتى ارتحت أو تمددت عدل هذا الحامض بتحوله الى مادة تدعى غليكوجين . ولكن هذا التحول لا يتم الا بوجود الاكسجين

بدأ الدكتور هل تجاربهُ في عضلات الضفادع بعد فصلها عن اجسامها . فهذه العضلات اذا عني بفصلها عناية تامة ظلت حية الى حين تنقبض اذا نُكزت ولكنها تتعب بعد توالي الانقباض والارتخاء . واذا وضعت في جوّ خالٍ من الاكسجين ماتت . فسهل عليهِ اولاً مراقبة هذه العضلات ولكن تعذّر عليهِ تعليلها قبلما ثبت لهُ ان تعبها وموتها مرتبطان بازدياد مقدار الحامض اللبنيك فيها . ثم لاحظ ان راحتها بعد اجهادها يصحبها نقص في مقدار هذا الحامض

ما مصدر هذا الحامض ؟ من اين يجيء والى اين يعود ؟ ان في انسجة الجسم مادة تدعى غليكوجن مركبة من كربون وهدروجين واكسجين كالنشا الذي في الكبد . هذه المادة يتحول جانب منها الى حامض لبنيك متى انقبضت العضلة

فتعب العضلة بعد انقباضها يبدأ حين يأخذ الحامض اللبنيك يتجمع في خلاياها ويزداد التعب بازدياد مقداره الى ان يبلغ حدًّا لا يتحمله الجسم فترتخي العضلة رغماً عنها . فاذا تمدّدت العضلة جرى الحامض في الدم حيث يتصل بالاكسجين فيتأكسد جانب منهُ باتحاده به ويتحول الباقي الى غليكوجن وهذا هو سبب النفس الشديد حين الرياضة لان تجمع الحامض اللبنيك في العضلات وجريه رويداً رويداً في مجرى الدم يقتضي وجود مقدار كبير من الاكسجين لأكسدته فيشتدُّ النفس حتى يجهَّز الدم بالمقدار الكافي منهُ

ان قياس هذه التغيرات مستطاع على وجه دقيق جداً . واحدى الوسائل لقياسها قياس ارتفاع الحرارة في العضلة حين انقباضها بمقياس يدوّن جزءامن الف جزء من الدرجة ولقد وُجد ان توليد غرام من الحامض اللبنيك في اثناء العدو يرافقهُ انفاق ٣٧٠ وحدة حرارية (كالوري) وان كل رجفة انقباض في عضلة الضفدع ترفع حرارة العضلة ثلاثة اجزاء من الف جزء من الدرجة بميزان سنتغراد

وحينما تُركت العضلة لتستريح عكس هذا الفعل أي تحوّل غرام من الحامض اللبنيك في جسم العدّاء الى غليكوجن ووافق تحوّلهُ هذا امتصاص ٣٧٠ وحدة حرارية (سعر). على ان علوم الحياة لا تختلف عن العلوم الطبيعية في الجري على المبدإ القائل بأنك لا تستطيع أن توجد شيئاً من لاشيء . ومصدر القوة التي ينفقها العداء حين عدوه وفي اثناء تحول الحامض اللبنيك الى غليكوجن هو اكسجين الهواء . فقد وُجد ان جانباً من الحامض اللبنيك يتراوح بين الخمس والسدس يتحد بالاكسجين حين تحوّله الى غليكوجن واتحادهُ هذا يجهز العدّاء بالقوة التي ينفقها حين العدو . وهذا يعلل موت العضلة اذا وضعت في هواء خالٍ من الاكسجين وتوالى انقباضها وتمددها فيه

في مجلس سيف الدولة

بين المتنبي وأبي فراس

(٢)

لك أن تسميها مناظرة ولك أن تسميها مهاترة ، بل سمها — إن شئت — منافرة ، أما نحن فلا نراها إلا مؤامرة

نعم فهي مؤامرة محكمة دبرها أعداء المتنبي ولم يألوا في تدبيرها جهداً ، رغبة في هدمه والقضاء عليه ، ولم يدبروا هذه المؤامرة المجرمة لهدم شهرته الأدبية وحدها كما رأينا في مناظرة « الهمذاني والخوارزمي [١] » وفي « مناظرة الكسائي وسيبويه [٢] » بل كانوا يرمون إلى أبعد من ذلك ، فقد قصدوا بها الى غرضين، أولهما أن يهرموه في مجلس سيف الدولة — وثانيهما أن يقتلوه غيلة — بعد خروجه من عنده ، بل لقد همّ جماعة بقتله في حضرة سيف الدولة نفسه

وقد رأى القراء — في مقالنا السابق كيف أعرض عنهُ سيف الدولة بعد إقبال وكيف أفلحت دسائس خصوم المتنبي — وعلى رأسهم « أبو فراس » و « ابن خالويه » — في تنفير سيف الدولة منهُ ، فقابله متجهماً وحاول المتنبي عبثاً أن يغريه بقصيدته الرائية [٣] فلم يجد الى ذلك سبيلاً ، فخرج من عنده كاسف البال محزوناً ، وكان هذا الاعراض أكبر أثر ظاهر لنجاح خصوم المتنبي وأعدائه وأول ظفر باهر لفوز السعايات والدسائس عند سيف الدولة الذي لم يكن ليصيخ من قبل الى قول الوشاة أو يتأثر بدسائسهم ، أو الذي

(١) ارجع الى عدد يوليو من المقتطف (ص ١٠٥)
(٢) ارجع الى عدد اكتوبر من المقتطف (ص ٣١٦)
(٣) انظر مقتطف نوفمبر السابق (ص ٤٣٧)

كان — على الأصح — لا يكاد يصغي إلى قول واش حتى ينصرف عنهُ متى سمع قصيدة جديدة من مدائح المتنبي الخالدة

أما الآن فقد تغيَّر عليهِ قلبه وأصبح لا يقبل عليهِ إلا ريثما يضاعف سخطه ويمعن في الكاية بهِ. قالوا: وكان من عادة سيف الدولة اذا تأخر عنه مدحهُ شق عليهِ وأحضر من لا خير فيهِ وتقدم اليهِ بالتعرض له في مجلسهِ بما لا يحب وأكثر عليهِ مرة فكان ذلك سبباً في نظم « ميميته الفذة » التي نحن بصددها في هذا المقال. ولقد تجلى في هذه المرة اعراض سيف الدولة وتحيزه لخصوم المتنبي، أكثر مما تجلى في إعراضهِ الاول

(٢) اعراضه الثاني

وقد عرف المتنبي سرَّ هذا الاعراض فأعد عدتهُ ونظم ميميتهُ الرائعة فأودعها كل ما أوتي من قوة ومقدرة في الدفاع عن نفسهِ، ولم يدع وسيلة من الوسائل التي يهاجم بها حساده وخصومهُ وينال منهم إلا سلكها جريئاً قادراً، ودافع عن نفسهِ دفاع اليائس المستميت، ولم يتورع عن مهاجمة الأمير « أبي فراس » الذي طالما أظهر له التهيب وزعم أنهُ لم يجرؤ على مدحه « إجلالاً » « لا إغفالاً »

ماذا؟

بل ذهب إلى أبعد من ذلك فهاجم سيف الدولة نفسه ولم يتهيبه وقرعه أشد تقريع ألا ترى اليهِ يعاتبهُ فيقول له مقرعاً: —

« كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم ... ويكره الله ما تأتون والكرمُ
ما بعد العيب والنقصان عن شرفي ... أنا الثريا، وذان الشيبُ والهرمُ »

ثم يتهدده بالرحيل فيقول: —

« أرى النوى تقتضي كل مرحلة ... لا تستقلّ بها الوخّادةُ الرُّسُمُ
لئن تركت (ضميراً)[1] عن ميامننا ... ليحدثن لمن ودعتهم ندم
إذا ترحلتُ عن قوم — وقد قدروا ... أن لا تفارقهم — فالراحلون هم »

ويقول: « شر البلاد بلاد لا صديق بها ... وشر ما يكسب الانسان ما يصم »

ويعرض بأبي فراس في قوله —:

« أعيذها نظرات منك صادقة ... أن تحسب الشحم فيمن شحمه وَرَمُ »

ويقرع منافسيه بقوله:

---

(١) « ضمير » اسم جبل على يمين طالب مصر من الشام، وهو قريب من دمشق

«بأي لفظ تقول الشعر زعنفة تجوز عندك لا عرب ولا عجم»

ويفخر على جميع الحاضرين فيقول :

«سيل الجمع — ممن ضم مجلسنا — بأني خير من تسعى له قدم !»

إلى آخر ما قال

الحق أن المتنبي لم يكن في هذه المرة شاعراً فحسب ، بل كان شاعراً فارساً يتأهب لخوض غمار موقعة حربية حامية الوطيس سنيناً بكل ما يلقاه فيها من أذى موطناً نفسهُ على كسبها أو الاستشهاد فيها

ولقد خاطر المتنبي بنفسه في هذه المرة وغرر بها — وهو الذكي الحازم الحصيف — وركب مركباً وعراً ، وكأنما كان يضع نصب عينيه قوله :

«اذا لم يكن إلاّ الأسنة مركباً فما حيلة المضطر إلاّ ركوبها»

وقوله : «غير أن الفتى يلاقي المنايا كالحات ولا يلاقي الهوانا

وإذا لم يكن من الموت بدّ فمن العجز أن تكون جبانا»

ولقد صدق فيه قوله :

«لقد تصببت حتى لات مصطبر فالآن أقحم حتى لات مقتحم»

على أن المتنبي — رغم جرأته — قد أظهر في هذا الموقف براعة فائقة وحذقاً ممتازاً عجيباً فكان كالربان الماهر يغالب العاصفة الهوجاء بكل ما أوتي من يقظة ودربة وحزم

لقد كان يعرف أن سيف الدولة مغيظ منهُ محنق عليه وأن خصومه متأهبون لنضاله والكيد له ، وأنهم لم يصلوا إلى إيغار سيف الدولة عليه إلاّ بما أدخلوا في روعه من تمالي عليه وعجرفته وسوء أدبه ومدحه نفسه الى جانب مدحه اياه(١)

كان المتنبي يعرف ذلك ، ولكنهُ أبى إلاّ أن يُمرّي على الغاية في مناوأة خصومه فكان المدح لنفسه ولسيف الدولة بأوفى مكيال ورفع نفسه الى منزلة لم يكد يزعمها لنفسه في كل مدائحه السابقة رغم ما يعرفهُ من حرج الموقف ودقته

ولعل أول ما يستدعي انتباهنا في هذا المجلس الحاشد أمران

(١) قوة المتنبي ويقظته

(٢) وبديهة أبي فراس وفطنته

---

(١) قالوا : « وكان المتنبي يتعالى على سيف الدولة وكان سيف الدولة يتغاظ من تعاظمه ويحقد عليه اذا كله والمتنبي يجيب في اكثر الاوقات ويتغاضى في بعضها »

فقصيدة المتنبي هذه اذا أخذت برأي القائلين بأنهُ ارتجل أكثر أبياتها — تدل على بديهة . واذا اخذت برأي القائلين إنهُ أعدها من قبل ، تدل على يقظة مدهشة وعلى تنبؤ عجيب بما توقع حدوثه من خصومه ، كما تدل على أنهُ كان :

« الأعمى الذي يفن بك الظـــن كأن قد رأى وقد سمعا »

ولعل الجمع بين الروايتين هو الأقرب للعقل ، فقد نظم المتنبي قصيدته وتوقع أشياء هذه المفاجئات فأعد لها عدته ، وساعدته نفسه الثائرة على ارتجال أبيات قليلة دفعه الى ارتجالها ذلك الظرف الحرج الدقيق (١)

***

ولقد كان يفتك بالمتنبي خصومه في حضرة سيف الدولة — كما أسلفنا — وهم جماعة يقتله في مجلس سيف الدولة — لشدة ادلاله واعراض سيف الدولة — فلما وصل في انشاده الى قوله :

« يا أعدل الناس الاَّ في معاملتي كيف الخصام وأنت الخصم والحكم؟ »

تصدى لهُ أبو فراس فقال لهُ : مسخت قول دعبل وادعيته ، وهو :

« ولست أرجو انتصافاً منك ما ذرفت عيني دموعاً وأنت الخصم والحكم »

وليت شعري كيف يكون الابداع والتجميل اذا عدَّ هذا مسخاً وتشويهاً ، ولكنهُ

---

(١) ولسنا بذلك ننكر على المتنبي قدرته على الارتجال وسرعة البديهة ، فقد شهد له النقاد بذلك وأثبتت الحوادث قدرته العجيبة على الارتجال ، فمن ذلك ما يروونه عنه قوله — وكان قد أنشد بعض أبيات ولم يظهر معنى البيت الأول لقوم كانوا في مجلس سيف الدولة :

أتيت بمنطق العرب الاصيل وكان بقدر ما خابت قبلي
فعارضه كلام كان منه بمنزلة النساء من الرجول
وهذا الدر مأمون التنظي وأنت السبك مأمون الفلول
وليس يصح في الاذهان شيء اذا احتاج النهار الى دليل

ومن ذلك ما يروونه من أن بعض أصدقائه طلب اليه أن يصف له سادنة وقعت له فحكه المتنبي في الوزن والقافية فقال صاحبه : « لا ، بل الامر فيها اليك »

فأخذ ابو الطيب دواة واخذ صاحبه دواة آخر يكتب فيه كتاباً ، فقطع عليه ابو الطيب الكتاب وأنشد ارجوزته المشهورة التي اولها : « ومنزل ليس لنا بمنزل » وأمسك ان يرجع اليها القارىء في ديوانه

وقد قال ابن رشيق في ذلك — : وكان أبو الطيب كثير البديهة والارتجال الا ان شعره فيها نازل عن طبقته جدا ، وهو لعمري في سعة من العذر لو كانت البديهة كما يقول ابن الرومي :

« نار الزناد ترجد منضجة والبديهة نار ذات تلويح
وقد يضيها قوم لسرعتها لكنها سرعة تمحي مع الريح »

الهوى والغرض والتحامل . ورأى المتنبي أن أبلغ ما يرد به على انتقاده هو ان يصارحهُ برأيه فيه الذي طالما كتمهُ وأخفاه عنه ، فأنشد سيف الدولة :

« أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم »

قالوا : فعلم ابو فراس أنهُ يعنيه فقال :

« ومن أنت يا دعي كندة حتى تأخذ اعراض اهل الامير في مجلسه »

ولكن المتنبي لم يبأ به ولم يلتفت اليه بل استمر في انشاده الى أن قال :

سيعلم الجمع — ممن ضم مجلسنا — بأني خير من تسعى به قدم
أنا الذي نظر الأعمى[1] الى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

قالوا : فزاد ذلك غيظاً في أبي فراس وقال : « سرقت هذا من عمرو بن عروة ابن العبد في قوله :

« أوضحت من طرق الآداب ما اشتكلت دهراً وأظهرت اغراباً وابداعا
حتى فتحت بإعجاز خصصت بهِ للعمى والصم أبصاراً وأسماعا

ولما وصل الى قوله :

« والخيل والليل والبيداء تعرفني والحرب والضرب والقرطاس والقلم »

لم يستطع منافسهُ أبو فراس أن يخفي موجدته عليه وأبى الاّ أن يصارحه بالكيد ويدمّ له علناً عند سيف الدولة فقال له : —

وما أبقيت للأمير إذا وصفت نفسك بالشجاعة والفصاحة والرياسة والسماحة ؟ تمدح نفسك بما سرقته من كلام غيرك وتأخذ جوائز الأمير ؟

أما سرقت هذا من الهيثم بن الأسود النخعي :

« أعاذلتي كم مهمه قطعته أليفَ وُحوشٍ ساكنا غيرهائب
انا ابن الفلا والطعن والضرب والسُّرى وجود المُذاكي والقنا والقواضب
حليم وقور في البلاد ، وهيبتي لها في قلوب الناس بطش الكتائب »

---

(١) قالوا ان ابا العلاء حين قرأ هذا البيت قال : « كأنما عناني المتنبي بهذا البيت »
ولقد كان اعجاب ابي العلاء بالمتنبي عظيما جداً ، واستدل بعضهم بهذا الاعجاب على تفوق المتنبي عليه ، وهو استدلال بعيد . فقد كان اعجاب المري بأبي الطيب من قبيل اعجاب العظيم بالعظيم والند بالند لا اعجاب التلميذ بالاستاذ . وان تأثر به في صباه . وعندنا ان المتنبي — على عظمته وعلى اجلالنا له — اذا قورن بالمعري ذلك كفته ورجحت كفة ابي العلاء وفضله في كثير من المزايا الباقرة التي اجتمعت بها المعري — اوكاد — من بين شعراء العربي قاطبة ، وليس هذا مقام التفصيل وانما هو رأي اثبتناه عرضاً

ونعلك تفهم في قول ابي فراس « وتأخذ جوائز الأمير » سرّاً من أسرار حقده على المتنبي . وأنشد المتنبي قوله :

« وما انتفاع أخي الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم؟ »

فقال ابو فراس : وسرقت هذا من قول معقل العجلي :

« اذا لم أميز بين نور وظلمة بعيني، فالميزان زور وباطل؟ »

ومحمد بن أحمد بن أبي مرة المكي مثله :

« إذا المرء لم يدرك بعينه ما يرى فما الفرق بين العمى والبصراء؟ »

***

قالوا : وغضب سيف الدولة من كثرة مناقشته في هذه القصيدة وكثرة دعاويه فيها ، وضربه بالدواة التي بين يديه . ولو كان المتنبي — كغيره من الناس — لانهزم مرغماً بعد أن رأى روح الخصومة واللدد مهيمنة على هذا المجلس ، ولكن المتنبي ممن لا يزيدهم الخصومة إلا قوة على قوته ، ومن الناس من تشحذ الخطوب خاطرهم وتضاعف من يقظتهم وتقوي من حجتهم . والمتنبي من هذا الفريق . قالوا : فقال المتنبي في الحال :

« إن كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح — إذا أرضاكم — ألم »

فلم يكد يسمعه سيف الدولة حتى انطلقت أساريره وبدا البشر على وجهه وأراد ابو فراس ان يسير على هذه الوتيرة فقال له : أخذت هذا من قول بشار

« اذا رضيتم بأن نجني ، وسركم قول الوشاة ، فلا شكوى ولا ضجر »

ومثله لابن الرومي : —

« اذا ما الفجائع أكسبتني رضاك فما الدهر بالفاجع »

فلم يلتفت سيف الدولة الى ما قال ابو فراس وأعجبه بيت المتنبي

قالوا :

ورضي عنه في الحال وأدناه اليه وقبل رأسه وأجازه بألف دينار ثم أردفه بألف أخرى فقال المتنبي :

جاءت دنانيرك مختومة عاجلة ألفا على ألف
أشبهها فعلك في قيلق قلته صفاً على صف

كامل كيلاني

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتمحيذاً للاذهان. ولكن الجهة فيما يخرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا نخرج ما خرج من موضوع المقتطف ويراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) الناظر والنظير مستقلان من اصل واحد فناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيما كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . والمقالات الوافية مع الايجاز تستحق على المطولة

كيف نترجم شكسبير ؟

تلقينا طائفة من الرسائل الأدبية النقدية تمدح لنا عزم المقتطف على نشر ترجمة «العاصفة» ترجمة دقيقة امينة. فاكتفينا الآن بنشر مقالتين منها لانهما يتضمنان رأيي مفكرين مبرزين وأديبين مشهورين في مسألة الترجمة الحرفية والمعنوية

١ — رأي الاستاذ الشايب

الترجمة المعنوية خير سبيل لامتزاج الآداب وتلاحمها

ليس قراء اللغة العربية في حاجة لتحدث اليهم عن شكسبير وآرائه الأدبية الخالدة فان جمهور الأدباء والمتعلمين على علم كثير بتلك الآثار سواء في ذلك من قرأه في اللغة الانجليزية ومن اطلع عليه مترجماً الى العربية اذ ان هذا الشاعر العالمي الكبير صار الآن بحكم الترجمات احدة ملكاً شائعاً للعالم اكثر مما هو ملك لأمته او للعالم الأوروبي وصار أدبه جزءاً مهماً لكل الآداب الانسانية لأنه صورة انسانية قوية مهما تختلف بها الأزمنة والأماكن

تقول هذا بمناسبة تلك الرواية الممتعة التي ستدرس هذا العام الدراسي الجديد لطلبة السنة الخامسة الثانوية وهي « العاصفة » التي عني « المقتطف » بنشر ترجمتها

لا اتحدث عن موضوع الرواية وتحليلها فذلك كله وغيره موكول الى « المقتطف » او بعبارة أخرى الى الشاعر العصري الدكتور ابي شادي الذي يقوم بالترجمة والشرح والتعليق والتحليل . وانما اتحدث الآن فقط عن تلك الملاحظات التي بدت لي اثر الالمام بالفصل الأول الذي اذاعه المقتطف ملحقاً بعدد اكتوبر من هذه السنة

اما مجهود المقتطف في الغاية بهذه التحفة القيمة فليس اول مجهود ادبي او علمي او فلسفي يحفزنا الى الثناء عليه او تقريظه والناس جميعاً يعرفون ما لهذه المجلة من المنزلة في تثقيف الشرق العربي اكثر من نصف قرن . كذلك نعرف للدكتور ابي شادي قيمته العلمية والأدبية طبيباً وكاتباً وشاعراً وقديراً على الترجمة من الانجليزية واليها كأحسن ما يترجم رجل دقيق الحس ، يقظ الفؤاد ، امين فيما ينقل ، ولكن كيف كان موقفهُ في ترجمة هذه الرواية خاصة ؟

يظهر لي ان المترجم تحرى صالح الطلبة كثيراً وحرص على ذلك حتى جعل الترجمة صورة مطابقة للأصل الانجليزي من حيث المفردات والأساليب الى درجة اوشكت ان تصير بها ترجمة حرفية لهذه الرواية ، ومن يقرأها فكأنهُ يقرأ الأصل الذي كتبه شكسبير نفسه نعم ان هذا يفيد جداً اولئك الطلبة في حجرة الدراسة لانهم مضطرون الى تفهم المفردات والاساليب والوقوف على مراميها في لغة المؤلف وهم لاشك يظفرون بذلك كله في ترجمة الدكتور حتى اذا ارادوا أو اراد غيرهم الانتفاع بتلك الترجمة في نقل روح شكسبير الى تعابيره الخاصة استطاع ان يخلص مما يسقط فيه عجزة المترجمين الذين يعبثون بالمعاني العربية ويشوهونها في خلال ما يصطنعون من الالفاظ والاساليب شعوذة ومداراة للجهالة وخيانة في النقل

نقول ان هذه الامانة في الترجمة وتتبع أسلوب المؤلف أفاد الطلبة فائدة حقة ومكنهم من تلك القنطرة التي تصل بهم من لغة شكسبير الى اللغة العربية القويمة ، ولذلك اضطر المترجم ان يستعين على افهام الطلبة المعاني واضحة قوية بتلك الهوامش التي علقها عليها في ذيل كل صحيفة حتى ليستطيع القارىء تبين المعاني الجزئية والكلية بدون معلم او مرشد وهذه خدمة سيعرفها الجمهور للمقتطف وللدكتور أبي شادي . مثال ذلك في المنظر الاول من الفصل الاول ، قول ملاحظ السفينة للملاحين «هاي يا قلوي» فيفسرها بقوله أي يا خلصاني أو يا رجالي . . . . وكقول الملاحظ للعاصفة : « هبي الى ان تتفجر ريحك » فيشرحها بقوله أي الى أن تستطيعي أكثر من غايتك ، وكترجمته « بي راحة عظيمة من هذا الرجل» فيوضحها هكذا : أي إني مطمئن اليه . . . وهكذا تجد أمثلة كثيرة لهذا النوع من الشرح

ومسألة اخرى ظفر بها الدكتور وهي اختياره كثيراً من الالفاظ العربية الدقيقة التي تلائم نظير انها الانجليزية دون حاجة الى جعل بدل تلك المفردات او اضطرار الى الدوران حول المعنى الاصلي . وهذه لا شك تحتاج الى بحث واستقصاء وذوق دقيق مثال ذلك «قرايا الاشرعة = *Yards* مفردها قرية» والقرية بتشديد الياء عود الشراع الذي يجعل في عرضه من اعلاه

وهرة ثالثة وفق اليها وهي مسألة الصور الملحقة بالترجمة لشرح مناظر الرواية ، ولا اظن

احداً من مترجمي الروايات المدرسية قد سبق المقتطف ومترجمه الى هذه الغاية البالغة غاية الاتقان والناس جميعاً يعرفون ما لهذه الصور من القيمة في نقل روح الرواية وملابساتها الى عقول القراء

وبعد فان القراء سيسألون ايهما أجدى واقوم الترجمة الحرفية ام الترجمة المعنوية ؟ وربما لا يفرق بعضهم بين مناسبات كل نوع ومواضعه غير اني ارى ان الترجمة التي تشارف الاصل وتقترب اليه الزم في ادوار التعليم ما دمنا نقصد بها الالمام بالمفردات ومعانيها والاساليب ومضامينها والتدرج بالطالب من ذلك الى نقل روح المؤلف وشعوره اثناء ما كتب او شعر . ولا شك بعد هذا ان الترجمة المعنوية التي ترمي تواً الى نقل الرواية من لغتها الى لغة اخرى خير سبيل الى الافادة وامتزاج الآداب وتلاقحها متى استطاع المترجم الى هذا « النقل » الصادق القوي الدقيق ، .. ولسنا كذلك في شك من ان صاحبنا الدكتور قد وفق بين الخطتين فدلنا على جهد ونبوغ عظيمين

بعدنا المقتطف مشتركاً مع المترجم بعد اتمام نشر هذه الترجمة تباعاً بطبعها مستقلة مع كثير من الشروح الاخرى والتعليقات التي لاغنى عنها والتي لا يتسع لها صدر المجلة ونحن من ناحيتنا نشكرها معاً هذا الجهد ونرحب بنشره وننتظره وينتظره الطلبة والمتأدبون

الاسكندرية احمد الشايب

٢ — رأي اسماعيل مظهر بك

طريقة ابو شادي في ترجمة الخاصة هي الطريقة المثلى ولا طريقة غيرها

اذا قابلت تاريخ الآداب بعضهُ ببعض وقفت على ظاهرة غريبة . وقفت على شاعرين انكليزيين يقابلهما شاعران أوربيان . بحيث يتحد كل شاعر من الشاعرين الانكليزيين بشاعر من الشاعرين الاوربيين في المراني والمقاصد والمشاعر . بل وفي النسق على وجه التقريب . فملتون يقابله دانتي وشكسبير يقابله جوته . وعندي ان التفرغ لهذا البحث والتوفر عليه يمكن ان يخرج مجموعة من النقد قلَّ ان نعثر عليها في لغة من لغات الارض . واعتقد فوق هذا ان المقابلة بين « الفردوس المفقود » لملتون وبين « المهزلة الالهية » لدانتي ، اسهل متناولاً من المقابلة بين روايات شكسبير وبين « فوست » ذلك لان الفردوس والمهزلة تتناولان شيئاً من وضع الخيال الانساني ، يسهل على خيال خصب ان يمتدَّ الى اغوارها ويستخلص منها اغض معانيها . في حين ان اعمال شكسبير وفوست تتناولان طبيعة العنصر الانساني الذي لا يحتاج الى خيال فقط ، بل يحتاج الى كثير من قوة الملاحظة والحكم وعمق الفكر وسلامة الاستنتاج والقدرة الاستقرائية الفائقة

اذا عرفنا هذا استطعنا ان نقدر الى اي حد تذهب الحاجة في ترجمة شكسبير الى الاناة

والصبر وتعويد الفهم الى استخلاص اعمق معنى من اظهر جملة ومن ابسط سياق . فكلمة « لا » او كلة « لم » في سياق مناقشة لشكسبير قد يكون لها معنى يستخلص من طبيعة المحاورة فيتناول ابعد غور من اغوار الطبيعة البشرية . او كلات يكون ظاهرها السخرية والتدلل ، ولا يقصد بها شكسبير الا التعبير عن اغمض ناحية من نواحي النفس الانسانية . مثال على ذلك قول كليوباترة لاحدى وصيفاتها « اذهبي فاذا رأيت انطونيوس في مجلس شرابه فعرفيه باني ابكي واذا رأيته يبكي فعرفيه باني ارقص » فان هذه الكلمات التي ليس في مظهرها الخارجي شيء سوى السخرية وعنف الانتقام ، تعبر عن حقيقة نفسية بعيدة الغور في الطبيعة الانسانية ولا يسهل عليك ان تعبر عنها في الادب بكلمات هي ابلغ من سياق شكسبير الساذج البسيط . وعندي ان نشاط شكسبير وتبسطه في بعض الاحيان من اغمض الاشياء في شكسبير

هذا لندلك على ان ترجمة شكسبير الى اللغة العربية عاجزة أقدم عليها البعض من الكتاب فأوسعوا شكسبير مسخاً وهضماً حتى لقد كتبوا في خيالهم روايات نسبوها الى شكسبير واظهروا على المسارح شخصيات بينها وبين شكسبير من البعد بقدر ما بين الارض السفلى والسماء العليا وعلى هذه الصورة المسوخة عرفنا شكسبير صغاراً وكدنا نتأثر به رجالاً . بل لا نبالغ اذا قلنا ان اكثر ادباءنا قد تأثروا فعلاً بهذه الصورة . فخيل اليهم ان شكسبير كاتب روائي كبقية الكتاب . لا ميزة له الا الايجاز الشديد في بعض المواضع والغموض الفاضح في التعابير واستعمال لغة كان يعرفها الانجليز من اربعة قرون ! وهذا دليل على انهم لم يدركوا من حقيقة شكسبير الا المسخ الظاهر الذي مسخه بعض الكتاب ولم يتعمقوا الى الجوهر الكامن في فلسفته العليا التي تناولت كل نواحي التجارب الانسانية . ان لم يكن في هذا القول مبالغة وجه من الوجوه

وقد اختلف الادباء ، وان شئت فقل المتأدبين اوطابي الادب على الطريقة التي يجب ان يترجم بها شكسبير . فقال البعض بضرورة التصرف في المعنى مع التصرف في اللفظ . ويتبع هذا بالضرورة التصرف في الامثال المضروبة وفي التعبيرات التي لم يضمها شكسبير في مواضعها تلك الا عن ضرورة اما معنوية واما لغوية . وقال البعض بضرورة النقل الامين للمعاني التي رمى اليها شكسبير مع التصرف في الالفاظ وقال ابو شادي بضرورة النقل الامين مع المحافظة بقدر المستطاع على الالفاظ بما يقابلها في العربية

ولا ضرورة لان نبين وجه الخطاء في الطريقتين الاولين . فقد جرى بعض المترجمين على استحداث امثال عربية عزاها لشكسبير ولغيره من الكتاب فقالوا مثلا « لا ناقة لي فيها ولا جمل » « وفي الصيف ضيعت اللبن » « ولابن في الصيف تامر » الى غير ذلك . مع ان

شكسبير وغيره من الكتاب مثل جوته ودانتي وملتون لم يعرفوا التاتة ولا الجل ولا كيف تصنع في الصيف اللبن ولا ما هو اللابن ولا التامر » لان هذه الامثال منحوتة من تجاريب محلية اختصت بها طبيعة البلاد التي قيلت فيها ، فكيف تمر بالله عليك عما قام في رأس شكسبير ؟ وظنوا مع هذا ان شكسبير لن ينقل الى العربية الا اذا استعملوا الامثال العربية المضروبة منذ عشرين قرناً من الزمان وكانت لها مناسبات قلّ ان وقعت امثالها لشكسبير، وحالات قل ان قامت في انجلترا مثلاً . ومع هذا يقولون انهم نقلوا شكسبير للغة العربية وهم لدى الواقع لم ينقلوا الا صورة من الادب العربي كما تقوم في اذهانهم مسوقة من وقائع منتحلة من روايات شكسبير

اما الطريقة التي اتبعها الاستاذ الدكتور ابو شادي في « ترجمة العاصفة » فعندي انها الطريقة المثلى ولا طريقة غيرها يمكن ان تؤدي معنى « الامانة » في نقل شكسبير الى العربية هذا اذا اردنا ان ندرك في روايات شكسبير حقائقها . اما صورها الظاهرة فمجال يتسع لكل كاتب ان يكتب فيه . ذلك لان ادراك الصورة في الادب شيء مخالف تماماً لادراك الحقيقة . فقد استطيع مثلاً ان اتناول « فوست » واقول انهُ رجل وهب نفسه للشيطان وجرى وراءه اشواطاً ففسق عن الآداب وجرى وراء اللذات اشواطاً ثم مات حزيناً . هذه صورة لم تقم يوماً في عقلية جوته ولا رمى اليها بل ولم يعرفها . ولكنها صورة ظاهرة يمكن استخلاصها من ذلك الكتاب الخالد . أما ادراك الحقيقة من « فوست » فذلك ما لا يدعي كاتب من الكتاب انهُ ادركها ادراكاً تامًّا

هذا ونقول بأن التسمح في الأدب كالتسمح في اللغة كلاهما خطر على العقول وعلى الآداب نفسها . ذلك لأن الأدب الذي ينتجه اديب يجب ان يعتبر وحدة كاملة تستخلص من عصارة نفسه وذهنه . فاذا اعتبرت شكسبير وحدة كاملة لا تتجزأ كما اعتبره ابو شادي في ترجمته السليمة التي يترجم بها العاصفة للمقتطف ، بلغت اقرب نقطة يمكن ان ترقب منها شكسبير عن كثب وان ترى فيه من الأسرار ما لا يراه غيرك كراصد سيار يحاول ان يكون السيار في اقرب نقط مداره من الأرض ليكشف منه بنظاره ما لا يستطيع وهو في اقصى بعده

ولقد قام الأستاذ ابو شادي بأكبر خدمة للآداب العربية بأن أظهر شكسبير كما هو بمعانيه وتعبيراته . وهي تعبيرات قد نراها لأول وهلة غير متسقة مع السياق والسليقة العربية الفحة ولكنها على اية تعبيرات شكسبير في العربية كما هي في الانجليزية وهكذا يجب ان ينقل شكسبير . ولا يسعنا بجانب هذا الا ان نغبط المقتطف على جهودها المثمرة والتضحيات التي تضحي بها في سبيل الأدب العصري

١٤ نوفمبر ١٩٢٩ اسماعيل مظهر

باب الزراعة والاقتصاد

التعاون في مصر

تاريخه — كانت ازمة سنة ١٩٠٧ السبب المباشر لتنبيه المهتمين بشؤون القطر الاقتصادية على التفكير في تطبيق نظام التعاون على مصر. ويعود الفضل في تأسيس الحركة الى رجلين البرنس حسين كامل باشا والاستاذ عمر لطفي بك. ففي سنة ١٩٠٨ كان نوبار باشا يقدم تقريراً للبرلس عن درسه للحركة في اوروبا حين اخذ الاستاذ يلقي المحاضرات عما شاهده في ايطاليا وعن انظمة غيرها من الممالك

وما انت سنة ١٩٠٩ حتى الفت الجمعية الزراعية، التي كان يرأسها البرنس حسين، لجنة لدرس الموضوع، في حين زاد نشاط عمر لطفي واخذ ينشر بالفكرة في انحاء القطر. اخيراً قدمت اللجنة مشروع قانون مكون من ١٥ مادة الى الحكومة فجاهد البرنس لاستصداره حين غرض عمر لطفي بذرة التعاون المنزلي بتكوينه شركة التعاون المالي التجارية بالقاهرة قاصداً ان تقوم ايضاً للجمعيات التعاونية بعمل الاتحاد من توريد وتسليف. وقد صدر الامر العالي بانشاء هذه الشركة في اواخر يناير سنة ١٩١٠ وفي هذه السنة (١٩١٠) انس عمر لطفي نقابة شبرا الخيمة فكانت اول هيئة تعاونية زراعية في مصر. وفكر السير الدون غورست المعتمد البريطاني في حل معضلة التسليف المصرفي عن طريق التعاون ولكن قبل ان تنقضي سنة ١٩١١ مات عمر لطفي في جهاده فاحتل مكانهُ خليفته واخوه الاستاذ احمد لطفي بك فاخذ يعمل في انشاء النقابة العامة وبالفعل تمَّ له تكوينها في اوائل ١٩١٢ وفي السنة نفسها استقدمت الجمعية الزراعية المفتش العام لوزارة الزراعة بقرنا وعلى اساس ارشاداته عدل مشروع القانون السابق فصبح مكوناً من ٢١ ماده

والفت لجنة حكومية لبحث الموضوع سنة ١٩١٣ فوضعت مشروعاً ثالثاً مكوناً من ١٥ ماده حوّل على الجمعية التشريعية فاحالته الى لجنة لبحثه من وجهتي معاونة الحكومة المالية وعلاقة البنك الزراعي بالحركة ثم اقرّ المشروع الاخير بعد تحويل وتبديل كثيرين فقام على اثر هذا القرار حضرة صاحب المعالي اسماعيل صدقي باشا وزير الزراعة اذ ذاك لنشر الدعوة

بنفسه وبالفعل حررت عقود تأسيس لبعض الجمعيات ولكن اعلان الحرب شلّ الحركة في مهدها

حلت بعد ذلك فترة تمّ فيها نشر الدعوة عن طريق الكتابة فألفت بعض كتب منها كتاب لصاحب العزة (السعادة الآن) صادق حنين بك والآخر للاستاذ عبد الرحمن الراضي وافلح صادق حنين ، الذي كان مديراً للديوان والاحصاء بوزارة الزراعة، في درج موضوع التعاون ضمن برنامج التعليم في مدرسة الزراعة بالجيزة وعهد اليه في امر تدريسه فيها

ولما عقدت الهدنة وصلحت الاحوال كلف المجلس الاقتصادي لجنة الزراعة درس الموضوع فعرضت مشروعاً على المجلس وبالفعل صدر في ٢٥ يوليو سنة ١٩٢٣ القانون رقم ٢٧ لسنة ١٩٢٣ ونشرت الوقائع المصرية قراراً وزارياً بانشاء قسم تسجيل وتفتيش شركات التعاون الزراعية ، ولكن اظهر الاختبار وجوب تنقيح هذا القانون ، فكلف مجلس النواب لجنة التعاون والشئون الاجتماعية درس الموضوع مرة اخرى ثم صدر القانون رقم ٢٣ لسنة ١٩٢٧ في ٢٢ يوليو سنة ١٩٢٧ وهو الاخير. ويجدر بي هنا ذكر تطوع وزيرين من وزراء الزراعة لقيادة حركة نشر الدعوة بتنسيبهما وهما حضرتا صاحب السعادة توفيق دوس باشا وفتح الله بركات باشا

النظام الاخير — تؤسس الجمعية التعاونية من عشرة افراد بالاقل لاجل تحسين حالتهم المادية في مسائل الانتاج والشراء والبيع والاقراض والاقتراض والتأمين واستغلال الاراضي واعمال الري والصرف وبناء المساكن وما شاكل ذلك . وللجمعية ان تقتصر على عمل واحد او عدة اعمال مما سبق بيانه ولكن لا يجوز لها معاملة غير اعضائها الا في الاحوال الاستثنائية ولا يجوز لها مطلقاً ان تقرض غير اعضائها ولا يجوز ان تكوّن اكثر من جمعية واحدة لغرض معين في مدينة او قرية الا بتصريح خاص من قسم التعاون (وتستثنى المحافظات وعواصم المديريات من ذلك) وتكون الجمعية ذات مسئولية محدوده (بقدر قيمة أسهمها او بقيم اكبر منها تعيّن في العقد) او مسئولية غير محدودة فيضمن الاعضاء كافة الالتزامات وفي هذه الحالة يجب ان تذكر الجمعية ضمن اسمها ما يفيد ان مسئوليتها غير محدوده وللنوع الاخير من الجمعيات ان تكون بلا رأسمال

وللجمعيات التعاونية مجلس اعلى يرأسه وزير الزراعة يعيّن بعض اعضائه وينتخب بعضهم الاخر

وثمن السهم الواحد في الجمعية التعاونية يجب ان لا ينقص عن ٥٠٠ مليم ولا يزيد عن جنيهين ويجب دفع ٥٠٠ مليم من ثمن السهم وقت الاكتتاب على ان يسدد الباقي — ان وجد — فيما بعد دفعة واحدة او على اقساط اما الامتيازات التي تتمتع بها الجمعيات التعاونية فهي :

(١) الاعفاء من الرسوم النسبية على العقود عند التسجيل وما يتبعها

(٢) الاعفاء من رسوم تسجيل ممتلكاتها
(٣) « « تقديم التأمين المؤقت عند دخول المناقصات الحكومية بشرط ان تورد ماهو داخل في دائرة اعمالها
(٤) الاعفاء من الرسوم الجمركية على العدد التي تستوردها لتأسيسها في بدء عملها وذلك في السنتين الاوليين من تأسيسها
(٥) خصم ٢٥٪ من اجور نقل هذه الآلات على سكك حديد الحكومة
(٦) تخفيض ١٠٪ من رسوم التحليل في المعامل الكيماوية
(٧) « ٥٪ على الاقل من اثمان البذور والاسمدة التي تشتريها من وزارة الزراعة لمنفعة اعضائها

ويشترط في العضو ان يكون مصريًّا مقيماً في الجهة التي تزاول الجمعية عملها فيها او تكون هناك مصالحهُ او اشغاله وان لا يكون محكوماً عليه بالافلاس او بجنحة مخلة بالامانة والشرف وان يقبل كتابة نظام الجمعية ويقوم بالتعهدات المطلوبة منهُ — ولكن لا يجوز اجبار العضو على الاكتتاب في اكثر من سهم واحد — ولا يجوز للعضو الالتحاق بجمعية تعاونية تشتغل بالعمل نفسهِ في الناحية نفسها ولا يلتحق بجمعية اقراض تعاونية غير جمعية الاقراض التي ينتمي اليها

الاسهم اسمية غير قابلة للتجزئة ولا يجوز الحجز عليها الا لسبب ديون الجمعية ولا يجوز للعضو ان يمتلك اكثر من خمس مجموع رأس المال

يدير الجمعية مجلس ادارة مكون من ثلاثة اعضاء على الاقل وتنتخب كل جمعية ثلاثة اعضاء آخرين على الاقل تكون لجنة المراقبة ولا يجوز الجمع بين عضوية الهيئتين

يقوم الآن قسم التعاون بعملية انشاء وتسجيل الجمعيات التعاونية ومراجعة حساباتها والتفتيش عليها كما وانه يقوم بطريقة غير مباشرة باقراضها وتقديم ما تحتاج اليهِ من بزور واسمدة واغلب هذه الاعمال من اختصاص الاتحادات فالى ان يحين الوقت الذي تؤسس فيه اتحادات مركزية واتحادات عامة سيظل قسم التعاون قائماً مقامها

احصاءات — انشئت في مصر سنة ١٩١٤ اثنتا عشرة نقابة زراعية وفي سنة ١٩١٧ نقابتان وفي سنة ١٩١٩ نقابتان وفي سنة ١٩٢٢ نقابة واحدة وانشئت عشر نقابات في اوقات غير معلومة وجملة ذلك ٢٧ نقابة يصح ان يقال بانها نواة الحركة التعاونية في مصر التي غرسها المرحوم عمر واخوه احمد لطفي

اما عدد الشركات التي انشئت وفقاً للقانون رقم ٣٧ لسنة ١٩٢٣ (الاول) فقد بلغ

١٥٢ شركة في حين ان عدد الجمعيات المؤسسة وفقاً للقانون رقم ٢٣ لسنة ١٩٢٧ (الثاني والاخير) قد بلغ حتى نهاية ١٩٢٨ — ١٦٢ جمعية منها واحدة منزلية وقد زاد عدد الجمعيات وقت كتابة هذه السطور عن ٢٠٠ جمعية وعدد هذه الجمعيات قليل جداً ولكن يحاول قسم التعاون ان يسير بتؤدة واعلى نظام ثابت حتى تكون الجمعيات الحالية نماذج يتيسر النسج على منوالها

أما القروض الحكومية التي عقدتها الجمعيات فبلغت ٣٤٣٩ جنيهاً و٤٤٠ مليماً سنة ١٩٢٦ و٦٣٧٤ جنيهاً و٥٤٣ مليماً سنة ١٩٢٧ و ٢٨٤٨٠ جنيهاً و٨٠٠ مليم سنة ١٩٢٨ وقد قرر البرلمان مبلغ ٢٠٠٠٠٠٠ جنيه لتسليف الجمعيات التعاونية وبالفعل خصص من هذا المبلغ ٢٥٠٠٠٠٠ جنيه على اساس تكوين ٢٥٠ جمعية وقد تسلم بنك مصر من وزارة المالية حتى الآن من هذا المبلغ الأخير ١٦٥٠٠٠ جنيه اقرضها كلها (او معظمها) للجمعيات خلال سنة ١٩٢٩

وتودع الحكومة الرصيد في بنك مصر بفائدة قدرها ٢ ٪ ليقرضها الى الجمعيات باربعة في المائة ويأخذ البنك الفرق نظير النفقات وليس للجمعيات الحق في تسليف اعضائها باكثر من ٧ ٪ باي حال ويوزع قسم التعاون التابع لوزارة الزراعة نشرات على الجمهور مجاناً عند الطلب ويعطي موظفوه الارشادات اللازمة لمن يطلبها

ويتبع قسم التعاون اربعة تفاتيش يدير كل منها مفتش يشرف على عدة مناطق يعمل في كل منطقة منها موظف هو المنظم الذي يعنى عناية تامة بجمعيات المنطقة التي يتفاوت عددها في الوقت الحاضر بين عشر جمعيات وخمس عشر جمعية وذلك تبعاً لاتساع المساحة التي تحوي جمعياته ولكل تفتيش مراجع للحسابات مسئول عن ضبط حسابات جمعيات التفتيش

واخذ الاهتمام بالتعاون يجذب تفكير المزارعين اليه اما الصحافة فقد نشطت الى النشر عن الحركة لتشجيعها بصرف النظر عن اختلاف الوجهات السياسية وزاد اهتمام الشبان المتورين بالتخصص في التعاون وكتابة المؤلفات عنه فللدكتور ابراهيم رشاد مراقب قسم التعاون كتاب « مصري في ارلندا » جمع في اختباراته النظرية والعملية عن التعاون بين جلدتيه ويجدر بي ذكر كتاب الدكتور حامد المرعشلي هنا لانه حاول فيه التطبيق اكثر من سرد المشاهدات

وقد اصدر قسم التعاون اخيراً « صحيفة التعاون » فكانت خطوة طيبة وواسطة للتفاهم بين اعضاء مختلف الجمعيات المصرية ومن مميزاتها احتوائها لاخبار الحركة في الخارج لايقاف المتعاونين المصريين على احدث النظريات التعاونية

عمر عنايت

حزب الفلاح المصري

وزع الاستاذ اسماعيل مظهر صاحب مجلة العصور ومحررها نشرة تحوي «مشروعاً لتأسيس حزب الفلاح المصري» وقد قدم مشروعه الى حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد المصري

بدأت النشرة بمذكرة تمهيدية اتبعها بوضع نظرية ملتوس واردف استهلاله بكلام عن الانتخاب الطبيعي ثم الحق مذكرتهُ الاولى باخرى « ثانية » ذكر فيها ان الاحزاب تحتفظ باسمائها في حين ان الواحد منها يكون قد انحلَّ واعيد تكوينه مراراً عديدة تلائم مقتضيات الاحوال ثم تكلم عن الاحزاب الانكليزية واشاد بذكر الحضارة الانجلوسكسونية

ووضع بعد ذلك ٢٥ مادة كمبادئ للحزب الذي يدعو الى تشكيله وهذه المواد مختلفة المرامي متنبعة من المبادىء الاشتراكية تارة ومن فكرة الدولية تارة اخرى وبعضها يدخل ضمن برنامج للاصلاح الاجتماعي والبعض الآخر لاصلة له بالفلاح ولا بالفلاحة

فالتسوية بين الناس في فرص الحياة (١) ونشر التعليم العام وتهيئة فرصة التعليم العالي لاكبر مجموع من الامة (٢) وتحديد ملكية الارض الزراعية وزيادة نصيب صغار الملاك (٣) والزام اصحاب الاطيان ببناء مساكن تتوافر فيها الشروط الصحية (١١) والتوسط بين اصحاب الاطيان والفلاحين في ابان اشتداد الازمات المالية او حدوث الظروف القاهرة لحفظ التوازن بين مصالح الطرفين (١٢) هي المبادىء الاشتراكية المراد تطبيقها على الزراعة

والغاء الحروب والحض على كراهيتها (٥) وغرس روح الاخاء الشعوبي بين الامم (٦) ووضع الجيش المصري تحت تصرف عصبة الامم ليكون بمثابة جزء من البوليس الدولي (٨) واقناع الدول بمبدأ جعل قواتها تحت سيطرة عصبة الامم (٩) هي مبادىء الدولية بعينها

وانشاء المصانع برؤوس اموال مصرية بحتة (٤) ومحاربة مبادىء البلشفية (٧) والعمل على رفع اسعار المحاصيل الزراعية (١٣) وحماية الاصناف العليا من القطن (١٤) وحماية ماء النيل (١٧) هي مبادىء لحزب الملاك الى حدٍّ بعيد

اما تحسين الحالة الصحية بين الفلاحين والعمال (١٠) والعمل على زيادة الثروة الاهلية بزيادة مصادرها الزراعية كزراعة الفواكه (١٩) وتعليم الفلاح طرق تربية الدواجن (٢٠) واستعمال الطرق الفنية العلمية في الزراعة (٢١) وتحريم بيع الاراضي لغير المصريين الا لاجل محدود (٢٢) فاسس متينة للاصلاح الاجتماعي في بلد زراعي مثل مصر

اما تهيئة المهاجر الزراعية للفلاحين وعلى الأخص السودان (١٥) والمطالبة بحق

مصر في السودان كاملاً فبادىء سياسية تتفق عليها الاحزاب

اما زيادة الانتاج في المناجم (١٨) وتلقين الفلاح المصري معنى الاستقلال (٢٥) وضم النقابات الزراعية لسياسة الحزب (٢٤) والاحتفاظ بنصف اسهم الشركات الانتاجية للمصريين (٢٣) فهي متفرقات

وقد اهتم ايضاً بكتابة رؤوس اقلام عن اللائحة الداخلية ترك للجنة التأسيسية النظر في امرها وأهم النقط وهي عشرة

(١) الرياسة تكون دائماً لرئيس الوفد

(٢) السكرتارية تكون دائماً لصاحب الاقتراح

اما نحن فنفهم من الحزب وجود جماعة منظمة للدفاع عن وجهة نظر تدافع عن ضدها جماعة اخرى . فمثلا الحزبان الطيبان لمصر يدافع احدهما عن وجوب التعاون مع بريطانيا في حين يدافع الآخر عن فكرة عدم التفاهم. كذلك الحال في بريطانيا فحزب المحافظين دافع عن رفع المكوس في حين دافع حزب الأحرار عن حرية التجارة. وفي المانيا حزبان رئيسيان — كبقية الدول الزراعية الصناعية — احدهما يطالب بحرية التجارة لأنه حزب اصحاب المصانع . فلما اصبحت انجلترا اقليماً صناعياً صرفاً بدأ حزب الأحرار في الاندثار وحل محله حزب العمال لأن المسألة اصبحت بين الرأسمال المثمر وبين الصانع المغبون

اما مصر فليست بالبلد الصناعي حتى يؤلف الزراع لأنفسهم حزباً للجري وراء تفهم بل بالعكس ففيها ملاك وفيها فلاحون فقط وأغلب الملاك هم من الأجانب لأنهم يملكون الجزء الأعظم من المساحة اما مباشرة او عن طريق الرهن فهل يريد الأستاذ تكوين حزب الفلاح من صغار الملاك المرهقين بالديون تمرداً على دائنيهم ام يريد ان يكونه من عديمي الملك ضد المالكين

ان اغلب النقط التي عرضها الأستاذ مظهر معقولة وكنت اود لو طالب الوفد المصري بادماجها ضمن برنامجه الداخلي . اما تكوين حزب من صغار الملاك او من الأجيرين ووضعه تحت سيطرة حزب سياسي له برنامج سياسي معروف فأمر لم يسمع بمثله

حقيقة ان احزابنا المصرية فقيرة جداً في برامجها الداخلية وعسى ان تكون صيحة الأستاذ دافعة لها على الالتفات الى الاصلاح الاجتماعي الذي هو في نظرنا اساس كل حركة سياسية

***

باب شؤون المرأة
وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي نعرج فيه على كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الطفل الناقه والعناية به

خطورة العناية بالناقه

قال ويدار دوبان الطبيب الفرنسي سنة ١٨٤٤ ما يأتي : «الى الطبيب يجب ان يعهد في العناية بالناقه كما يعهد اليه في العناية بالمريض». وقوله هذا لم تبل الأيام جدته. فهو في هذا العصر صحيح كما كان من خمس وعشرين سنة. ففي اثناء نقه الطفل لا مندوحة عن الاستعانة بمشورة الطبيب او ارشاده. فاذا لم تدرك الأم خطورة هذا القول او لم تحفل به فحم عن عملها تاج تكون في بعض الأحيان مميتة لتشير الأم حالة الطفل بعد اجتيازه منطقة الخطر في مرضه وقد اخذت امائر الصحة تبدو عليه. يرى الطبيب حينئذ ان يقلل زياراته الطبية ولدى ادنى اشارة من

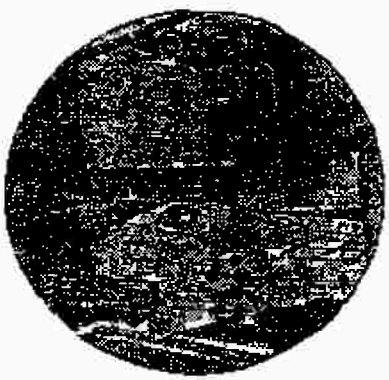

النوم افضل مجدد لقوة الطفل الناقه

الوالدين ينقطع عنها بتاتاً فتنتقل العناية الدقيقة بالطفل الناقه من ايدي الطبيب الى ايدي والديه فهما ان في الغالب التدقيق في كل ما يحتاج اليه جسمه الضعيف الناحل وما يجب ان يمنع عنه حتى لا يصاب بنكسة. وهما بحسبان في الغالب ان الشفاء التام صار امراً محققاً. فتقل عنايتهما بالاشراف على الشؤون الصحية اللازمة. ولما كان الطفل ممنوعاً في اثناء مرضه من استقبال الزائرين في غرفته وعن اللعب بلعبه او التمتع بما يتمتع به الأطفال الأصحاء لأنها امور لا يتحملها جسمه المريض فان والديه الآن يرون دخوله في دور النقه ايذاناً باستقبال الزوار والتحدث اليهم وسرد ما يعرفه من النكات

وتلاوة ما تعلمهُ من الأشعار واللعب بلعبه المختلفة ويسمحون لهُ بتناول ما تعوّد تناولهُ من صنوف الطعام وينتظرون منهُ ان يأكل ما تعوّد اكلهُ في حالتهِ الصحية . وبكلام موجز ينتظرون منه ومن جسمه المدكوك بسموم المرض أن يرجع كما كان . جاهلين او متجاهلين ان الجسم الضعيف لا يتحمل كل هذا

وأهم من الأمور المتقدمة نوع العلاقة التي توطد بين الطفل وأسرته في دور النقه — فالطفل في حالتهِ الصحية يعمل اعمالاً يتعذر تفسيرها على من لم يعرف طبائع الأطفال وطرق تعليمهم وتهذيبهم. اما وهو خارج من مرض وجسمهُ ضعيف فالمرجح ان يكون عصبياً يبكي لأقل سبب او يطلب اشياء لا يسمح لهُ عادة بتناولها مراعاة لصحته ولكن الأم الحنون لا تنظر الى ذلك فهي لشدة فرحها بنجاة ابنها لا تمنع عنهُ شيئاً مما يطلب . وهذا خطأ كبير. لأن الطفل حينئذٍ يدرك ان طلباً لهُ لا يردُّ . فتكثر مطالبهُ . ولما كان الطبيب قد انصرف عن عيادته والأم وسائر افراد الأسرة ميالون الى اجابته الى جميع رغباته فحالة الطفل في هذا الدور ابلغ مثل على سوء الادارة. فيُسدُّ طريق الشفاء التام بسدّ مبني على الجهل الذي يقصد منهُ النفع .

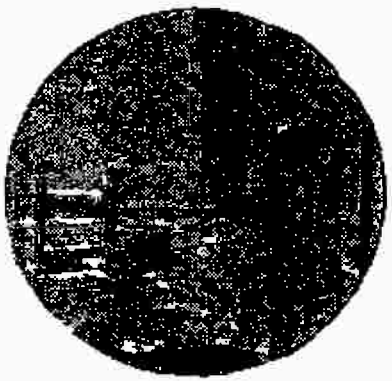

طرق لتسلية الطفل في اثناء النقه

لأن اجهزة الجسم تحاول في فترة النقه ان تستعيد قوتها الطبيعية وحيويتها لتعيد بناء الأنسجة التي تلفت في اثناء المرض وتخزن قوة جديد تستعمل في حين الحاجة اليها في قابل الأيام

بهذا نستطيع ان نعلل لمَ اصابة الطفل بمرض تلو الآخر او بانتكاسه . ذلك انه لم يمنح الوقت الكافي ليشفى شفاءً تامًّا من المرض السابق فينكس او يصاب بمرض لاحق مرتبط بالمرض الأول . اما ما تقولهُ الامهات عادة : « منذ مرض ابني مرضه الأول لم يرَ يوماً مثل الناس » فتفسيره ان الطفل في دور النقه من مرضه الأول لم ينل العناية الكافية البتة

ولما كان الطفل لا يدري مدى قواه الجسدية فانهُ يكون ميالاً في الغالب الى انفاقها من غير حساب لانهُ لا يدري ان دور النقه هو دور اختزان القوة والحيوية لا انفاقهما

الامراض التي تنجم عن اهمال العناية

فالاعياء التام الذي يتبع الانفلونزا والنزلة الصدرية وغيرها من الامراض المعدية تحتاج الى كل خبرة الطبيب وبراعته . لان العناية الصحيحة تخفف بل وتمنع الاختلاطات التي تحصل عادةً في اصابات الحصبة و الدفتيريا او الحمى القرمزية او السعال الديكي . واكثر

الناس لا يدرون ان مرض القلب كثيراً ما ينشأ في الطفل بعد انقضاء سنة كاملة على شفائه من الزفن (الخوريا : وهو نوع من التشنج العصبي يصيب الاطفال والبنات منهم اكثر من الصبيان ويصحبهُ دقة الاحساس والضعف العام وانحطاط القوى العقلية) او الحمى الروماتزمية. وانت لو قلت لاحدهم ان ابنك مصاب بمرض القلب لدهش وقال « مرض القلب وهو طفل ! من اين اتاه »!

واهمال العناية اللازمة بالطفل الناقه قد يفضي الى ايقاظ مرض مزمن او عدوى كامنة في الجسم فتظهر اعراض لاعلاقة لهُ في الظاهر مطلقاً بالمرض الذي شفي منهُ المصاب كظهور السل او الاصابة في الكليتين او غير ذلك من الاصابات التي يظن انها كانت قد شفيت كلَّ الشفاء قبلاً . فمعرفة هذه الفروع العديدة لموضوع النقه يحمل الطبيب على التشديد بوجوب العناية بالطفل الناقه اتمَّ عناية وأوفاها. لانهُ يعرف مدى الخطر الذي يتعرض لهُ الطفل الذي بين يديه

مهما يكن المرض طفيفاً فهو يؤثر في الاعضاء والانسجة المختلفة تأثيراً يختلف مداهُ باختلاف الانسجة والاعضاء . وقد يبقى هذا الفعل في بعض الانسجة والاعضاء حتى بعد الشفاء فتنقلب بعض الانسجة مثلاً عن تجديد قواها وحيويتها . وقد سمعنا كثيراً من والدين دعوا الطبيب بعد شفاء طفلهم ليفحصهُ لانهُ لا يستطيع ان يمشي مشياً طبيعيًّا . ولو ان العلل بقي اسبوعاً آخر في السرير حتى يستطيع جسمهُ ان يخزن قوة كافية لرجليه وعضلاتهما التي ضعفت فعجزت عن حمل جسمه لكان في ذلك البرء التام

قواعد العناية

فما هي قواعد العناية التامة بالاطفال الناقهين ؟ العناية بالناقهين تختلف باختلاف الامراض لا بل تختلف في المرض الواحد بين طفل وآخر . ولذلك يلزم ان يشرف عليها الطبيب . فالحصبة مثلاً تسير سيراً قانونيًّا في كل الذين يصابون بها كعلو الحرارة وظهور الطفح وهبوط الحرارة وغير ذلك من الاعراض . ولكن النقه من الحصبة يختلف باختلاف الافراد والعناية بالناقة تختلف كذلك . ففي دور النقه يجب ان تعنى بمعالجة المريض لا المرض

﴿ الراحة ﴾ الراحة من الاصول التي يجب ان تقوم عليها كل عناية بناقه طفل . لانها تمهد السبيل للانسجة لتنفض عنها آثار المرض فتجدد ما تلف من خلاياها وتستعيد من النشاط والقوة سيرتها الاولى . والراحة كذلك — سواء كانت جسدية او عقلية — لا تستدعي انفاقاً للقوة التي يحتاج اليها الناقه كلَّ الحاجة لتجديد قواه . فان هو لم يصب من الراحة نصيباً كافياً حل عيشاً مزدوجاً هو انفاق ما عنده من قوة ونشاط ومنع الانسجة من تجديد

قوتها ونشاطها. وتنقص ساعات الراحة رويداً رويداً بحسب مقتضى الحال. ومن الوسائل الحسنة لقضاء ساعات الراحة في السرير من غير أنفاق قسطر كبير من القوة اعطاء الولد من الادوات ما يستطيع ان يصوّر بها صوراً بالالوان او تعليمه صنع السلال الصغيرة من عيدان الخيزران الدقيقة او وضع آلة كاتبة امامهُ صغيرة الحجم وحمله على التسلي بها بالنقر عليها . وفترات الراحة يجب ان لا تكون في السرير دائماً فقد تكون في كرسي مريح حيث يستطيع الناقه أن يرتخي فتستريح العضلات بانبساطها

وبعد ذلك يأخذ في ممارسة ضروب الرياضة الخفيفة كالمشي قليلاً او العناية بغرس نبتة في الحديقة او الرقص مدة قصيرة وقصاً غير عنيف. والمرغوب فيه من ضروب الرياضة ما يكون في عيني الطفل تسلية ولعباً وان يتدرج في ممارسته رويداً رويداً

﴿ الغذاء ﴾ اما مسألة الغذاء فمن اهم المسائل في العناية بالطفل الناقه . والطبيب هو اصلح الناس لوضع بيان كامل للغذاء . فعامة الناس مثلاً تعتقد ان الاطعمة الدهنية من اهم ما يحتاج اليه الناقه في مطلع دور النقه . والحقيقة غير ذلك . فالغذاء يجب ان يشتمل اولاً على الاطعمة النشوية لان جهاز الهضم يستسهل هضمها

ويلي الراحة والرياضة والغذاء العناية بتدليك الجسم تدليكاً معتدلاً فتنشط به العضلات. ويلي ذلك الاستحمام بالماء الفاتر يتبعهُ رشٌّ من الماء البارد لتنبيه الجسم

اما الهواء النقي ونور الشمس فعنصران من أهم عناصر الصحة والقوة ومهما نقل في فائدتهما اذا احكم التعرض لهما لا تكون مبالغين

ويجب ان تنال مسألة الملابس عناية خاصة في دور النقه وفي غالب الاحيان يجب ان تكون الملابس من صوف ناعم خفيفة الوزن ويجب ان تكون واسعة تطلق حرية الحركة للاعضاء . لان الضغط على الصدر والعضلات يحمل الجسم على انفاق القوة جزافاً في أثناء التنفس او الحركة . والالوان الزاهية تكون عادة مصدر سرور وبشاشة يمكنان الطفل من استعادة قوته بسرعة . وهذا الجو المفعم بالسرور والبشاشة مقو طبيعي للجهاز العصبي والجسم بوجه عام

الصبر فضيلة. وقال العرب « الصبر مفتاح الفرج » . وهو خصوصاً كذلك في دور النقه لانهُ اذا طال أمد المرض والنقه ضجر المريض وضجر اهل بيته . في هذه الحال نجد ان بشاشة طبيب بارع والاعتصام بحبل الصبر اقوى العوامل في العودة من اغوار المرض الى انجاد الصحة والنشاط

مكتبة المقتطف

تاريخ ادب اللغة العربية

للمدارس السنوية

تأليف الاستاذ احمد الشايب — طبع بمطبعة الاسكندرية بآخر شارع المطارين — صفحاته ٢٩٢ قطع وسط

لقد جمع الأستاذ الشايب في هذا الكتاب اطراف البحث في تاريخ الادب العربي من العصر العباسي الى العصر الحديث وهو المقرر للسنة الخامسة في المدارس الثانوية. فعالج الحالة الاجتماعية والسياسية في العصر العباسي الى آخر عهد المتوكل وأثرها في اللغة والأدب الى فنون الشعر في ذلك العصر الى أشهر الشعراء وأساليب الكتابة وأبرع الكتاب وأثرهم في التأليف والترجمة. ثم الم بأحوال الآداب العربية من عهد المتوكل الى سقوط بغداد وكيف صارت مصر مركزاً للنهضة الأدبية في عهد الفاطميين وتدرّج في ذلك الى مطلع العصر الحديث وأسباب النهضة الحديثة وتناولها وأعظم اعلامها في النثر والشعر والصحافة. ولما كان الكتاب مدرسيًّا فقد عني الأستاذ بجعل مباحثه واضحة المعاني حسنة التبويب والترتيب وساعده في ذلك رشاقة اسلوبه العصري السليم فجاء كتابهُ خير رفيق للطلاب في المنهج الأدبي المقرَّر

يوبيل لسان الحال

لسان الحال جريدة يومية سياسية تصدر في بيروت انشأها المرحوم خليل سركيس والد صاحبها الحالي الأستاذ رامز سركيس سنة ١٨٧٧ واحتفى بيوبيلها الذهبي في ١٧ دسمبر سنة ١٩٢٧ قراء الكتاب والشعراء والصحافيون في انحاء العالم العربي والخطة النزيهة التي جرى عليها منشؤهُ والخدمة الجليلة التي اداها منشئهُ للطباعة العربية والصحافة العربية. وقد جمعت اقوالهم في كتاب يضمُّ ٣٤٦ صفحة من قطع المقتطف جاءت كل صفحة منها شاهداً ناطقاً بأن الفضل يعرفهُ ذووهُ ومما قالهُ الاستاذ وديع عقل

اجرى البيان على لسان فما جرى ... الاَّ بذائب عسجدٍ ولآلي
يرمي بحجته فتصدع شرة البا ... غي وتصفع وجنة الخطّال
متحامياً عكر المناهل شارعاً ... شرعاته في المورد السلسال
متصلباً للحق غير مصانعٍ ... متصبباً للصدق غير مبالي

فنهنئ لسان وصاحبهُ ومنشئهُ ونرجو لهم اطراد النجاح في عملهم

مذكرات لورد غراي

وتبعة الحرب الثانية

المذكرات اللورد غراي وزير خارجية بريطانيا ووكيلها البرلماني من سنة ١٨٩٢ الى ١٩١٦ نقلها الى العربية الاستاذ علي احمد شكري محرر السياسة الخارجية في جريدة الاتحاد — صفحاته ٣١٦ — مزدان بصور كثيرة — له مقدمة في ٧٦ صفحة وضعها المترجم في مقتضيات الحرب الكبرى

طفت بعد الحرب الكبرى كتب المذكرات فكل سياسي وكل قائد وكل صحافي وكل متصل باحد هؤلاء وضع كتاباً قال انهُ يشتمل على مذكراته عن الحرب الكبرى. وبعض هذه المذكرات لاقيمة لهُ من الوجهة التاريخية على الاطلاق. اما المذكرات التي كتبها رجال كانوا بانفسهم يديرون شؤون الامم ويوجهون الحوادث — كتشرتشل وبوانكاري وهوس وغيرهم — فلا مندوحة عنها لكتاب التاريخ في المستقبل. لانها مع الوثائق الرسمية التي نشرتها الحكومات او حفظتها مطوية في خزائنها هي اعظم المصادر التي يرجع اليها المؤرخون لاستقاء الحقائق فيعارضون بعضها ببعض ويوازنون بينها ويخلصون من ذلك الى ترجيح رأي على رأي وحكم على آخر. وفي المقام الاول بين الذين كتبوا عن الحرب الكبرى ومقدماتها يجب ان نضع لورد غراي اوف فالودن. فقد قضى في وزارة الخارجية البريطانية خمساً وعشرين سنة ويده على النبض السياسي الاوربي يدسُّهُ دسَّ خبير بالامور مطلع على اصولها وخفاياها. لذلك جاءت مذاكراتهُ كما ينتظر من امتع الكتب التي كتبت في هذه الناحية من الموضوع. وفاقت غيرها باتزان الحكم وضبط العاطفة والامانة في تأدية الحقائق

فالنقاد السياسيون مثلا يحسبون الكتب التي وضعها المستر تشرشل في طبقة ما كتبهُ ماكولي اذا اعتبرنا براعة الاسلوب وحسن البيان ولكنهم ينعون عليهِ انهُ غير مدقق في سرد الحقائق وان غرضهُ من كتبهِ تسويغ الخطة التي جرى عليها لما كان متقلداً وزارة البحرية في انكلترا في مطلع الحرب. لذلك كان يسرد الحقائق التي تؤيده في كثير من الاحيان متعامياً عن غيرها. اما لورد غراي فاكثر امانة في وصف الحال واشد دقة في سرد الحقائق واكثر ضبطاً للعاطفة حين معالجة رأي يختلف مع رأيهِ او نقد خصم من خصومهِ السياسيين

لذلك نرى ان الاستاذ علي أحمد شكري قد احسن صنعاً بنقلهِ مذكرات لورد غراي وعسى ان لا يتأخر في اصدار الاجزاء التي تلي هذا الجزء وان يتبعهُ بغيره من امهات المذكرات السياسية الحديثة لان في الخزانة العربية نقصاً معيباً في هذا النوع من التاريخ السياسي

اصول النفس واسرار العقل الباطن

يحتوي على طائفة من المباحث هي من احدث ما كتب في هذا العلم موجزة السياق سهلة العبارة ومن فصوله الغريزة والنوم والتعب والاحلام والعادة وتأثير العقل في الجسم والجسم في العقل والارادة والذاكرة والتخيل والايحاء للنفس (اي الاستهواء) نقلها وخلصها عما كتبه كبار المشتغلين بهذه المباحث الفلسفية السيكولوجية يوسف افندي اسكندر جريس والكتاب يقع في ١٦٤ صفحة من القطع الصغير وثمنه ١٥ غرشاً

فوست

يحسب غوته بحق آخر العقول العالمية التي استطاعت ان تتخذ كل افعال البشر وفروع معرفتهم ميداناً لها تبرز فيه . لان حياته وموته كانا على عتبة عصر اتسع فيه لطاق المعرفة اتساعاً جعل الاحاطة بفروعها امراً متعذراً على عقل بشري. اما مقام غوته كشاعر فقد تقلبت عليه الاحوال من اجلال عند ابناء المدرسة « الالمانية الحديثة » الى احياء العناية العظيمة به والاعجاب الشديد بنبوغه في آخر القرن التاسع عشر. اما انه كان ولا يزال اعظم شاعر انجبته المانيا فلا يختلف فيه اثنان . فترجمة « فوست » وهي آية آياته في الشعر والادب الى اللغة العربية حادث عظيم يجب ان يهنأ به المترجم الاستاذ محمد عوض محمد الاستاذ المساعد بكلية الآداب في الجامعة المصرية

« وفوست » رواية تمثيلية اشخاصها ليسوا من البشر بل من عالم خيالي . بطلها فوست عالم مفكر شديد التعطش الى ادراك ما لا يدرك يحاول بالعلم ان يطلع على اسرار الوجود فيرتد خائباً شديد التشاؤم ويشتد ذلك به حتى يصبح فريسة الشك والجحود ويرمز الى هذه الروح بالشيطان مفستوفيلس وكاد يتحر ولكن الروح تتراءى له فتقول ما لك وللعلم والفلسفة كل ذلك باطل لاخير فيه تعال اتبعني فاخوض معك غمرات الحياة نبلو مرّها وحلوها فيقبل فيتخبط في عالم الشهوات اولاً ثم يخوض الحياة السياسية لتأدية خدمة عامة ثم ينقلب داعية لفن اليوناني ولكن مفستوفيلس لا يزال قرينه يدفعه على التحول والتنقل حتى يبلغ المائة فلا يرى امامه الا القبر فيقف امامه ولسان حاله يقول « لا يستحق الحياة او الحرية الا من يسعى ابداً في الحصول عليها ». وقد كانت حياة غوته ابلغ مثل على هذا القول . حتى لقد قالت الانسكلوبيديا البريطانية . « ان آيته الخالدة هي حياته »

اما لغة الترجمة في الرواية فتجمع بين سهولة التعبير وبلاغته وقد قابلنا بعض عباراتها على ما يوازيها في « الترجمة » الانكليزية فوجدنا الترجمة دقيقة فاذا كانت كلها كذلك كان ترجمة فوست الى العربية من اهم الآثار الادبية التي ظهرت هذه السنة

الاعلام

لمؤلفه خير الدين الزركلي — الجزء الثالث في ٣٨٠ صفحة قطع المقتطف — مطبع بالمطبعة العربية بالموسكي

اشرنا الى هذا المؤلف النفيس الذي لا يستغني عنهُ كاتب عربي ولا مشتغل بالصحافة العربية حين صدور جزئيهِ الاولين ووصفنا الباعث الذي حمل مؤلفهُ البارع على تكبد صنوف المشاق في جمع مواده من مختلف المظان العربية جمعَ محققٍ وأبنا الطريقة التي جرى عليها في الجمع والتلخيص والاسناد . واقتبسنا منهُ قطعة لبيان ذلك . وقد اتم مؤلفهُ هذا بنشر الجزء الثالث منهُ ويليه المستدرك الذي يشتمل على تراجم فاتهُ ذكرها

قلنا ان الكاتب العربي سواء كان صحافيًّا او ادبياً لا يستغني عن هذا المؤلف لانهُ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين في الجاهلية والاسلام والعصر الحالي . وكل ترجمة على ايجازها تشتمل على اهم الحقائق التي ترام معرفتها عن المترجم مع تاريخ ميلاده ووفاته بالسنين المسيحية والهجرية وذلك نقلاً عن اوثق المصادر العربية . فمتى اراد المؤلف « بقاموسه » الذي يسدُّ فراغاً كبيراً في الخزانة العربية لا يدركهُ الا من يعانيهُ حين التفتيش في وفيات الاعيان او طبقات السبكي او تذكرة الحفاظ او طبقات الاطباء او تحفة الاعيان او غيرها من المطولات المطبوعة او المخطوطة

فيثارة الشباب

مجموعة قصائد ومقالات — عربية وانكليزية — بقلم الأديب بدري سليم فركوح
طبع بالمطبعة السورية التجارية بنيويورك لصاحبها سلوم مكرزل طبعاً متقناً

قال الشاعر في وصف « فيثارته » : « فيثارة الشباب هي نفحات الروح وهمسة النفس . هي رؤى وأحلام هي خواطر ومعتقدات . هي مزيج من عواطف الفتوة واحساسات كانت في ذلك الدور الجميل » . وكذلك هي فالاخيلة في القصائد العربية والافرنجية اخيلة شاب يتدفق دم الحياة في عروقهِ . ولكن اسلوبهُ العربي لا يزال في حاجة كبيرة الى الاستقرار والصقل حتى يتسق مع المعروف عن مقاييس الاسلوب العربي الكلاسي (*Classic*) لانا من الذين يقولون ان الشعر العربي لا يقوم الا باتين بمتين للمعاني او الصور الشعرية من جهة والاسلوب من جهة اخرى . فلا الاسلوب خالياً من المعنى او الصور الشعرية الجميلة يكفي ولا المعاني العالية والصور الجميلة في ثوب خلق من الالفاظ . اما اسلوب المؤلف النثري فيفضل اسلوبهُ الشعري متانة بناء وجزالة الفاظ رغم ما تقع عليهِ من هنات لغوية كاستعماله « الأوائل » وهو يقصد « الآلات » و « البواصر » وهو يقصد « الابصار » اما معانيهِ فتنمّ على سعة اطلاع على الصحافة الافرنجية

وأما اسلوبه في الشعر الانكليزي فحسن ومن ابدع مقاطيعه قوله في وصف تلالات نياغرا « في قاعك العميق المخدَّد مدفونة اسرار الزمان المقدسة وفي تلالك الهدار تدوي لغات العصور المستغرة (للشعور) »

جمال المرأة في القصيدة اليتيمة

هي الاستاذ محمود ابو الوفا الاديب المعروف بشرح المفردات اللغوية في القصيدة اليتيمة التي مطلعها

هل بالطلول لسائل رد ام هل لها بتكلم عهدُ

وهي على ما قال الاستاذ الطامي في دياجته الموجزة « القصيدة الوحيدة في شعر العرب التي تناولت جميع اعضاء المرأة وصفاً . فلو انك قدمتها الى مصوّر فطلبت اليه ان يلوّن لك هذه الصفات كما رسمها ذوق الشاعر لرأيت صورة المرأة التي لو رآها ابناء القرن العشرين لقلدوها اكليل ملكة الجمال » . وحبذا الحان لو عهد الاستاذ ابو الوفا الى احد اصحاب المطابع الشهيرة بطبعها طبعاً متقناً يتفق مع مكانة القصيدة وشرحها

العاصفة

امامنا ترجمتان « للعاصفة » احداهما للأستاذ يوسف اسكندر جريس والثانية للأستاذ محمد عبد العزيز امين . اما الترجمة الأولى فقد عني صاحبها بجعل كل صفحة منها في عمودين عمود يحتوي على الأصل الانكليزي والعمود الذي يقابله على الترجمة العربية. وهي مطبوعة طبعاً حسناً بمطبعة المقطم . اما الثانية فخالية من الأصل الانكليزي ومطبوعة على ورق سخيف طبعاً غير نظيف . فاذا كان القصد من عدم العناية بطبعها طبعاً جيداً ترخيص ثمنها فهذا امتهان لحقوق شكسبير ومكانته في عقول المتأدبين . وهنا لا بدّ يسألنا القارىء رأينا في الترجمة الحرفية والمعنوية . فنحن نرى ان الترجمة الحرفية التي تحتفظ بأصل اللغة العربية وروحها هي الطريقة الوحيدة لترجمة شكسبير وغير شكسبير من كبار الشعراء الغربيين ولا طريقة غيرها على ما يبسطه الاستاذ اسماعيل مظهر في هذا الجزء

طبعة جديدة للمصحف الشريف

كانت الحكومة المصرية والهيئات الدينية والمدارس الحرة تستورد للتلاميذ مدارسها المختلفة نسخاً عديدة من المصحف الشريف من طبعات يقدمها الموردون مما هو مطبوع في الخارج . غير ان معظم هذه الطبعات كان لا يخلو من اخطاء جوهرية فيه . حتى لجأت الحكومة غير مرة الى اعدام النسخ التي ظهر فيها الخطأ فعمل كل ذلك الحكومة المصرية على التصميم على طبع مصحف شريف صحيح طبقاً للرسم العثماني وفعلاً بدأ التفكير والدرس حوالي سنة ١٩٠٧ وتولت المطبعة الاميرية العمل فجمعت الصحائف وراجعتها

هيئة من مصححيها العالمين بالاصول الدينية وبعد ذلك تولت مشيخة الازهر الشريف المراجعة الدقيقة فاحالتها على شيخ المقارىء . وكلفت مصلحة المساحة القيام بعملية الطبع بطريقتها المعروفة « اوفست » فقامت بها على اتم وجه وأوفاه

وقد ظهرت حتى الآن نسخ طبعتين من هذا المصحف تخاطفها الايدي في كل البلدان الاسلامية . وظهرت الآن الطبعة الثالثة على ورق جيد مجلدة تجليداً متيناً وأودعت نسخها في قلم نشر المطبوعات بوزارة المالية وثمن النسخة عشرة غروش صاغ وهي قيمة نفقات الطبع فقط

مصارع الخلفاء

مشاهد رائعة من التاريخ — تنقيح الاستاذ كامل كيلاني — ١٤٠ صفحة من الحجم المتوسط — تنشرها مكتبة الوفد لصاحبها محمد محمود بشارع الفلكي بباب اللوق بمصر ثمن النسخة ٥ غروش

هو أول كتاب طبع في هذا الباب جمع بين دفتيه مصير الخلفاء من عهد الفاروق الى المعتز بالله . وإن في الكلام على مصارعهم لآثارة من تاريخهم ومآسي وعبراً كان كل منهم المبتدأ ومصرعهُ الخبر . وتاريخ الاسلام يتمثل في تواريخهم أكثر مما يتمثل في شعوبهم وتاريخنا الحاضر يتمثل في شعوبنا أكثر مما يتمثل في ملوكنا . ولا غرو اذا كان خلفاء الاسلام ابقى على الايام من الايام . وقلَّ ان نظفر بتفصيلات مصارعهم مجموعة في غير هذه المجموعة

وقد يصور التاريخ أحوال اولئك العادلين من الخلفاء المسلمين أحسن تصوير كما يصور احوال الظالمين الماجنين اقبح تصوير فتألم لهم على ظلمهم ومجونهم اذا اعتامهم القدر بالقتل والتنكيل كأن شناعة موتهم أنستنا شناعة أعمالهم ولا غرو اذا استحر القتل في اواخر الخلفاء الاسلاميين من الأمويين والعباسيين . وكأني انظر الى دمائهم تترقرق بين ثيابهم وتسيل على عروشهم فلا يرثي لهم أحد . فاذا اعيادهم مآتم واذا افراحهم اتراح واذا مجالس لهوهم مجالس نعيهم واذا هم عادوا كما بدءوا . فناء ثم فناء كما قال المعري

حياة كحسر بين موتين أول وثان وفقد الشخص ان يدبر الحسرُ

وكما قال الفرد دي فيه « ما الحياة الا جسر بين فناءين »

وأعجب ما عجبت له ان الدنيا نثرتهم في التراب ونظمتهم أنت أيها الاستاذ في كتاب . وأن عصورهم تباينت ومصارعهم تباعدت فألفت بين المتباينات ، وقاربت بين المتباعدات في صفحات ، بأسلس عبارة وأوضح إشارة ، ومهدت للقراء سبيل الانتفاع بهذا الابداع

تزين معانيه ألفاظه وألفاظه زانتات المعاني

وقد تخيرت من الروايات التاريخية المضطربة ما صح لك وراق وجاد لفظهُ وشاق . وانتظم عقده ووضح نقده فرحى مرحى . فما أنت حيال التاريخ الا راوية . وحيال المؤرخين الا رسول وما على الرسول الا البلاغ ؟

عبد الرحيم محمود

باب الاخبار العلمية

الاذاعة اللاسلكية بعد عشر سنوات

كل الذين راقبوا ارتقاء الفنون اللاسلكية في السنوات الثمان المنصرمة ادركوا خلوّه من الخطة المحدودة والانتظام. فكانت المحاط اللاسلكية تنشأ هنا وهناك بين ليلة وضحاها كأنها بزور ذرتها الرياح على وجه الأرض. فارسلت جذورها في الارض وفروعها في السماء. وحاول اصحاب هذه المحاط اللاسلكية ان يقدموا للجمهور اللاسلكي ما يسرّه ويسليه وكانوا يسدّدون نفقاتهم مما يذيعونه من الاعلانات لأصحابها

فنشأ عن ذلك فوضى في الأثير مصدرها الاضطراب الحاصل من اعتراض الأمواج اللاسلكية بعضها بعضاً في الأثير. اذ لا يخفى على قرّاء المقتطف ان الأمواج اللاسلكية المذاعة من محطتين متجاورتين تتعارض وتتشوش اذا نقص الفرق بينهما في الطول عن مقدار معيّن. وبلغت الفوضى معظمها في اميركا لكثرة المحاط التي انشئت فيها فتقدمت الحكومة على زمام الأمر ووزعت على المحاط اطوالاً معينة للأمواج اللاسلكية التي تذيع بها فصار في الامكان الآن ان يذيع محطتان متجاورتان الاغاني والموسيقى في وقت واحد من غير ان يتشوش احدهما ما يذيعهُ الآخر. ولكن هذا العمل ليس الاّ خطوة واحدة على طريق غايتها وضع نظام عام من هذا القبيل يشمل كل الأمم والبلدان

من المعروف لدى العلماء ان الف نوع من الأمواج اللاسلكية يستطاع استخدامهُ للاذاعة. وقد تناسلت المحاط التي أنشئت حتى الآن نصف هذا العدد فما بينها ولا بدّ ان يعاد النظر في هذا الاقتسام قبلما يوضع نظام دولي شامل

ولا تنقضي عشر سنوات حتى تكون الاذاعة اللاسلكية قد اصبحت فناً من الفنون الجميلة ويكون المهندسون قد نفذوا الى اسرار الاذاعة والاستقبال وأتقنوا وسائلها حتى ليستطيعوا ان يخلقوا في مخيلة المستمع وهمَ قربهِ من المغني او الموسيقي او الخطيب او المحدّث مهما تكن محطة الاذاعة بعيدة عنهُ. ويقيضهم على اعنة هذا الفن الجديد يحون الفواصل الجغرافية فيستطيع المستمع المصري او الايطالي ان يدوزن آلتهُ ويصغي الى اية محطة من محطات الاذاعة الدولية سواء كانت من كندا

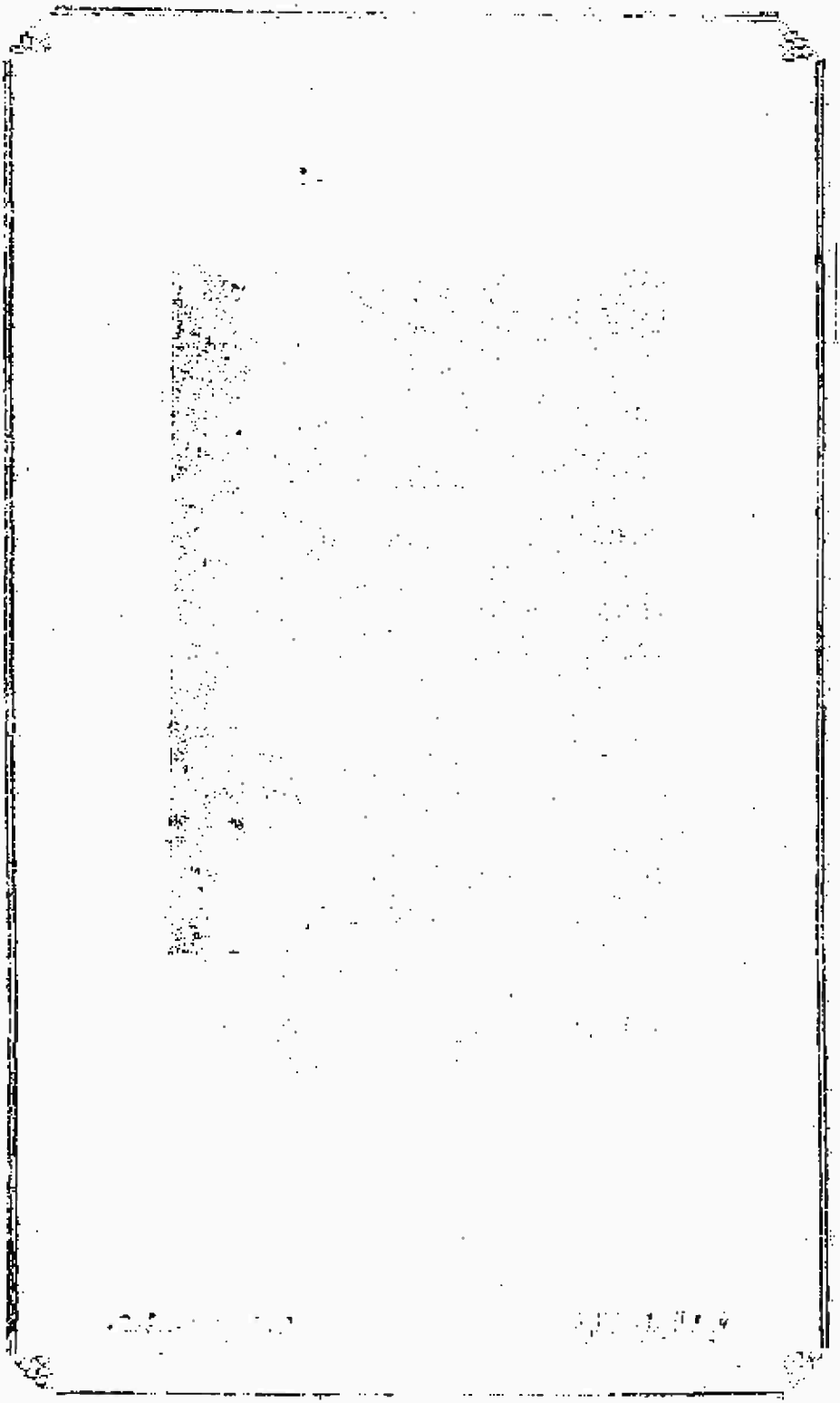

السر فردريك جولد هيكنز
زعيم الباحثين في مسائل الفيتامين واحد ثانيْ جائزة
نوبل الطبية في سنة ١٩٢٩

او استراليا او اليابان . ويقضون على اسباب الاضطراب والتشويش التي تنشأ الآن من اضطراب الجوّ وعصف العواصف ولمع البروق

ومتى فعلوا كل ذلك يصفو الأثير ويصبح وسطاً نقيًّا لاذاعة اعظم منتجات الفنون البشرية . وأول هذه المنتجات الموسيقى لغة العواطف الدولية . فنستطيع ان نصغي الى الأوبرات الكبيرة والأوبرات الخفيفة والسمفونيات والأغاني وأنواع الموسيقى الأخرى كما يخرجها اكبر الموسيقيين الأحياء في اعظم دور الموسيقى في العالم . ولا بدَّ ان تتخصص المحطات المختلفة بنوع الموسيقى الذي تذيعهُ . فتختص محطة دافنتري الانكليزية مثلاً بالموسيقى والأغاني الظريفة (ڤودڤيل) وتختص محطة استوكهلم مثلاً باذاعة الموسيقى السمفونية وكوبنجيرج بموسيقى الرقص ومحطة ميلانو بالأوبرا . وهذا يمهد السبيل لتمرين جوق اوبرا عالمي يتفوّق على كل الاجواق المعروفة الآن لأن مديريه يدرون ان العالم بأسره يصغي اليهم

ومن الأمور الخطيرة التي ينتظر تحقيقها في السنوات العشر القادمة انشاء ساعة عالمية . فيرسل من محطة خاصة متصلة بمرصد غرينتش بيان منتظم للوقت فتضبط الساعات المحلية بموجبهِ بحساب الفرق في خطوط الطول . والمرجح ان اصحاب الاذاعة اللاسلكية العامة لا يعنون شديد العناية بالتلفزة لأن الحوادث التي تهم جمهور الناس في كل البلدان قليلة . ولا ريب في ان انشاء محطات للتلفزة المحلية يكون موضع عناية المهتمين بذلك . ولا بدّ كذلك من نشوء فن جديد يدعى السنما اللاسلكية « التليسينما » اي اذاعة الصور السينمية بأسلاك كأسلاك التلفون . وا تقان هذا الفن اسهل جدًّا من اتقان التلفزة

توزيع جوائز نوبل

جائزة الاداب

فاز بجائزة الآداب لسنة ١٩٢٩ توماس مان وهو روائي المانيا لم يشتهر بعد خارج المانيا شهرة بعض الكتاب الالمان المحدثين الذين وضعوا روايات عن الحرب زاد ما بيع من احدها على مليون نسخة ونصف مليون من النسخ ولكن النقاد العارفين في المانيا وخارجها يعترفون بان (مان) اعظم روائي المانيا المعاصرين كتب منذ ٢٨ سنة رواية موضوعها « بودن بروكس » بدت فيها دلائل النضوج العقلي والفني مع انهُ كان لا يزال حينئذٍ في مقتبل الشباب — في السادسة والعشرين — فطبعت خمسين طبعة في عقد واحد . وبلغ من حب الالمان لهُ واحترامهم اياهُ انهم احتفلوا ببلوغهِ الخمسين في كل انحاء البلاد . ومن رواياته الحديثة رواية « الجبل السحري » تعيد الى الذهن روايات بلزاك لاتساع موضوعها والنقاد الذين اطلعوا عليها وخصوصاً الذين يميلون الى الفلسفة يحسبونها من اعظم الروايات التي كتبت في هذا العصر

جائزة النوبل

وقسمت جائزة النوبل بين السر فردرك جولند هبكنز الانكليزي مكتشف الفيتامين والدكتور ايجكمان احد اساتذة جامعة اترخت لمباحثه البارعة في مرض البريبري

اما مباحث السر جولند هبكنز في الكشف عن الفيتامين فمعروفة لدى قراء المقتطف وقد بسطناها بسطاً وافياً في مقالة « اين نحن في مسائل الفيتامين » في جزء فبراير الماضي صفحة ١٤٦ وهو الآن استاذ الكيمياء الحيوية بجامعة كمبردج. واما الدكتور ايجكمان فكان اول من ادرك ان البريبري داء ينشأ عن الاعتماد على الارز المقشور في التغذية وقد بنى رأيهُ هذا على ما شاهده في الدواجن . ذلك انهُ رأى الدواجن في سجن بجاوى حيث كان طبيباً تصاب باعراض البريبري ولاحظ انها تتغذى بنقاية الارز المقشور فارتأى ان للمرض صلة وثيقة بالتغذية. كان ذلك سنة ١٨٩٧ اي نحو ١٥ سنة قبل اكتشاف المواد الفيتامينية. ومع ان تعليله العلمي لهذه الصلة لم يصب كبد الحقيقة حينئذٍ مهدت مباحثهُ السبيل لامتحان ما يقال عن فيتامين (ب) المقاوم للبريبري فكان في هذه المباحث من الرواد

جائزة الطبيعيات

ومنحت جائزة الطبيعيات عن سنة ١٩٢٨ التي تأخر منحها للاستاذ رتشردسن مدير فرع العلوم الطبيعية في كلية الملك بلندن لكشفهِ عن ناموس يتناول حركة الكهارب المنبعثة من الاجسام الشديدة الحرارة . ولد الاستاذ رتشردسن سنة ١٨٨١ وتلقى العلوم في كلية درهام العلمية وكلية الملك بلندن ثم انتظم في جامعة كمبردج وتفوق في العلوم الطبيعية . ثم تنقل في معامل البحث الطبيعي بانكلترا وانتظم في الجمعيات العلمية المختلفة وسنة ١٩٢١ عين مديراً لقسم الطبيعيات في كلية الملكين العليا ثم مديراً لهذا القسم في كلية الملك بلندن

ومنحت جائزة الطبيعيات عن سنة ١٩٢٩ للعالم الفرنسي الشاب الدوق ده برولي لمباحثهِ الرياضية الدقيقة في الكهارب المتموجة . وقد اشرنا الى مباحثهِ هذه في مقالة لنا نشرناها في مقتطف ابريل الماضي صفحة ٣٦٩ و٣٧٠

جائزة الكيمياء

وقسمت جائزة الكيمياء عن سنة ١٩٢٩ بين الاستاذ ارثر هاردن استاذ الكيمياء الحيوية في جامعة لندن والاستاذ فون أيلر من اساتذة جامعة استوكهلم

ولد الاستاذ هاردن في منشستر سنة ١٨٦٥ وتلقى علومهُ العالية في كلية اون بمنشستر ثم بجامعة ارلنغن ثم درس في كلية اون وانتخب عضو في الجمعية الملكية سنة ١٩٠٩ وهو الآن مدير قسم الكيمياء الحيوية في معهد لستر بلندن واستاذها في جامعة لندن

اثر جديد للانسان القديم

في الاجتماع السنوي الذي عقدتهُ الجمعية الجيولوجية الصينية في بكين في ١٤ فبراير

الماضي الى الاستاذ دافدسن بلاك خطبة وصف فيها سلسلة الآثار المتحجرة التي عثر عليها في جوار باكين . ومنها آثار انسان قديم متغلغل في القدم دعاهُ « انسان باكين » كانسان جاوى والسان هيدلبرج وانسان بلتدون وهكذا . والاسم العلمي الذي اطلقهُ عليه هو « سينانثروبوس باكينسيس » كما دعى قبلهُ انسان جاوى بثكانثروبوس وانسان بلتدون ايانثروبوس

والكشف عن آثار انسان باكين لهُ مقام خطير في دوائر العلماء بآثار الانسان القديم ويحسبونهُ في مقام واحد من الخطورة مع الكشف عن انسان جاوى سنة ١٨٩١ وانسان بلتدون سنة ١٩١٢ (١) والظاهر ان هؤلاء الرجال الثلاثة الذين وجدت آثارهم في اماكن متفرقة على سطح الارض يبعد احدها عن الآخر بعداً شاسعاً كان في عصر واحد . ثم يتعذر على العلماء الآن ان يوازنوا بسرعة بين الطبقات الجيولوجية التي وجدت فيها هذه الآثار المتحجرة في البلدان المختلفة . لان الموازنة بين الطبقات الجيولوجية في بلادين متجاورتين كفرنسا وايطاليا وشمال ايطاليا وسويسرا وجنوب المانيا أمرٌ سهل على الجيولوجي ولكن يتعذر عليهِ ان يوازن بين الطبقات الجيولوجية في شرق اميركا وغرب افريقية . والاماكن التي عثر فيها على آثار الانسان القديم احدها في انكلترا وآخر في جاوى والثالث في الصين

على ان الامر الذي لاريب فيهِ هو ان المتحجرات التي وجدت مع آثار الانسان المذكور من ميزات عصر البلستوسين في مفتتحه وقد يرجع تاريخها الى نحو مليون سنة . ومما يقال في تاريخ هذه الآثار يرجح لدى العلماء على ما يقوله الاستاذ اليوت سمث ان جنس الانسان الذي يمثله انسان جاوى وانسان بلتدون وانسان باكين هو اقدم الاجناس البشرية ولا يستثنى منها الجنس الذي يمثله انسان هيدلبرج او انسان رودسيا او انسان نياندرتال

لقاح واقٍ من السل

اخذ الدكتور كالمت والدكتور جاران الفرنسيان باشلس التدرن الرئوي (السل) وازدرعاه ازدراعاً متوالياً في الصفراء وهي مفرز المرارة حتى تولد عندها باشلس اذ حقن به الانسان لا يحدث المرض ولكنهُ يمنح الجسم قوة ومناعة ضدَّ السلّ وحضروا من هذا الباشلس نتاجاً وزعهُ على طائفة من الاطباء للتوسع في امتحانهِ في الناس والحيوانات وقد اسفرت امتحانات الاستاذ كاتاموزن الطبيب بخارست خاصة ورومانيا التي استمرت ثلاث سنوات متوالية عن نجاح تام . ذلك ان الاستاذ المذكور لقح نحو ١٨ الف شخص

(١) لابد في فهم هذه البلدة من الرجوع الى مقالتنا المهمة في هذا الموضوع التي نشرناها في مقتطف يونيو الماضي صفحة ٥٢٠ وموضوعها « اصل الانسان ومنشؤه »

به فظهرت فوائده فيهم كلهم . ومن هؤلاء نحو الف طفل يعيشون في بيئة تساعد على انتشار السل ولكن واحداً من الاطفال الذين طعموا به لم يصابوا بالسل . وقد ثبت من تجارب اطباء آخرين ان هذا التطعيم يمنح الجسم مناعة الى حدٍّ ما ضد الاصابة بباشلس التدرن الضار

خزانة السر اسحق نيوتن

في مجلة التاريخ الجاري ان جانباً كبيراً من خزانة نيوتن معروض للبيع في انكلترا الآن . وقد ظل امر هذه الخزانة سرًّا حتى كشف عنها الكولونل ده فيلامل حديثاً فقد كان من الامور التي لا تقبل النزاع ان خزانة نيوتن كانت تحتوي على طائفة كبيرة من الكتب النفيسة . ولكن كتب السير التي كتبت عن نيوتن لم تشر اليها مطلقاً . وقد ظل الباحثون يعتقدون ان خزانة نيوتن قد زالت او تلفت حتى سنة ١٩٢٠ ففي تلك السنة بيع بيت قديم في «تيم بارك» باكسفرد شير بالمزاد وكان صاحبهُ المستر ويكهام مُسفريف يملك بيتاً آخر في مقاطعة اخرى فارسل يوم المزاد طائفة من الكتب القديمة من بيته الثاني الى البيت الاول لتباع مع اثاثه فبيعت كلها بارخص الاثمان مع ان بعضها كان مهوراً بتوقيع اسحق نيوتن هكذا « Is. Newton ». ولما بلغ بعض المشترين ان وجدوا في حاجزهم كتباً خاصة بخزانة نيوتن قيم بعض هذه الكتب في لندن في محل رجل يتجر بالكتب العلمية القديمة . وبعض المشترين كانوا اميركيين فدفعوا مبالغ عالية ثمناً لبعض النسخ فنسخة اقليدس التي كان نيوتن يستعملها في المدرسة بيعت بستمائة جنيه

ولما احتفل العالم العلمي بانقضاء ثلاثمائة سنة على ميلاد نيوتن كتب الكولونل ده فيلا ميل مقالة في مجلة « البوكمان » عنوانها « مأساة خزانة نيوتن » فدعاهُ على اثرها المستر ويكهام مسفريف الى زيارته في بيته فزاره فوجد فيه ٨٦٠ كتاباً من مجموعة كانت تحتوي على ١٨٩٦ كتاباً مصفوفة في خزائن لم يعلم صاحبها بها قبلاً والاكانت كل هذه المجلدات بيعت كما بيع غيرها سنة ١٩٢٠ ومن ذلك الحين اخذ الكولونل ده فيلا ميل يعنى بوضع تاريخ لخزانة نيوتن ويؤخذ منهُ انها بيعت بعد موت نيوتن الى جاره وهذا اعطاها الى ابنه في بلد آخر وبعد موت هذا ابتاعها الدكتور مسفريف بارمائة جنيه ثم انتقلت من الدكتور مسفريف الى ابنه . ولما كان اصحابها المتابعون يلصقون على الكتب الاوراق الخاصة بهم تنادى الناس نيوتن وحفظت كتبهُ كلها كتب قديمة لا قيمة لها حتى كشف عنها سنة ١٩٢٦

الحكومة المصرية والفنون الجميلة

قررت مصلحة الفنون الجميلة في وزارة الداخلية اعتماد ١٦٧٠٠ جنيه مصري في الميزانية الجديدة لتعضيد الفنون الجميلة في مصر ثمانية آلاف جنيه منها للاوبرا الملكية والباقي

جنيه لجمعية محبي الفنون الجميلة و١٧٠٠ جنيه لنادي الموسيقى الشرقية والف جنيه لجمعيات فنية مختلفة وخمسة آلاف جنيه لتشجيع التمثيل العربي

الجمعية الملكية وجوائزها

اشرفت السنة على نهايتها واخذت الجمعيات العلمية توزع على الباحثين اوسمتها ومدالياتها ففي مكان آخر من هذا الباب ذكرنا الباحثين الذين وزعت عليهم جوائز نوبل. ومن الجمعيات العلمية التي ينتظر توزيع جوائزها بفارغ صبر الجمعية الملكية البريطانية اقدم الجمعيات العلمية في بريطانيا ومن اقدمها في اوربا. وقد اجتمع مجلسها وقرر ان يمنح المدالية الملكية الاستاذ لتلوود استاذ الرياضيات في جامعة كمبردج لباحثه في التحليل الرياضي ونظرية الاعداد القردة. ومدالية ملكية اخرى للاستاذ ميور استاذ الباثولوجية في جامعة غلاسجو لباحثه في «المناعة» ومدالية كوبلي للدكتور ماكس بلانك الاستاذ بجامعة برلين لباحثه في الطبيعيات النظرية بوجه عام ولاستنباط مذهب الكوم بوجه خاص. ومدالية دايفي للاستاذ لورنس من اساتذة جامعة كاليفورنيا لما كشفه في علم الحركة والحرارة (ترموديناميكس) ومدالية هيوز للاستاذ هاش جيجر من اساتذة جامعة كيل لاستنباطه طرق لاحصاء ذرات الفا وبيتا المنطلقة من الراديوم

الامواج اللاسلكية في الصخر

اثبت الدكتور ايف استاذ الطبيعيات في جامعة ماكجل الكندية ان الامواج اللاسلكية تستطيع ان تخترق ما سمكه ٣٠٠ قدم من الصخر الصلد كالصخر الجيري او الرملي. ذلك انهُ وجد ان الامواج اللاسلكية الطويلة تسير في نفق طولهُ ثلاثة اميال ونصف ميل ولكن الامواج القصيرة التي يقل طولها عن اربعين متراً لا تسير الا على مسافة بضع مئات من الامتار من مدخل النفق. فلما تقررت عندهُ هذه الحقيقة اراد هو وزملاؤه ان يعرفوا طريقة انتقال الامواج الى داخل النفق على طوله. فقال احدهم ان الصخور التي حفر فيها النفق تنقل الامواج. وقال آخر ان الامواج تدخل من مدخل النفق وتسير فيه وقال ثالث ان القضبان الحديدية تنقلها. وقال الاستاذ ايف ان الثلاثة تشترك في نقلها. لذلك أراد ان يعيد التجربة في نفق او كهف لا يحتوي على قضبان حديدية ويمكن سدّ مدخله فوجدوا في كهف «تموث» بولاية كنتكي خير مكان لاجراء هذه التجارب. ذلك ان مدخل الكهف طويل متعرج يمكن سدّهُ وفوق الكهف صخر رملي صلد علوهُ ٧٥ قدماً. فلما ادخلت الآلة اللاسلكية اللاقطة الى الكهف تمكن الباحثون من سماع الموسيقى المذاعة من محطات مختلفة في ولايات بعيدة

اصلاح خطاء

ورد في صفحة ٥٥٢ سطر ٢٥ مقالة تاريخ الفناء العربي «هذا الضاق» والصواب «هذه الضاق»

الجزء الخامس من المجلد الخامس والسبعين

صفحة
٤٨٥ المجمع المصري للثقافة العلمية
٤٨٧ السرطان والاشعة الكونية
٤٩٢ الحضارة القديمة في العالم الجديد (مصوّرة)
٤٩٩ إلمامة تاريخية ساذجة بمصر ابي بكر الصديق. للدكتور احمد فريد رفاعي
٥٠٥ مركز الثقل الجديد في العمران . لرئيس جامعة كولومبيا
٥٠٩ الرازي وعيده الاثني . للدكتور يوسف فرج حرب
٥١٧ تحوّل الآراء في الاثير لشكري ثمّاس افندي
٥٢٢ التجارة عند الامم القديمة . للاستاذ عيسى اسكندر المعلوف
٥٣٠ موازنة بين الجيولوجيا والتاريخ
٥٣٣ شاعر في طيارة . لفوزي معلوف افندي (مصورة)
٥٤١ نظرات نقدية في ملحمة . للدكتور احمد زكي ابو شادي
٥٤٤ رجال العلم والعمل (مصورة)
٥٥٠ تاريخ الغناء العربي . للاستاذ عبد الرحيم محمود
٥٥٤ حلقة جديدة بين مصر وسوريا (مصوّرة)
٥٥٨ خمسة في سيارة . للاستاذ سامي الجريديني
٥٦٣ فعل الحضارات مفتاح سر الحياة
٥٦٥ بين المتنبي وابي فراس . لكامل كيلاني افندي

٥٧١ باب المراسلة والمناظرة * تحقيف مترجم شكسبير . رأي الاستاذ احمد الشايب ورأي اسماعيل مظهر بك
٥٧٦ باب الزراعة والاقتصاد * التعاون في مصر . حزب الفلاح المصري
٤٤٦ باب شؤون المرأة وتدبير المنزل * الطفل الناقه والعناية به (مصورة)
٥٨٦ مكتبة المقتطف
٠٠٠ باب الاخبار العلمية * وفيه ١١ بلدة (مصورة)